

جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام



تأليف الأستاذ : عبدالمعطى اسماعيل عبادة

يسرف على إصدارها

محمد توفيق عويضة

رقم الكتاب ١٠١

القاهرة
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
قرآن كريم

ودعاة الحق في تبيانه	بناة الدين في أمجاده
واساة الضعف في أرجائه	واباة الضيم في عدوانه
وحماة العزم في عليائه	ورعاة الراي في ظلماته
وسلامه للمجتبي من رسله	صلاة الله في رضوانه

إهداء

الى ساحة « أولى العزم » من رسل الله ، أعلام الهدى ،
وباعثى النهضة الكبرى فى الدين والدنيا .

أهدى هذا القبس من هدى رسالاتهم المقدسة وهداها .

المؤلف

مقدمة

المحمود الله ، والمصلى عليهم أولو العزم من رسل الله وبعد . .
فقد عكفت على هدى رسل الله بعامه ، وأولى العزم بخاصة :
قراءة وتدويننا . وبين يدي ما دونت كلمة غاردة عن محمد رسول
الله خيرة الله من خلقه نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في ١٥ من ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ ١٤ من مارس سنة ١٩٦٨ م
في كتاب مستقل بها .

ثم عن لى أن أزيدها بسطة تكسوها حلة الوفاء . وأن يجمع
ما كتب عن أولى العزم كافة كتاب واحد .

وانى لأرج أن يجعل الله ما قدمت وما أخرت مقبولا ، وأن
يهدينا سواء السبيل !

المؤلف

تقديم

بقلم فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام

شيخ الأزهر « السابق »

الحمد لله والصلاة والسلام على ساداتنا انبياء الله وعلى
زعمائهم أولى العزم من الرسل وعلى خاتمهم وأشرقتهم سيدنا محمد
ابن عبد الله وعلى آله وصحابه ومن دعا بدعوته وسار على
نهجه الى يوم الدين ..

أما بعد فان القدوة ذات اثر فعال في نفوس الناس كافة ،
وبخاصة الشباب منهم وهي غريزة طبعوا عليها .

وانبياء الله ورسله المصطفون هم الأسوة الحسنة ، والقدوة
الصالحة ، والمثل العليا التي جعلها الله للناس بسبيل الهداية ،
ومنار الرشاد ، يحتذونها ، وينسجون على منوالها ، ويسيرون
في ضوئها .

ونحن الآن في عصر وقف فيه بعض الطوائف أنفسهم على
محاربة العقائد ، والنيل منها ، وإذاعة المفاصد ، والأخذ بيدها .

ولكن الايمان — والله المحمود — يمزقها شر ممزق ، ولا شيء
يبدع الايمان كالنظر في جهاد أنبياء الله ورسله ، وهم أئمة القادة
المخلصين .

ولا رب أن الوحدة التي ندعو اليها في عصرنا هذا :

وطنية ، وعربية ، وإسلامية ، وإنسانية أساس أصله ثابت
وفرعه في السماء لوحدة الصفوف .

وان مرجع هذه الوحدة ومصدرها في كل حين هو التأمل
في رسالات المرسلين ، والوقوف عند العظات والعبر منها .

ووحدة الاله العلى العظيم الذى أرسل المرسلين جميعا جعلت رسالات السماء مشتركة فى مبادئ واحدة بين يديها «التوحيد» .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » .

ولا تكمل عقيدة المسلم الا اذا آمن باليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، والأنبياء جميعا ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وتحلى بمكارم الأخلاق .

بهذا دعت الآيات والأحاديث النبوية الشريفة :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير » .

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

ويقول الرسول الكريم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فجمله وحسنه ، وزينه الا موضع لبنة فيه ، فكان كل من رأى البيت يقول : ما أجمله ! .. ما أحسنه ! .. لو وضعت فيه هذه اللبنة ، فانا اللبنة ، وانا خاتم النبيين .

وان التوعية ، التى تبنى العقول ، وتضئ جوانب النفوس ، وتزكى نواحي الأرواح لهى الغذاء الفكرى والعقلى ، تدعو إليها الحياة الرفيعة ويهيب بها الدين الحنيف أبدا .

وهذا الكتاب الذى يجده القارىء بين يديه هو غذاء هذه المبادئ جميعا ، بما قدم من التصوير الواعى لقادة الرسل وأولى العزم منهم لمؤلفه الفاضل الأستاذ الكبير عبد المعطى اسماعيل عبادة ، الذى قضى بتوفيق الله ما مضى من سنى حياته المباركة بفضل الله مجاهدا فى سبيل العلم ، موجها للأساتذة والمربين ، حارسا لغة التراث العربى والقرآن فى وزارة التربية والتعليم ، وقد صار له بحمد الله من وراء قراءاته الواسعة ، توجيهاته النافعة البناءة خبرات مثمرة ، دانية القطوف .

وهذا الكتاب « أولو العزم من الرسل » ثمرة ناضجة لذلك كله ، يسرنا أن نقدمه لجماهير المسلمين ، ويسعدنا أن يجدوا فيه اتصالات بمبادئ القدوة الحسنة .

وانا لنهيب بأبنائنا الكتاب المسلمين أن ينحوا مناحي استجلاء
العظمة في حياة من زكاهم الله من الأنبياء والمرسلين ، ومن
صديقهم وتابعهم باحسان .

نسأل الله أن يتقبل هذا العمل الجليل من المؤلف الفاضل بقبول
حسن ، وإن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم المربي الكبير الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية والعميد السابق لكلية دار العلوم .

لله وحده الحمد في السموات والأرض ، وفي الأولى والآخرة ، وعلى رسله الطاهرين ، و « أولى العزم » المقربين أزكى الصلاة والسلام .

أما بعد ، فطالما تمنيت أن أرى بين كتب الثقافة الإسلامية كتابا يعالج حياة الرسل علاجاً علمياً يجلو أماناً ما لقيه هؤلاء من صعاب ، وما احتملوه في سبيل تأدية رسالتهم من اضطهاد ، وثلب ، وبؤس ، وعذاب « فما زأغت منهم عقيدة ، ولا وهنت لهم عزيمة ، بل صبروا ، وصابروا ، واستعذبوا كل ألم ، وتجلدوا لكل مكروه ، لأن نفوسهم زاكية صافية ، وعقولهم راجحة ، وهم المثل العليا نورا ، وهدى « وقادة المجاهدين لنشر الدعوة ، ودعم الإيمان ، والوحدة منشؤها التأمل في تلك الرسائل ، وما لها من عبر وعظات أساسها التوحيد .

كان تأليف مثل هذا الكتاب من أعز الأمنى التى تجيش فى صدرى منذ زمن طويل ، حتى جاءنى الصديق الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عبادة وأسمعننى صفحات كثيرة من كتاب له لم يطبع بعد ، هو « أولو العزم من الرسل » .

ولقد رأيت فى كتابه هذا ما شفى غلتى ، وحقق أمنيتى ، وملاً فراغا كانت المكتبة العربية الإسلامية فى أشد الحاجة الى أن تملأه .

وانى لأتطلع فى شغف الى ذلك اليوم الذى أرى فيه هذا الكتاب منشورا بين أيدي القراء فى طبع أتيق ، واخراج حسن .

على أنه مما أسعدنى أن يكون مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ عبادة ، فأنى أعرف عن يقين ما أمتاز به الأستاذ من سعة الاطلاع ،

ودقة البحث ، وحسن الاختيار ، والقدرة على تجميع الحقائق للوصول منها الى نتائج لا يأتيها الباطل ، ولا يتطرق اليها شكوك ، أو ريب .

وما من شك في أن هذا الكتاب سيكون مزجج الرواد من طبقات المتعلمين ، وذخيرة الراغبين من المثقفين ، لأنهم سوف يجنون منه فوائد عظيى بفضل ما يعرضه من أمثال رائعة فى الصبر ، والجلد ، والمثابرة فى سبيل تحقيق المبادئ السامية ، والقيم الانسانية .

ولم يكن العرب والمسلمون بأشد حاجة الى التفرع بالصبر ، والعزم منهم الآن ، وبخاصة فى هذه المرحلة التى نجتازها اليوم .

والله أسأل للكتاب حسن القبول ..

ولؤلفه حسن المثوبة ..

تقديم

بقلم فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أمين النواوى

المدير العام للتعليم الثانوى بالأزهر
والأستاذ بالدراسات العليا بجامعة الأزهر

الحمد لله الذى هدانا لهذا بهدائه الى سنن المرسلين ، وسبيلهم
الأمر القويم متمثلا ذلك فى قصصهم العظيم الذى نوه الله سبحانه
به فى كتابه الكريم اذ يقول : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى
الالباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه .
وتفصيل كل شئ » ، وهدى ورحة لقوم يؤمنون » .

وقال سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا
إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ،
وخاتما لأولئك النبیین والمرسلين فصار على هديهم وسننهم تبعاً
لقول الله سبحانه وتعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده » .

وبعد فقد طالما كنا نتشوق ولا نزال نتشوق أن نطلع على كتاب
يبين لنا تاريخ هؤلاء الأنبياء الصالحين ، أو جانباً من تاريخهم
صلوات الله عليهم أجمعين .

وطالما كنا نتشوق الى مؤلف متقن ، صاف خالص ، صادق فى
شأن أعز الخلق على الله وأعظمهم شأنًا عند الله نهتدى به الى
السلوك القويم ، ونسير به على جادة الصراط المستقيم بدلا من
تاريخ شكسبير ، ونابليون ، وجان جاك روسو وغير هؤلاء ممن
لا يفيد التعرف الى تاريخهم ديناً ، ولا خلقاً .

ونحن أحوج ما نكون الى ما يقوم أعوجاج شبابنا وينهض
بأخلاقنا ، وأخلاق ابنائنا .

وكنا نتعطش فى هذا المؤلف أن يكون متجرداً من تلك الخرافات
وهاتيك الاسرائيليات التى ملأت أدمغة كثير من الجاهلين الذين

هم عن الصراط ناكبون بما تضاعف جهالاتهم ، وتتراكم نكباتهم
وتنكباتهم .

تالله لقد كانت تلك أمّيتنا حتى رأينا بعض المصلحين وهب لها
النفيس من عمره ووفر عليها الساعات الغالية من حياته .

ورأينا من بين هؤلاء ذلك الرجل الذى طلع علينا بكتابه القيم
العظيم ولم يكن لنا به ورب الكعبة سابق معرفة من قبل الا بهذا
الكتاب ، وفى هذا الكتاب .

فحين رأيته تلففته من يده تلقف الضالة المشوذة ، وضممته
الى صدرى ضم الحبيب الى اعز الاحبة .

ذلك حينما لمست فيه تحقيق تلك البغية ، وتوغير تلك الرغبة .

وقد تصفحت الكتاب فوجدت فيه طائفة بعيدة المنال على غير
الأغاذ من الرجال ، اذ انها هى فنون صادقة ، وعروض بينة
واضحة لا تشوبها شائبة ، تطمئن اليها كل نفس مؤمنة ، وتسير
على نهجها الذى هو خير لهم فى الانسانية .

والكتاب يتعرض لاولى العزم الخمسة من الرسل الذين بينهم
الله تعالى فى كتابه بقوله : « واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ،
ومنك ، ومن نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ،
واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

وهو يعرضها عرضا على قسطاس مستقيم ، بلا لغو ،
ولا اسفاف ، ولا اخلال ، ولا اجحاف ، فيذكر عن كل واحد من
هؤلاء الصفوة مولده ، ونشأته ، وصلته بمن حوله وما قام به
حيال رسالته ، وما قابل به كل صدمة من صبر ، وتسليم ، وكفاح
مستديم . وهو مثابر لا يفتر ، ولا يهن ، ومن ورائه قوة الله ،
وقدرته ، ومعاونته ، ونصرته التى منحها عباده المرسلين ،
ووهبها لجميع المصالحين الصادقين ، كما يقول سبحانه فى كتابه :
« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان
جندنا لهم الغالبون » .

ويقول سبحانه : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة
الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

ولقد ضاعف قيمة هذا الكتاب منزلة فوق منزلته انه يخص
خاتم هؤلاء الرسل صلوات الله عليه بحصيلة كبيرة ، ومجموعة
جليلة ينشدها كل مسلم ، فان سيرته صلى الله عليه وسلم تجمع
سيرهم ، وهى المثل الأعلى ، فكل ناشد سبيل الحق والهدى وهى
وصية الله لعباده المؤمنين فى كتابه الكريم اذ يقول : « لقد كان

ولقد عنى بها اكرمه الله اكرم عناية ، فان النفع بها أكثر «
وذكر الله كثيرا » .

ولقد عنى بها اكرمه الله اكرم عناية ، فان النفع بها أكثر ؛
والفائدة فيها أجل وأعظم .

ففى الحق ما أحرى هذا التوجيه العظيم أن يكون نبراسا لكل
مصلح ، وأسوة لكل حريص على مجد شعبه ، ووطنه ، وإصلاح
ما فسد فى أمته ، أو فى غير أمته ، قياما بواجب الإنسانية ، وزكاة
للطاقات الحيوية ، فان الله سائل كل انسان عما منحه من نعمة «
ومستوجب عليه حق الشكر على كل منة .

فحبذا مجهودك يا عبد المعطى اسماعيل عبادة وسبحان الله
الحق المعطى .

وهلم ايها الشباب فارتشفوا من هذا الخضم العباب ، وهلم
ايها المصلحون فهذا بغيتكم ، وخير ما تتشددون حتى ينجع
إصلاحكم ، وتستقيم وسائلكم .

والله ولينا ، ووليكم ، وولى كل من يقدم خيرا لأمته ، ويبدل
نصحا صادقا لجماعته فى أى لون من ألوان النصح ، وأسداء
الخير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو مولانا ونعم المولى «
ونعم النصير .

« ١ »

نُوحٌ

عليه السلام رسول الله
وصانع الفلك بأعين
الله ووصيه

نوح عليه السلام بن لامك

مما أنبأنا به التاريخ القديم أن نوحا عليه السلام ولد وعاش في حاران التي دعت فيما بعد حوران بالجزء الشمالي الغربي من المملكة الأردنية الآن .

وقد اختار الله نوحا عليه السلام من بين قومه — وقد عكفوا زمنا طويلا على عبادة الأصنام يلتمسون خيرا ، ويتخذونها مدرا للشر ، لا يذرون عبادة ود ويسوع ويغوث ويعوق ونسرا .

عبادة لأصنام :

وكان فصيح اللسان ، واضح البيان ، واسع الصدر ، راجح العقل والرأى ، صبورا على الجدل . فأنذرهم بطش الله ، ورغبهم .

كان « نوح » فصيح اللسان :

في حسن ثوابه ، ففعلوا عن أمر ربهم ، وعموا ، وصموا ، ورأوا أن نوحا واحد منهم ، لا يمتاز عليهم بفضل من الثروة أو الجاه . وما هو بملك بعثه الله لهدايتهم ، وعجبوا أن جاءهم منذر منهم « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ، لينذركم ، ولتتقوا ولعلكم ترحمون » ، ولم يؤمن به الا شردمة (١) قليلون .

رأى قومه فيه :

ثابر على دعوتهم ليلا ونهارا ، وسرا واعلانا ، وأراهم بديع صنع الله في خلقه ، وسر الكون والحياة ، « جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا (٢) ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا »

منابرته على الدعوة سر الكون والحياة

وظل يقيم البراهين ، ويبسط الحجج للسادة والأشراف منهم وهم يتظاهرون (٣) على الاستهزاء به ، والسخرية منه ، ثم أمعنوا في الجدل ، وقالوا : يا نوح ان أقصيت هؤلاء الأوزاع (٤) وأبعدتهم عنك فقد فتحت لنا باب الهداية والإيمان بك . فقال لهم : كيف أقصى قوما آمنوا برسالتى ، وقاموا بنصرتى وما لقيت منكم الا النكران ؟ وماذا يكون موقفى أمام خالقي اذا خاصموني وشكونى إليه ؟

البراهين والحجج

ماذا طلبوا من « نوح » ؟

رد « نوح » عليهم :

(١) الشردمة : الجماعة القليلة من الناس .

(٢) استغشوا ثيابهم : تغطوا بها .

(٣) يتظاهرون : يتعاضدون .

(٤) الأوزاع : الأخطا من الناس .

وبين لهم أنه لا يطلب بدعوته جاها ، ولا مالا ، وإنما أجره عند الله تعالى ، يا قوم انى أراكم قوما تجهلون .

قال تعالى فى سورة « هود » :

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا(١) بادی(٢) الراى ، وما نرى لكم علينا من فضل . بل نظنكم كاذبين » ٢٧ قال : يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده فعميت(٣) عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟ ٢٨ ، ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى(٤) الا على الله . وما أنا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملاقوا ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون(٥) ٢٩ ، ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ٣٠ ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول : انى ملك ، ولا أقول للذين تزددى(٦) أعينكم : لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم ، انى اذا لمن الظالمين » ٣١ .

« نوح » يجتهد فى دعوته

بذل نوح عليه السلام غاية جهده فى دعوة قومه ، وصبر صبرا جميلا على اذائهم ، ومد لهم حبل الرجاء حتى لا تكون لهم حجة على الله بعد الرسل . وطال به الزمن وهو يغاديههم ويرأوهم بالنصح والارشاد فما زادهم الا نفورا ، واستكبارا فى الأرض . ومكر السيئ ، وتبرموا(٧) به ونالوه بالاذى ، وأمعنوا فى مراوغته فلم يصدع(٨) ذلك صفاة حلمه ، بل ضرب لهم الأمثال ، ووجه نظرهم الى صنع الله تعالى ورعايته لهم فى أدوار حياتهم الجنينية ، وحياتهم فى الدنيا ، وأن من أنشأهم قادر أن يعيدهم ويجازيهم ، فأعرضوا عنه ، واتبعوا خطأ بعض كبرائهم ، فما زادهم الا خسارا ، « قالوا يا نوح جادلنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ٣٢ ، قال انما يأتىكم به الله ان شاء ، وما أنتم بمعجزين ٣٣ ، ولا ينفعكم نصحى أن أردت أن أنصح لكم . ان كان الله يريد أن يغويكم(٩) هو ربكم واليه ترجعون » .

جهد « نوح »
وصبره :

تبرمهم به :
حلمه :
رعاية الله لهم :
إعراضهم عنه :

(١) أراذلنا : أخسأنا . جمع أرذل . وهو الرديء الدون .

(٢) بادی الراى : من غير تعمق فى الفكر .

(٣) فعميت عليكم : فاختفيت عنكم .

(٤) ان أجرى الا على الله : ما أجرى الا على الله .

(٥) تجهلون : تجهلون أقدارهم المعنوية .

(٦) تزددى أعينكم : تحقتر أعينكم .

(٧) تبرموا به : سئوه .

(٨) لم يصدع ذلك صفاة حلمه : لم يخرجه عن حلمه ، الصفاة : الصخرة الملساء .

(٩) أن يغويكم : أن يضلكم .

قال تعالى في سورة نوح :

« انا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل ان يأتيتهم عذاب اليم ١ ، قال : يا قوم انى لكم نذير مبين ٢ ، ان أعبدوا الله واتقوه واطيعون ٣ يغفر لكم من ذنوبكم ، ويؤخركم الى أجل مسمى ، ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤ » ، قال : رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا ٥ فلم يزدتهم دعائى الا غارا ٦ ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ٧ ثيابهم ، وأصروا ٨ ، واستكبروا استكبارا ٩ ، ثم انى دعوتهم جهارا ١٠ ثم انى أعلنت لهم وأسررت ١١ لهم أسرارا ١٢ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ١٣ يرسل السماء ١٤ عليكم مدرارا ١٥ ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا ١٦ ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ١٧ وقد خلقكم أطوارا ١٨ ؟ ١٩ .

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ٢٠ وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ٢١ ، والله أنبتكم ٢٢ من الأرض نباتا ٢٣ ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ٢٤ ، والله جعل لكم الأرض بساطا ٢٥ ، لتسلكوا منها سبلا ٢٦ (١١) فجاجا ٢٧ قال نوح : رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ٢٨ ، ومكروا مكرا كبارا ٢٩ (١٢) ٢٢ ، وقالوا : لا تدرن ٢٣ آلهتكم ٢٤ ولا تدرن ٢٥ ودا ٢٦ (١٤) ، ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ٢٧ ٢٣ ، وقد أضلوا كثيرا ٢٨ . ولا ترد الظالمين الا ضلالا ٢٩ » .

يأس نوح من هداية قومه

يأس نوح عليه السلام من ايمان قومه ، وكاد صبره ينفد بعد خمسين وتسعمائة سنة اقامها بينهم يدعوهم الى عبادة الله وحده .
نصحه وارشاده :
وكاد صبر « نوح » ينفد :
ونبذ ما يعبدون من دونه ، ولم يألهم نصحا وارشادا .

- (١) استغشوا ثيابهم : تغطوا بها لئلا يروى كراهة النظر الى .
- (٢) أصروا : ألحوا وتشددوا فى التمسك به .
- (٣) جهارا : علانية .
- (٤) أسررت : أخفيت .
- (٥) يرسل السماء : يرسل السحاب او المطر .
- (٦) مدرارا : كثير الدرور .
- (٧) لا ترجون لله وقارا : لا تأملون له توقيرا وتعظيما .
- (٨) وقد خلقكم أطوارا : خلقكم طورا بعد طور ٥ فقد كنتم أولا من العناصر الأرضية ، ثم مركبات تغذى بها الانسان ، ثم أخلاطا ٥ ثم نطفة ... الخ .
- (٩) طباقا : جمع طبقة .
- (١٠) أنبتكم من الأرض نباتا : أنشأكم منها .
- (١١) سبلا فجاجا : طرقا واسعة .
- (١٢) كبارا : كبيرا جدا .
- (١٣) لا تدرن : لا تتركن .
- (١٤) ودا ... الخ : أسماء أصنام .

قال تعالى في سورة هود : « وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ، فلا تبتنس بما كانوا يفعلون ٣٦ » .

وابتهل الى الله بالدعاء عليهم فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (١) ، ٢٦ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا (٢) كفارا » ٢٧ — من سورة نوح .

نوح عليه السلام يصنع السفينة

استجاب الله دعاء نوح عليه السلام ، وأوحى اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا لينجو هو ومن آمن به من الغرق . فاتخذ لذلك مكانا قصيا ، وأخذ يصنعها ، وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه ، فقالت طائفة منهم ، أزهت يا نوح في الرسالة ، ورغبت في النجارة ؟

قوم نوح يسخرون منه !

وقالت طائفة أخرى : لماذا اتخذت لسفينتك هذا المكان بعيدا عن الماء ؟ أيجرها الثيران بعد أم يحملها الهواء ؟ فمر على استهزائهم من الكرام على لغو الكلام ، وقال : « ان تسخروا منا فانا نسكر منكم كما تسخرون ٣٨ ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » ٣٩ .

لم يكثر نوح استهزائهم به !

نوح أتم صنع سفينته

أقام نوح ألواح السفينة ، ووصلل أجزاءها حتى اذا ظهرت آيات الله ، وجاء أمره ، وفار تنور أهله ، وانبتق الماء فيه ، وتفجرت عيون الأرض ، وأصابها وابل من السماء ، وبلغ السيل الزبى أسرع نوح فادخل في سفينته من كل زوجين اثنين ، وحمل أهله الا زوجه ، وكان المؤمنون به قليلين ، قيل : ستة ، وقيل : أربعون رجلا وامراة .

ظهور آيات الله :

نوح ينفذ أمر ربه :

المؤمنون بنوح :

وحملت المياه السفينة ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين « فلم يأبه لأبيه الرحيم ، وقال : « ساوى الى جبل يعصمنى من الماء » ، وصار هو ومن معه يصارعون الأمواج والأمواج تصرعهم ، ويقالبون الموت والموت يغلبهم حتى أنجز الله وعده ففرقوا جميعا . وسارت السفينة باسم الله مجريها ومرساها .

نوح ينادى ابنه :

أنجز الله وعده :

(١) ديارا . أحدا وهو مما يستعمل في الننى العام .

(٢) فاجرا : فاسقا منبعثا في المعاصي .

هم سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، وياث أبو الترك
ويأجوج ومأجوج . ويام الذي غرق في الطوفان .

اولاد ■ نوح «
عليه السلام :

نوح عليه السلام يستشفع في ابنه

توجه نوح عليه السلام الى ربه يستنجز وعده بنجاة اهله .
فقال: رب ان ابني من أهلي، وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين»
فأوحى الله اليه : يا نوح انه ليس من اهلك لقد حققت عليه
كلمة الكفر . أما اهلك فهم المؤمنون بك ■ المستجيبون لدعوتك ■
المصدقون برسالتك . وهم الذين وعدتك بنجاتهم . ■ وكان حقا
علينا نصر المؤمنين » .

■ نوح « يستنجز
وعد الله
من هم اهل «نوح»

بلوغ السفينة غايتها

ثم بلغت الأرض ماءها ، وأقلعت السماء ■ وغيض الماء ، وقضى
الامر ، واستوت السفينة على جبل الجودي من ديار بكر ، ويسمى
في التوراة : أراراط ، وخرج من فيها ، وبارك الله فيهم فكثروا
وملأوا الأرض ، قال تعالى : « وجعلنا ذريته هم الباقين » .

جبل « الجودي » :

قال تعالى في سورة هود :

واصنع الفلك بأعيننا (١) ووحينا (٢) ، ولا تخاطبني في الذين
ظلموا ، انهم مغرقون ٣٧ . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من
قومه سخروا منه ، قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما
تسخرون ٣٨ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم ٣٩ ، حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور (٣) قلنا : احمل
فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن
آمن ، وما آمن معه الا قليل ٤٠ ، وقال : اركبوا فيها باسم
الله مجريها (٤) ومرساها ان ربي لغفور رحيم ٤١ ، وهي تجري
بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان في معزل (٥) : يا بني
اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ٤٢ قال : سآوى الى جبل
يعصمني من الماء قال : لا عصم اليوم من امر الله الا من رحم ،
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ٤٣ وقيل : يا أرض ابلعي

(١) بأعيننا : تحت رعايتنا .

(٢) ووحينا : بارئساد وحيننا .

(٣) فار التنور : نبع الماء من الفرن على طريق الاعجاز .

(٤) باسم الله مجريها ومرساها : باسم الله وقت جريها وارسائها ، أو مكانها .

(٥) في معزل : في مكان عزل نفسه فيه عن أبيه .

ماءك ، ويا سماء أقلعي (١) ، وغيض الماء (٢) . وقضى الأمر ، واستوت (٣) على الجودي وقيل : بعدا للقوم للظالمين ٤٤ . ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابني من أهلي ، وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين ٤٥ ، قال : يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، اني أعظك أن تكون من الجاهلين ٤٦ ، قال : رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ٤٧ ، قيل : يا نوح اهبط (٤) بسلام منا وبركات عليك (٥) ، وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم (٦) ثم يمسهم منا عذاب أليم ٤٨ .

طوفان نوح

يميل بعض العلماء الى أن طوفان نوح عليه السلام قد عم الكرة الأرضية ، وترى ذلك طائفة من علماء الجيولوجيا قائلين : انا وجدنا في أعالي الجبال بقايا حيوانية من الأحياء لا تعيش الا في الماء ، واستدلوا بذلك على وجود طوفان على هذه الجبال ، بل على وجود كثير من الطوفانات ، لأن في هذه البقايا اختلافا في العمر ، وقد يكون طوفان نوح عليه السلام واحدا منها .

عمومه :

ويرى فريق آخر أن الطوفان كان على الجهة التي سكنها نوح وقومه ، أما بقية الكرة الأرضية فلم يعمها هذا الطوفان .

خصوصه :

ويستأنسون لذلك بأن الهند يزعمون أن تاريخهم الماضي أبعد مما قدرت التوراة لنوح وطوفانه .

زعم الهند :

وما يدرينا ، فلعل نوحا كان أبعد مما زعم الهند .

القرآن الكريم

وليس في القرآن الكريم نص في هذا ، فكل ما ذكره أن قوم نوح عصوه فأغرقهم الله بالطوفان ، ونجى نوحا ومن آمن به في الفلك ، وجعل ذريته هم الباقين .

ما ذكره القرآن الكريم :

وكلا الرأيين محتمل ، بيد أن عدم انتشار النوع الانساني في

الترجيح :

- (١) أقلعي : أمسكى ، وكفى .
- (٢) غيض الماء : نقص ، أو تسرب تحت الأرض .
- (٣) استوت على الجودي : استقرت على جبل الجودي .
- (٤) اهبط بسلام منا : أنزل من السفينة بسلام منا . أو مسلما عليك منا .
- (٥) وبركات : وزيادات في رزقك ونسلك .. الخ .
- (٦) وأمم سنمتعهم : ومن معك أمة سنمتعهم في الحياة . ثم يمسهم منا عذاب أليم .

جميع الكرة الأرضية ، وانحصاره في الناحية التي عبها الطوفان
وأنهم قد هلكوا ، وبقي نوح وذريته : يرجح خصوصه .

أين جبل الجودى ؟

جبل الجودى في نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة ، وهو يتصل
بجبال أرمينية .

وفي القاموس المحيط : والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه
سفينة نوح عليه السلام ، ويسمى في التوراة — أراراط — .

وفي التوراة : ان نوحا عليه السلام قد عاش في الأرض التي
رسا عليها فلكه جبل الجودى بالجزيرة ، مشغلا بالفلاحة .

أطفال الآثمين من قوم نوح

قد لا تصيب النعمة الظالمين خاصة « واتقوا فتنة لا تصيبين
الذين ظلموا منكم خاصة » .

قد لا تصيب النعمة
الظالمين خاصة :

وان علم هؤلاء الكافرين بهلاك أطفالهم معهم جعل عذابهم
مضاعفا ، وقد كان ذلك اشد تنكيلا بهم .

مضاعفة عذاب
الكافرين :

سفينة نوح عليه السلام

لم ينص القرآن الكريم على حجم سفينة نوح وأبعادها ، وإنما
وصفها بأنها الفلك المشحون وبأنها ذات الواح ودر .

در : جمع دسار وهو المسمار .

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »

القرآن الكريم يرينا ان ابن نوح قد هلك بدعوة أبيه ، فقد
دعا نوح على قومه فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » .
سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .

دعاء « نوح » على
قومه :

ولم يستثن ابنه — وهو كافر — فكان في جملة من دعا عليهم
بالهلاك .

لم يستثن ابنه :

ودعا ربه فقال : « رب اغفر لى ولوالدى ولن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات » .

« نوح » يدعو ربه

وهذه الدعوة لم تشمل ابنه ، فانه قد دخل بيته ، ولكنه لم يكن مؤمنا ، فاستثنى من هذه الدعوة .

الدعوة لم تشمل ابنه :

ثم قال بعد ذلك : « ولا تزد الظالمين الا تبارا » (١) ٢٨ نوح .

فدخل ابنه فى الظالمين ، لانه كافر ، والكافر ظالم .

دخول ابنه فى الظالمين !

عمر نوح عليه السلام

ورد فى القرآن الكريم أن نوحا عليه السلام مكث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما .

« ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » — فى سورة العنكبوت .

عمر « نوح » عليه السلام :

وقيل : كان عمره ألفا وخمسين سنة .

فقد بعث على رأس أربعين سنة .

ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة .

وعاش بعد الطوفان ستين سنة .

وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة .

والله وحده واهب الحياة ، وموئلت الآجال .

مواطن العبرة فى رسالة نوح عليه السلام

١ — المؤمن القوى لا يبالى ما يلقى فى سبيل عقيدته ، فقد استقبل نوح عليه السلام من كبراء قومه التكذيب . والاحتقار . واستنكار أن يأتى لهدايتهم وهو لا يمتاز بفضل : « مانراك الا بشرا مثلنا » .

٢ — تقدير الانسان وثقة الناس به خلق كريم ، فكان لمن آمن بنوح وصدق برسالته مكانة لديه ، وصلة وطيدة به ، فلم يصغ الى آراء الناس فيهم : « وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » — « وما أنا بطارد الذين آمنوا » .

(١) التبار : الهلاك .

٣ — التواضع وعدم الفرور يدعوان الى الاطمئنان والرضا :
■ ولا أقول لكم : عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول :
انى ملك » .

٤ — ان ادراك السعادة والهداية الى الحق لا يكون بالثروة ،
وحسن المنظر ، وانما يكون باطمئنان النفس وبلوغ الهدى ، وان
الأمر لله وحده : « ولا أقول للذين تزدري أعينكم : لن يؤتيهم الله
خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم » . ٣١ هود

٥ — الزهد فى الدنيا وعدم الطمع فى الأجر لقاء العمل الصالح
سبيل الانسان الفاضل : « ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، ان
أجرى الا على الله » . ٢٩ هود

٦ — نهى الله نوحا عليه السلام ان يشفع فى ابنه ، لانه من
الذين ظلموا . فكان من المغرقين . ونجى الله نوحا ومن آمن به .

« ٢ »

ابراهيم
عليه السلام
رسول الله وخليفه

٢ - ابراهيم عليه السلام

من أبوه : قال تعالى : « واذ قال ابراهيم ، لأبيه « آزر » . أنتخذ أصناما آلهة »

اختلف المفسرون في اسم أبى ابراهيم :

فبعد بعضهم آزر — أباه .. وجعل آزر عطف بيان لأبيه ، وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح كآدم .

اسم أبى ابراهيم : وقيل : هما علمان ، كاسرائيل ، ويعقوب .

ومن قائل العلم تارح ، وآزر وصف له .

مولده ونشأته

يرجح أن ابراهيم عليه السلام ولد في أور الكلدانيين بالعراق ، فقد ورد في التوراة أن أخاه هاران أباً لوط عليه السلام قد مات في المكان الذى ولد فيه وهو أور الكلدانيين . وأن ابراهيم عليه السلام ولد في هذا المكان ، وعاش فيه حتى وفاة أخيه .

ومما قيل : أن أمه عو شاء قد أجاءها المخاض الى كهف قريب من قرية « كوثى » بالعراق ، فوضعت فيه . وهناك رأى ابراهيم — أول مارأى — نور الحياة . وقد نجا من الملك نمرود الذى أزعجته الرؤى فدفعته الى مراقبة الحوامل ، وقتل الذكور من مواليدهن .

وقد نشأ بين قوم يفتنون الأصنام بأيديهم ، ويتخذونها أرباباً من دون الله ، قد أضلهم رغد العيش ، وأعمتهم ظلال النعمة فأثار الله بصيرة ابراهيم وأرشده الى الطريق القويم ، فعلم أن الأصنام لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تفهم ، ولا تتعقل ، وأن الله واحد ، عليم ، سميع ، بصير ، بيده الملك ، وهو على كل شئ قدير .

قوم « ابراهيم » :

بصرة « ابراهيم »

الأصنام لا تسمع :

الله واحد ... :

ابراهيم يسهفه أحلام قومه

لما رأى ابراهيم عليه السلام ما فيه قومه من غواية ، وجهالة صمم أن يسهفه أحلامهم ، ويخلصهم من الشرك والفساد ، فقد رآن العمه على قلوبهم فدأنوا « لنمرود بن كنعان » الذى دعاهم

غواية قوم

« ابراهيم »

وجهالتهم :

« نـمـرود بن كنعان » : وهو القابض على زمام الملك في بابل المستبد برأيه ، الحاكم بأمره .

يقين ابراهيم عليه السلام بقدره خالقه

كان ابراهيم عليه السلام مؤمنا « عميق الايمان بالبعث بعد الموت ، وبالحساب على الأعمال في الآخرة ، ولكنه أحب أن يزداد يقينا وأن يبصر الآية البينة على ذلك . فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ويبعثهم بعد فنائهم . فقال الله له : أو لم تؤمن قال : بلى قد آمننت ، ولكن تاقت نفسي الى المشاهدة ، ليطمئن قلبي ، فاستجاب الله له ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير ، ويضعها اليه ، ثم يجعلها أجزاء ، ويضع على كل جبل منهن جزءا ، ثم يدعوهن اليه فيأتينه سعيا باذن الله ، فلما فعل عادت الأجزاء كل في مكانه ، وسرت فيها الحياة ، وسعت اليه بقدره الله تعالى ، فرأى آيات ربه الباهرة ، وقدرته البينة .

إيمان « ابراهيم » :

« ابراهيم » يسأل ربه :

حب الاستطلاع :

أربعة من الطير :

فمن ذا الذى يساوره أدنى شك في قدرة الله على بعث الموتى . ونشرهم بعد موتهم — وقد لمس عظمته وجلاله فيما صنع ، وفيما أوحى ؟

قدرة الله وعظمته :

قال تعالى في سورة الأنبياء :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ٥١ ، اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ٥٢ ، قالوا : وجدنا آبائنا لها عابدين ٥٣ قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ٥٤ . قالوا : أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين ٥٥ ؟ قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين » ٥٦ .

ابراهيم يفهم قومه قدر آلهتهم

أقام القوم على عبادة آلهتهم ، ولم يفهم عنها النصح والارشاد . ويدلى بالبرهان العملى أنها لا تضرهم اذا تركوها ، ولا تنفعهم اذا عبدوها ، فقال : « وتالله لا يكيدن (١) أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ٥٧ . فجعلهم جذا (٢) الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ٥٨ ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه لن الظالمين ٥٩ . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٦٠ في سورة « الأنبياء » .

٢ ابراهيم يدلى بالبرهان العملى :

(١) لا يكيدن أصنامكم : لا كسرنها .

(٢) جذا : قطعا .

محكمة ابراهيم

قال تعالى في سورة الانبياء :

« قالوا : فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ٦١ قالوا : أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ ٦٢ قال : « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون ٦٣ . فرجعوا الى أنفسهم ، فقالوا : انكم انتم الظالمون » ٦٤ . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » ٦٥ .

حجة ابراهيم

الزامهم الحجة : كانت حجة ابراهيم ساطعة ، بينة ، ورأى ان يلزمهم اياها ، فقال : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ٦٦ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ٦٧ » . في سورة الانبياء .

فلما لم تجد حجته سبيلا الى قلوبهم وعقولهم وأذنانهم عمدوا الى ما يسلكه القوى المبطل مع الضعيف الحق .

النار «برد وسلام»
على « ابراهيم » : قالوا : حرقوه (١) وانصروا آلهتهم ان كنتم فاعلين ٦٨ ، قلنا : يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ٦٩ ، وأرادوا به كيدا (٢) فجعلناهم الاخسرين ٧٠ ، ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ٧١ ، ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة (٣) . وكلا جعلنا صالحين ٧٢ . من سورة « الانبياء » .

ادب ابراهيم مع ابيه

تلفظ ابراهيم في دعوة ابيه ، وخفض له جناح الرأفة والحلم ، فلم يسفه معبوداته ، ولم يحقر آلهته ، بل استثار عطفه بذكر رسالته ثم سأل في أدب جم عن سبب عكوفه على عبادة ما لا يسمع دعاءه ، ولا يبصر خشوعه ، ولا يدفع ضرا ، ولا يجلب نفعا .

بر « ابراهيم »
بابيه :
ادب « ابراهيم » :

وأراد أن يبصره بقدره ومنزلته فقال :

يا أبت لا تنكف (٤) عن متابعتى ، فقد أوتيت ما لم تؤته من العلم

(١) حرقوه ! أحرقوه .

(٢) أرادوا به كيدا : أرادوا به مكرا .

(٣) نافلة : عطية زائدة .

(٤) لا تنكف عن متابعتى : لا تمتنع عن متابعتى .

والمعرفة ، وما بلغت شأوك ، فانت أبي ، ثم رجاء أن يسير على هديه ، ليكون على الصراط المستقيم ، وأن ينأى عن عبادة الأصنام ، فذلك طريق الشيطان الرجيم .

■ تجاهل أبيه ■
■ وعناده ■
فتجاهل أبوه نبوته ، وأصر على ضلاله وعناده ■ واحتقر شأنه ، وقال : « أرغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ■ لأن لم تنته لأرجمك (١) ، واهجرنى مليا (٢) — من سورة مريم .

كـرم نفس
■ إبراهيم ■ :
فتلقى إبراهيم كلمات أبيه بنفس كريمة مطمئنة ، وقال : سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا (٣) ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى ، عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا » — من سورة « مريم » .

وعاد إبراهيم كئيبا حزينا ، لأنه لم يجد من أبيه ما كان يرجو من استجابته لدعوته ، ثم اعتزله .

صفات «إبراهيم» :
و القرآن الكريم يذكر لإبراهيم عليه السلام حلمه ■ ورقة قلبه ، وعطفه ، وبره بأبيه مع قسوته عليه ■ فيقول فى سورة « مريم » :

« وأذكر فى الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا (٤) » ٤١ ■ اذ قال لأبيه : يا أبت (٥) لم تعبد ما لا يسمع ■ ولا يبصر ، ولا يغنى عنك شيئا ٤٢ . يا أبت انى قد جاعنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا (٦) ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا (٧) ٤٤ ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان (٨) وليا ٤٥ . قال : أرغب (٩) أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟ لأن لم تنته لأرجمك ، واهجرنى مليا ٤٦ ■ قال : سلام عليك سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيا ٤٧ ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى (١٠) ، عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا ٤٨ .

طريقة إبراهيم الحوارية

لما رأى إبراهيم عليه السلام أن قومه كانوا ينحتون الأصنام على أسماء الكواكب ، كالشمس ، والقمر ، وما اليهما بين لهم أن حوار «إبراهيم» :

- (١) لأرجمك : لأقتلك رميا بالحجارة .
- (٢) واهجرنى مليا : واهجرنى زمانا طويلا ■ من : أبلى له : مد ■ واطال .
- (٣) حفيا : برا ، لطيفا .
- (٤) صديقا : ملازما للصدق كثير التصديق .
- (٥) يا أبت : يا أبى .
- (٦) صراطا سويا : طريقا مستقيما .
- (٧) عصيا : عاصيا .
- (٨) فتكون للشيطان وليا : قريبا فى اللعن ، تليه ويليك ، أو ثابتا على موالاته .
- (٩) أرغب أنت عن آلهتى : رغب عن الشيء : رفضه .
- (١٠) عسى : فعل جامد ، معناه : يرجى ■ ويتوقع .

هذه الكواكب لا ينبغي أن تكون آلهة ، وإنما الإله هو الذى خلقهن ، وبيده ملكوت السموات والأرض ، وأن الاستعانة بغيره باطلة .

يتدرج بذلك معهم فى تكوين العقيدة ، ويحتج لدينه ■ وبزيف دينهم ، ثم يتوجه الى الله بالعبادة قائلا : انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا (١) ■ وما أنا من المشركين ■

التدرج فى تكوين
المعبودة :

قال تعالى فى سورة « الانعام »

« واذا قال ابراهيم « لأبيه آزر : « أتتخذ أصناما آلهة ! انى أراك وقومك فى ضلال مبين ٧٤ ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين ٧٥ ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الافلين ٧٦ . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى ■ فلما أفل قال:لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين » ٧٧ ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر « فلما أفلت قال : يا قوم انى برىء مما تشركون ٧٨ ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ٧٩ » .

يبين « ابراهيم »
لقومه أن هذه
الكواكب لا ينبغي
أن تكون آلهة :

قوم ابراهيم عليه السلام يحاجونه

وحاجه (٢) قومه ، قال : اتحاجونى فى الله وقد هدان ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا ، وسع ربى كل شيء علما ، أفلا تتذكرون ؟ ٨٠ ، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا (٢) ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن أن كنتم تعلمون ؟ ٨١ ، الذين آمنوا ولم يلبسوا (٤) إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ٨٢ .

وتلك حجتنا آتيناها (٥) ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ٨٣ .

مسلك فى الحوار

وكان مما سلك فى حوارهِ أنه حين نظر فى المعبودات لم ترقه الأصنام . فظن النجم هو الإله ، فلما أفل انصرف عنه ■ وانتقل

النجم والقمر
والشمس :

- (١) حنيفا : مخلصا ، مائلا عن العقائد الزائفة .
- (٢) وحاجه قومه : وجادله قومه .
- (٣) سلطانا : حجة ودليلا ناهضا .
- (٤) لم يلبسوا : لم يخلطوا .
- (٥) حجتنا : دليلنا .

الى القمر ، فلما افل تركه ، وانتقل الى الشمس ، فلما افلت
علم ان الاله غير هذه كلها .

ابراهيم يحاج الملك

النمرود بن كنعان: اراد الملك نمرود بن كنعان ان يجعل ابراهيم « في دين قومه ،
فيعبده وآلهته ، وان يرجع عن دينه الجديد .

قال تعالى في سورة البقرة : « ألم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه ان آتاه (١) الله الملك ، اذ قال ابراهيم ، ربى الذى
يحى ويميت قال : أنا أحيى وأميت ، قال : ابراهيم : فان الله ياتى
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب (٢) فبهت الذى كفر ،
والله لا يهدى القوم الظالمين » ٢٥٨ .

الاحياء والامانة :
المطالبة باتيان
الشمس من المغرب

مواقف ابراهيم

تمدد مواقف
ابراهيم :
تعددت مواقف « ابراهيم » ، فتارة يحاج أباه ، وطورا يحاج
قومه ، وحيناً يحاج الملك ، وأحياناً يرغم قومه على محاجته ،
فيحطم الأصنام ، ليحاجوه فى شأنها . فهو دائب الجدل لا يفتـر .
قال تعالى فى سورة « الصافات » :

« وان من شيعته (٣) لابراهيم ٨٣ ، اذ جاء ربه بقلب سليم
٨٤ ، اذ قال لأبيه وقومه : ماذا تعبدون ؟ ٨٥ ، أنفكا (٤) آلهة
دون الله تريدون ؟ ٨٦ ، فما ظنكم برب العالمين ؟ » ٨٧ ، فنظر
نظرة فى النجوم ٨٨ ، فقال انى سقيم ٨٩ ، فتولوا عنه مدبرين
٩٠ ، فراغ (٥) الى آلهتهم فقال : ألا تأكلون ٩١ ؟ مالكم لا تنطقون ؟
٩٢ . فراغ عليهم ضرباً باليمين ٩٣ ، فأقبلوا اليه يزفون (٦) ٩٤ ،
قال : أتعبدون ما تنحتون ٩٥ ، والله خلقكم وما تعلمون » لا قالوا :
ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم » ٩٧ « فأرادوا به كيدا فجعلناهم
الأسفلين ، وقال : انى ذاهب الى ربى سيهدين » ٩٩

نظرة « ابراهيم »
فى النجوم :
« ابراهيم » يكسر
آلهتهم :
يلقون « ابراهيم »
فى النار :

وقال تعالى فى سورة « الشعراء » :

« واتل عليهم نبأ ابراهيم ٦٩ ، اذ قال لأبيه وقومه : ماتعبدون ؟

-
- (١) أن آتاه الله الملك : لأن آتاه الله الملك ، أى أبطره ابتاء الملك .
(٢) بهت : صار مبهوراً ، متحيراً .
(٣) شيعته : حزبه .
(٤) انفكا : كذباً .
(٥) فراغ : مال بهيلة .
(٦) يزفون : يسرعون .
(٧) اتل : أقرأ .

٧٠ . قالوا : نعبد اصناما (١) فنظل لها عاكفين (٢) « قال : هل يسمعونكم اذ تدعون ٧٢ ؟ أو ينفعونكم أو يضرون » ٧٣ . قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون « ٧٤ ، قال : أفسرايتم ما كنتم تعبدون ٧٥ أنتم وآباؤكم الأقدمون ٧٦ « فانهم عدو لى الا رب العالمين ٧٧ الذى خلقنى فهو يهدين ٧٨ ، والذى هو يطمئنى ويستقي ٧٩ ، واذا مرضت فهو يشفين ٨٠ ، والذى يميتنى ثم يحيين ٨١ ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ٨٢ ، رب هب لى حكما (٣) والحقنى بالصالحين ٨٣ ، واجعل لى لسان (٤) صدق فى الآخرين (٥) ٨٤ ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ٨٥ ، واغفر لآبى ، انه كان من الضالين ٨٦ ، ولا تخزنى يوم يبعثون ٨٧ ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ٨٨ ، الا من أتى الله بقلب سليم ٨٩ «

يعبدون أصناما
لا تسع ولا تنفع
ولا تضر :

رب العالمين :

« ابراهيم » يدمو
ربه :

ابراهيم يخفق فى هداية قومه

حاول ابراهيم عليه السلام اقناع قومه بشتى الوسائل ، فلم يفرز منهم بطائل ، وجفوه ، والقوه فى النار فكانت بردا وسلاما عليه . وتوعده أبوه بالرجم اذا استمر على انكار ما يعبدون .

لم يفرز « ابراهيم »
من قومه بطائل :

وما آمن من قومه الا زوجه سارة وابن أخيه لوط بن هاران ابن تارح .

من آمن به :

وكان مما قاله ابراهيم لقومه : انما اتخذتم من دون الله أصناما لتجتبعوا على عبادتها فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، ومأواكم النار ومالك من ناصرين .

ما قاله « ابراهيم »
لقومه :

رحلة ابراهيم الى أور الكلدانيين

رغب ابراهيم عن أهله وقومه ، ولم يطب له المقام معهم ، فذهب الى « أور الكلدانيين » وهى مدينة كانت قرب الشطآن الغربى للفرات .

رغبة « ابراهيم »
من أهله وقومه :

وكان أبوه قد وعده أنه سيؤمن به ، فتوجه الى ربه واستغفره له ، ثم تبرأ منه ، اذ تبين له أنه مقيم على دين قومه .

استغفار « ابراهيم »
لابيه ، ثم تبرؤه
منه :

دليل ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة : « وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعداها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » .

(١) فنظل : فندوم .

(٢) عاكفين : مواظبين .

(٣) حكما : حكمة .

(٤) لسان صدق : حسن صيت .

(٥) فى الآخرين : فى الأقوام الآخرين الذين يتعاقبون الى آخر الدهر .

رحلته الى فلسطين

رحل ابراهيم الى فلسطين ترافقه زوجته سارة وابن أخيه لوط
و « لوط » : « ابراهيم »

ولما هاجر عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله
الى الحبشة قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان عثمان أول مهاجر
بأهله بعد لوط .

أقام ابراهيم و لوط في أرض الكنعانيين ولم يقيم طويلا . أرض الكنعانيين :

رحلته الى مصر

هبط ابراهيم عليه السلام تصحبه زوجته سارة الى مصر وقد
لمسا ضيق سبل العيش في الشام ، فقد شملها القحط والفلاء
في عهد ملوك الرعاة ، وهم العماليق ، ويسمى الرومان —
هكسوس الذين استبدوا حيناً من الزمان . ضيق العيش في
« الشام » : « العماليق » :

وكانت سارة ذات بشارة (١) ، ووضاعة (٢) ، فأغرى الملك بها
فدعا ابراهيم عليه السلام ، واستبان منه ما يربطهما من قرابه .
فحدثه أنها أخته ، وليست ذات بعل ، وأعلمها بذلك . بشارة « سارة »
حديث « ابراهيم » :

لم ينسها ما رأت من نعمة ، وبسطة عيش ، وسعة سلطان أن
تكون الوفية لزوجها ، ابراهيم المعتمدة بدينها ، فلم تعبأ بما
رأت ، وقد أسيت على مشهدها ، وكثبت ، فأوجس الملك خيفة
منها ، وأوى الى فراشه ، فرأى في منامه أن لها زوجا ، وأمر أن
يخلى سبيلها . وفاء « سارة »
لابراهيم :
رؤيا الملك :

ثم أطلق سراحها ، ووهب لها هاجر خادما . هاجر :

تلك رعاية الله تحوط ابراهيم وتكفؤه ، وترعى سارة ، وشاء
الله أن يقيم بمصر بعد زمانا مثابرا على عمله ، دعوبا ، واسمع
الصدر ، ودبيع النفس ، قد أحاطت به نعمة ربه ، وارتفع ذكره ،
فنقم عليه القوم سعة نعمته ، فرحل عنهم . رعاية الله :

(١) البشارة : الجبال .
(٢) الوضاعة : الحسن والنظافة .

ابراهيم يدخل بهاجر

هبة ملك مصر : وهب ملك مصر لسارة زوجة ابراهيم عليه السوم هاجر وهى جارية مصرية .

« سارة عاقر » : وكانت سارة عاقرا ، فتأملت لأنها لم تلد لابراهيم ولدا وقد كبرت
« ابراهيم » : ولا ترجو أن تكون أما ، فأتهمرت مع ابراهيم فدخل على هاجر
و « هاجر » : فأتت باسما عيل عليه السلام .

ابراهيم والملائكة

اكرام « ابراهيم » : استقبل ابراهيم عليه السلام ثلاثة رجال — وكان كريما مضيافا — فاقرب اليهم عجلا حنيذا ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ،
لضيفه : وأوجس منهم خيفة ، ثم علم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من قوم لوط .
(لوط) :

الملائكة تبشر ابراهيم باسحق

بشرى : قالت الملائكة لابراهيم : انا نبشرك بغلام عليم فقال ابراهيم :
أبشروني على أن مسنى الكبر ، وهذه امرأتى عاقر قد كبرت ؟

« سارة » تضحك : فلما سمعت سارة حديث الملائكة ضحكت (١) ، وأبدت غاية الاستغراب ، فذكرها الملائكة بقدره الله الذى لا يعجز شئ فى الأرض ولا فى السماء .

قال تعالى فى سورة « هود » :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى . قالوا سلاما قال : سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذا (٢) ٦٩ ، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم (٣) ، وأوجس منهم خيفة (٤) ، قالوا : لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط ٧٠ ، وامراته قائمة فضحكت ، فبشرناها باسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب ٧١ ، قالت : يا ويلتى (٥) : الذى وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ أن هذا لشئ عجب ٧٢ قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد « ٧٣ .

-
- (١) ضحكت : ضحكت سرورا بزوال الخوف ، أو حاضت .
(٢) عجلا حنيذا : مشويا فوق الحجارة .
(٣) نكرهم : أنكرهم .
(٤) أوجس منهم خيفة : أضمر منهم خوفا .
(٥) يا ويلتى : يا عجبا .

— دفاع إبراهيم عليه السلام عن ابن أخيه لوط —

خشى إبراهيم أن ينزل العذاب بابن أخيه لوط فقال للملائكة: ابن أخيه «لوط»: ■ إبراهيم يدافع عن

امراة «لوط»: ■ فقالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٢) ■

مجادلة إبراهيم عن قوم لوط

دفعت إبراهيم رقة قلبه، وشفقته أن يجادل في شأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم ■ رجاء أن يعفو الله عنهم، ويغفر لهم. شفقة «إبراهيم»: ■

قال تعالى في سورة «هود»:

«فلما ذهب عن إبراهيم الروع (٢)، وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ٧٤، أن إبراهيم لحليم، أواه، منيب (٤) ٧٥، يا إبراهيم أعرض عن هذا (٥)، أنه قد جاء أمر ربك، وأنهم آتيتهم عذاب غير مردود» ٧٦ ■ قد جاء أمر ربك:

وقال تعالى في سورة «الذاريات»:

«هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ٢٤، اذ دخلوا عليه فقالوا: سلا ما قال: سلام قوم منكرون ٢٥ فراغ (٦) إلى أهله فجاء بعجل سمين ٢٦، فقربه إليهم. قال: ألا تأكلون ٢٧؟ فأوجس منهم خيفة، قالوا: لا تخف، وبشره بغلام عليم ٢٨ ■

فأقبلت امرأته في صرة (٧) فصكت (٨) وجهها وقالت: عجوز عقيم (٩) ٢٩ ■ ■ امرأة إبراهيم:

قالوا: كذلك قال ربك، أنه هو الحكيم العليم ٣٠، قال: ■ إبراهيم يخاطب الملائكة:

- (١) سدوم: عظمى قرى قوم لوط.
- (٢) من الغابرين: من الظاهيين «الماضين».
- (٣) الروع: الخوف.
- (٤) منيب: راجع إلى الله.
- (٥) أعرض عن هذا: أعرض عن هذا الجدل.
- (٦) فراغ إلى أهله: مال إليهم سرا.
- (٧) صرة: صيحة «من الصرير» وهو التصويت.
- (٨) صكت وجهها: لطبت بأطراف الأصابع جبهتها، فعل المتعجب.
- (٩) عقيم: عاقر «أى» لم تلد.

« فما خطبكم (١) أيها المرسلون ؟ ٣١ » ، قالوا : انا أرسلنا الى قوم مجرمين ٣٢ ، لنرسل عليهم حجارة من طين ٣٣ ، مستومة (٢) عند ربك للمسرفين » ٣٤ .

اسماعيل وهاجر يرحلان الى ادى مكة

لم يذكر القرآن الكريم من رحلة اسماعيل و هاجر سوى قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » .

وجاء فى ص ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الأعشى : وليس بمكة والحرم شجر يثمر الا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

هجرة اسماعيل
و هاجر ا

شجر مكة
و الحرم ا

اقدام « ابراهيم » على ذبح « اسماعيل »

كان ابراهيم عليه السلام يزور ابنه اسماعيل الفينة بعد الفينة ليطمئن عليه ، ويقر عينا بمرآه ، فلما بلغ معه السعى رأى ابراهيم فى نومه انه قد أمر بذبح ابنه اسماعيل امله الوحيد ، وثمرته المرجوة ، فاستجاب لربه ، ولقى اسماعيل والقى اليه امر ربه : يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، فأسرع الغلام الى الطاعة ، والاستجابة ، قائلا : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ايمان عميق وبر وثيق ، أخذ يشجع أباه على تحقيق ما رأى ، وييسر له السبيل الى ما أراد ، وتقبل القضاء بالرضا ، والأمر بالتسليم ، فأرشدته الى اقوم طريق ليخفف عن أبيه لوعته ، وعن أمه حسرتها ، ولهفتها ، ثم تله للجبين .

زيارة ابراهيم
لابنه اسماعيل
رؤيا ابراهيم
ابراهيم يلقى الى
ابنه امر ربه :

استجابة . .
اسماعيل :
اسماعيل
يرشده اياه الى
اقوم طريق :

تتابعت زفرات ابراهيم وتدفقت عبراته ، ثم امر السكين فوق عنق ابنه بين الزفرات والعبرات ، ولكن ارادة الله حالت دون حركتها وقضائها ، فأدركت ابراهيم الحيرة ، وتوجه الى الله أن يجعل له مخرجا من هذا البلاء المبين ، ففرج غمته ، وكشف كربته ، ونودى : « أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين » .

زفرات ابراهيم
وعبراته :

ارادة الله :
كشف الله كربته :

ورأى ابراهيم عليه السلام كبشا قريبا منه ، فذبحه ، فدية عن ابنه . « وفديناه بذبح عظيم » .

ذبح ابراهيم
الكبش :

(١) ما خطبكم : ما شأنكم ؟
(٢) مستومة : معلبة ، عليها أمثال الخواتم : أو معلبة بعلامة ، ليعلم أنها ليست من حجارة الدنيا .

قال تعالى في سورة الصافات :

غلام حليم : وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين ٩٩ ، رب هب لى من الصالحين ١٠٠ وبشرناه بغلام حليم ١٠١ ، فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك ، فانظر ماذا ترى قال : يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ١٠٢ ،

فلما اسلما وتله (١) للجبين (٢) ١٠٣ ، وناديناه : ان يا ابراهيم ١٠٤ قد صدقت (٣) الرؤيا انا كذلك نجى الحسنين ١٠٥ ان هذا لهو البلاء المبين (٤) ١٠٦ ، وفديناه بذبح (٥) عظيم ١٣٧ ، وتركنا عليه فى الآخرين (٦) ١٠٨ ، سلام على ابراهيم ١٠٩ ، كذلك نجى الحسنين ١١٠ انه من عبادنا المؤمنين ١١١ ، وبشرناه باسحق النبيا من الصالحين ١١٢ وباركنا عليه وعلى اسحق » .

بلاء مبين :
الفدية :
البشرى باسحق :

ابراهيم رزق باسحق

بشر الملائكة ابراهيم عليه السلام بانبئه اسحق وقد ضحكتم سارة من هذه البشرى ، تعجبا ، لانها عاقر قد بلغت من الكبر عتيا ، وابراهيم شيخ كبير ، فذكروها وعد الله القادر ، قائلين : اتعجبين من امر الله .

ضحك سارة :
ومد الله :

ولم يحل الحول على سارة — وقد بلغت من العمر تسعين سنة — حتى حملت باسحق .

حمل سارة :
باسحق :

ولما وضعت اسمته يصحق أى يضحك ، تعنى أن هذه الولادة من هذين الأبوين غريبة تبعث الضحك ، فمن يسمع بها يتعجب ويضحك .

لماذا اسمته
يصحق ؟

وقد صار اسحق نبيا ، لقوله تعالى : « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » .

« اسحق » نبى :

وقوله عز وجل : « وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » .

(١) تله : صرعه على وجهه .

(٢) للجبين : على جبينه .

(٣) قد صدقت الرؤيا : جعلتها صادقة .

(٤) البلاء المبين : الامتحان البين .

(٥) ذبح : ما يذبح بدل الانسان .

(٦) وتركنا عليه فى الآخرين : المنقول هنا مخوف والتقدير : وتركنا عليه

ثناء . أو وتركنا عليه فى الآخرين قولهم سلام على ابراهيم .

وقوله : « ووهبنا له اسحق ، ويعقوب وكلا جعلنا نبيا » ووهبنا لهم من رحمتنا » وجعلنا لهم لسان صدق عليا(١) » .

« اسحق »
و « يعقوب » :

وفي البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول ما اتخذ النساء المنطق(٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطلقا « لتعفى أثرها على سارة » ثم جاء ابراهيم بها وبابنها اسماعيل وهي ترضعه ، فوضعها عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنا لك ، ووضع عندهما جرابا فيه ثمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ، ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله امرك بهذا ؟ قال نعم قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثانية(٣) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال : ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

« ابراهيم »
بهاجر وابنها :

« ابراهيم »
و « هاجر » :

« ابراهيم »
بكلمات :

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى (أو قال يلتبط) فأنطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا ، وسعت نحو سراب حسبه ماء عند المروة حتى اذا جاءته لم تجده شبيها ، ثم رجعت الى الصفا ففعلت ذلك سبع مرات ، قال : ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فذلك سعى الناس بينهما » .

عطش « هاجر »
وابنها :

جبل « الصفا » :
« المروة » :

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت : « صه » تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غوث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه (أو قال بجناحه) حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه(٤) وتقول بيدها(٥) هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف .

الملك :

« هاجر » والماء :

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله

- (١) وجعلنا لهم لسان صدق عليا : وجعلنا لهم ثناء ، وحسن أحواله ، ووصفه بالعلو ، للدلالة على أنهم جديرون بكل ثناء .
- (٢) المنطق : كمنبر : شقة تلبسها المرأة تشد وسطها « فترسل الأعلى على الأسفل الى الأرض ، والأسفل ينجر على الأرض .
- (٣) الثانية : موضع .
- (٤) تحوضه : تجمعها .
- (٥) تقول بيدها : تأخذ بيدها .

■ أم اسماعيل «
و « زمزم » ■
أم اسماعيل ، لو تركت زمزم ، أو قال : لو لم تغرف من الماء
لكانت زمزم عينا معينا .

■ ماذا قال الملك
وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فان
ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله .

■ أهمل بيت من
■ جرهم « :
الطائر والماء :
■ أم اسماعيل ■
ترضى أن ينزلوا
مثلاها :

ثم مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من
طريق كداء (١) ، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا (٢) ، فقالوا:
ان هذا الطائر ليدور على ماء ، تعهدنا بهذا الوادي وما فيه من
ماء ، فأرسلوا جريا (٣) أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا
فأخبروهم بالماء ، فاقبلوا ، قال : وأم اسماعيل عند الماء ،
فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لا حق
لكم في الماء ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبي صلى
الله عليه وسلم : فألقى (٤) ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس ،
فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وثب الغلام ،
وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك
زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما
تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته
عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم ،
فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال :
فاذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ، وتولى له يغير عتبة بابه
فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟
قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألنى:
كيف عيشنا ، فأخبرته أنا في جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشيء ؟
قالت : نعم ، أمرنى أن اقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة
بابك قال : ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك ،
فطلتها ، وتزوج أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم
أتاهم بعد ، فلم يجده . فدخل على امرأته ، فسألها عنه ، فقالت :
خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ - وسألها عن عيشهم
وهيئتهم - فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله ، قال :
ما طعامكم ؟ قالت : اللحم قال : فما شربكم ؟ قالت : الماء .

زواج «اسماعيل»:
■ ابراهيم « يزور
ابنه :
■ ابراهيم «زوجة
ابنه :
« اسماعيل »

■ اسماعيل ■
يطلق زوجته :
« ابراهيم ■ يزور
ابنه مرة ثانية :
يسأل زوجة ابنه :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ■
ولو كان لهم دعا لهم فيه .

(١) كداء : جبل بأعلى مكة ■ ■ دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة « منه ■
(٢) عائفا : عاف الطائر ■ يعوف : استدار ■ أو حام على الشيء أو الماء
يريد الوقوع ■
(٣) فأرسلوا جريا : فأرسلوا رسولا ■
(٤) ألقى ذلك (أم اسماعيل) وجدته ورضيت به .

قال : فاذا جاء زوجك فأقرئني عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابيه . فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة — وأثنت عليه — فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنا بخير ، قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله .

■ اسماعيل
و « وزوجه » :

بمسكها :

ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبصر نبلا له قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد .

■ ابراهيم ■ يزور
■ ابنه ■ اسماعيل
مرة ثالثة :

ثم قال : يا اسماعيل ان الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فان الله أمرني أن ابني ههنا بيتا .

■ ابراهيم ■ يحدث
■ ابنه ■
بناء البيت :

وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها — قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

« الكعبة » :

■ ابراهيم ■ يبني
و ■ اسماعيل ■
يأتي بالحجارة ■
ماذا يقولان ■

قال : فجعلا بينما حتى يدورا حتى البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . هـ .

ولما تم بناء البيت أمر الله إبراهيم أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .

أمر الله لإبراهيم :

وطلب إبراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التي ينسكاتها : وأرنا مناسكنا .

طلب ■ إبراهيم ■
و ■ اسماعيل ■
من الله تعالى :

وتعد الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى .

الكعبة :

قال تعالى في سورة « آل عمران » .

« ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة (١) مباركا ، وهدي للعالمين ٩٦ ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ٩٧ .

منزلة البيت :

(١) بكة : مكة ■ أو موضع المسجد منها ، أما (مكة) فهي البلد .

وقال تعالى في سورة البقرة :

واذ جعلنا البيت مثابة (١) للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام (٢) ابراهيم مصلى (٣) ، وعهدنا (٤) الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين (٥) ، والركع (٦) السجود (٧) ١٢٥ واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .

عهد الله الى
« ابراهيم »
و « اسماعيل » :

قال : ومن كفر فأمتعه قليلا ، ثم اضطره (٨) الى عذاب النار ، وبئس المصير (٩) ١٢٦ واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ١٢٧ ، ربنا واجعلنا مسلمين لك (١٠) ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا (١١) ، وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم ١٢٨ ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة (١٢) ويزكيهم (١٣) ، انك أنت العزيز الحكيم ١٢٩ .

« ابراهيم »
و « اسماعيل »
يرفعان قواعد
البيت :
ويدعوان الله :

وقال تعالى في سورة ابراهيم :

واذا قال ابراهيم : رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى (١٤) وبنى ان تعبدا للأصنام ٣٥ ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم ٣٦ ، ربنا انى أسكنت من ذريتى (١٥) بواد (١٦) غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم (١٨) ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ٣٧ .

« ابراهيم » يدعو
الله :

- (١) مثابة : مرجعا .
- (٢) مقام ابراهيم : مكان قيام ابراهيم .
- (٣) مصلى : مكان صلاة .
- (٤) عهدنا : أوصينا .
- (٥) العاكفين : الملازمين .
- (٦) الركع : جمع راكم .
- (٧) السجود : جمع ساجد .
- (٨) اضطره : أجبره .
- (٩) المصير : المرجع .
- (١٠) مسلمين لك : مخلصين .
- (١١) مناسكنا : جمع منسك وهى طريقة النسك أى العبادة .
- (١٢) الحكمة : ما تكلم به النفوس من المعارف والاحكام .
- (١٣) يزكيهم : يطهرهم .
- (١٤) واجنبنى : وأبعدنى .
- (١٥) من ذريتى : بعض ذريتى .
- (١٦) بواد : الوادى : الأرض . المحصورة بين جبلين ويكون مجالا للسيل .
- (١٧) تهوى اليهم : تسرع اليهم .

وقال تعالى في سورة « الحج » :

واذ بوأنا (١) لأبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا ، وطهر
بيتى للطائفين والقائمين ، والركع السجود ٢٦ ، وأذن في الناس
بالحج يأتيوك رجالا (٢) وعلى كل ضامر (٣) ، يأتين من كل فج (٤)
عميق (٥) ٢٧ ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، واطعموا
البائس (٦) الفقير ٢٧ ، ثم ليقتضوا تفنهم (٧) ، وليوفوا نذورهم ،
وليطوفوا بالبيت العتيق ٢٩ ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو
خير له عند ربه ، وأحل لكم الأنعام (٨) إلا ما يتلى عليكم ، فاجتنبوا
الرجس (٩) من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور (١٠) ٣٠ . حنفاء (١١) لله
غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر (١٢) من السماء فتخطفه
الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق (١٣) ٣١ ، ذلك ومن يعظم
شعائر الله (١٤) فأنها من تقوى القلوب ٣٢ . لكم فيها منافع إلى
أجل مسمى ثم محلها (١٥) إلى البيت العتيق ٣٣ .

أرضاد الله
لأبراهيم :
الأمر بالأيذان بالحج
مما يعمل الحاج :

انذار وتخويف :

موقف الرسول من الكعبة

في حجة الوداع ، ذلك الموقف الأخير طاف الرسول بالبيت وطاف
وراءه المسلمون ، يستغفرون الله ، ويتوبون إليه ، ويعلمهم مناسك
الحج ، وهو أبلغهم خضوعا لله ، واستغفارا ، يشهد ربه أنه قد
بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، يسرع ويقول :

حجة الوداع :
الطواف بالبيت :
مناسك الحج :

« اللهم أرحم أمرا أراهم اليوم من نفسه قوة » .

والمشركون من أعلى الجبال ينظرون إلى البأس ، والعزيمة
الصادقة .

ذاك موقف عظيم ، وتلك صورة رائعة .

موقف عظيم :

- (١) بوأنا : أنزلنا .
- (٢) رجالا : مشاة ، جمع (راجل) .
- (٣) ضامر : مهزول من السفر .
- (٤) فج : طريق واسع .
- (٥) عميق : بعيد الغور .
- (٦) البائس : الذي أصابه بؤس ، أى شدة وفقر .
- (٧) تفنهم : وسخهم .
- (٨) الأنعام : الإبل والبقرة والغنم ، المفرد : نعم .
- (٩) الرجس : النجس .
- (١٠) الزور : الاتحاف عن الحق .
- (١١) حنفاء : مائلين عن العقائد الزائفة .
- (١٢) خر : سقط .
- (١٣) مكان سحيق : مكان بعيد .
- (١٤) شعائر الله : علامات دينه ، المفرد : شعيرة .
- (١٥) محلها : الذي يحل فيه نحرها .

أسرار البيت وعبره

ان في هذا البيت العتيق لأسراراً وعبراً تنطق بها أودعه الله
من المهابة والجلال ، وقد جعله الله مثابة للناس وأمناً ، ومستقراً
لتوحيده ، وتعظيمه .

ولسان حاله دائم القالة « لا اله الا الله ، والله أكبر » .

وفاة « ابراهيم » عليه السلام

عمر ابراهيم عليه السلام . : عمر « ابراهيم » :

ولما مات دفن في الموضع الذي عليه مقامه في « حبرون » . : أين دفن :

يسمى « مدينة الخليل » . : مدينة الخليل :

وفيه دفنت « سارة » من قبل . : سارة :

وفاة « اسماعيل » عليه السلام

يقول مؤرخو العرب : انه مات بمكة ، ويظن انه دفن بالحجر
الذي بجوار البيت . : مؤرخو العرب :
أين دفن :

هدى وارشاد

١ — تملك العقيدة على المرء مشاعره ووجدانه ، وتستولى
على فكره ، فلا يحفل بالعذاب يحل به ، ولا بالنار يلقي فيها ،
ولقد ضرب « ابراهيم » عليه السلام في ذلك المثل العليا .

٢ — كانت ثورة ابراهيم على الأصنام ثورة عملية ، فقد جعلها
جذاذاً الاكبر ، واتخذ عمله هذا وسيلة لحاجتهم .

٣ — لم يتبرأ ابراهيم من آلهتهم أول الأمر ، ولكنه دفعهم الى
امتحانها واحداً واحداً ، وأبان لهم عجزها ، وبذل جهداً في ابتكار
وسائل دعايته الى ما رآه حقاً ، فلجأ الى النجوم فلما عرف انها
لا تصلح أن تكون آلهة جهر بأمره : « انى وجهت وجهى للذى فطر
السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين » .

٤ — لقد جادل الملك وحاجه حتى ألزمه الحجة : « ألم تر الى
الذى حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم :

ربى الذى يحيى ويميت . قال : انا احيى واميت . قال ابراهيم .
فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت
الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين .

٥ — كان فى حوار « ابراهيم » لأبيه رقة قلب « وسعة صدر »
يتجلى ذلك فى قوله له : سلام عليك ، سأستغفر لك ربى انه كان
بى حفيا . ردا على قوله له : لئن لم تنته لأرجحك « واهجرنى
ملياً .

كما تتجلى فى قوله : واغفر لأبى انه كان من الضالين .

وفى قوله : فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فإناك غفور
رحيم .

٦ — الطاعة التى لا معصية معها وليدة الايمان بالحق ، ولقد
امثل ابراهيم أمر ربه لما طلب منه فى منامه أن يذبح ابنه
اسماعيل وليس له ابن سواه ابتغاء رضوان الله حتى فداه الله
بذبح عظيم .

٧ — كان ابراهيم مضيافا كريما ، يكثر القرى لأضيافه ، فقد
قدم لثلاثة عجلا سميناً راضية بذلك نفسه الكريمة .

٨ — دفعت ابراهيم غريزة حب الاستطلاع والوقوف على دقائق
صنع الله تعالى أن يطلب منه أن يريه كيف يحيى الموتى ، ليطمئن
قلبه ، فاستجاب الله له ، وأتم عليه نعمته .

«٣»

موسى

عليه السلام
رسول الله وكليمه

٣ - «موسى» بن «عمران»

ولد موسى عليه السلام من أبيه عمران ، وأمه يوكابد . وهى عمة أبيه ، ولم ينزل الأمر على موسى بتحريم مثل هذا الزواج الا بعد خروج بنى اسرائيل من مصر .

ولادته :
■ عمران ■ يتزوج
عنته ■

وقد لقي بنو اسرائيل فى هذا العهد الوان النكال ، والاهوال والظلم من فرعون الذى استبقى النساء ، وذبح الابناء ■ لانه خشى أن يذهب ملكه على يد أحدهم كما أنبأه الكاهن .

ما لقبته « بنو
اسرائيل » :

ولكن رعاية الله كانت تكلاً موسى وعينه ترعاه « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » من سورة القصص .

رعاية الله :

أرضعته أمه ، واخفت أمره زهاء ثلاثة أشهر . ثم ألهمها الله — وقد بعث فرعون عيونهم فى المدينة — أن تضعه فى صندوق من الخشب ، وتلقيه فى اليم ، ففعلت : وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ، لتكون من المؤمنين . من سورة القصص .

رضاعة :
عيون « فرعون » :
صندوق من
الخشب :
ربط الله على
قلب أمه :

وأمرت أخته أن تقص أثره ، وتعلم خبره ، وأنبأ الله يوكابد أنه راده إليها ، وجاعله من المرسلين ، ليثبت فؤادها ■ ويطمئن قلبها .

أخته تقص أثره :

وسارت أخته تقفو أثره حتى التقطه آل فرعون ، ليكون لهم عدواً ، وحزناً . وألقى الله عليه محبة زوج فرعون فاستحيته ، ليكون لها ولزوجها قرّة عين .

آل فرعون :
يلتقطونه :

ترهيده فى المراضع

لم يقبل على ثدى احداهن . فعرضت أخته مريم على آل فرعون أن تدعو لهم من ترضعه ، وتكفله .

أخته « مريم »
تدعولهم من ترضعه

ثم أقبلت أمه فأقبل على ثديها ، فدفعوه إليها ، ففرحت بذلك فرحاً عظيماً ، وعلمت أن وعد الله حق .

يقبل على ثدى أمه

قال تعالى في سورة « القصص » :

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فالقيه في اليم (١) ، ولا تخافي ، ولا تحزني ، أنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين ٧ ، فالتقطه آل فرعون ، ليكون لهم عدواً ، وحزناً . ان فرعون وهامان ، وجنودهما كانوا (٢) خاطئين ٨ ، وقالت امرأة فرعون :

القاؤه في اليم :
التقاط آل فرعون له :

« قرة عين لي ولك ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولداً ، وهم لا يشعرون ٩ ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً (٤) ان كادت (٥) لتبدي به لولا أن ربطنا (٦) على قلبها ، لتكون من المؤمنين ١٠ . وقالت لأختها : قصيه (٧) ، فبصرت به عن جنب (٨) وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المواضع من قبل فقالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه (٩) لكم ، وهم له ناصحون ١٢ ، فرددناه إلى أمه كي تقر (١٠) عينها ، ولا تحزن ، ولتعلم ان وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣ » .

محبة «زوج فرعون» لموسى :

رده إلى أمه :
وعد الله حق :

وقال تعالى في سورة « طه » :

« ولقد مننا عليك مرة أخرى ٣٧ ، اذ أوحينا إلى أمك ما يوحي ٣٦ : أن اقذفيه في التابوت (١١) ، فاقذفيه في اليم ، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي ، وعدو له ، وألقيت عليك محبة مني » ولتصنع (١٢) على عيني ٣٩ ، اذ تمشي أختك فتقول : « هل أدلكم على من يكفله » ؟ ، فرجعناك إلى أمك ، كي تقر عينها ، ولا تحزن ٤٠ » .

ايحاء الله إلى أم موسى :
عدو الله وعدوه :

موسى في قصر فرعون

أتيت به أمه إلى قصر فرعون — وقد أتمت رضاعه — فنشأ بالقصر ، ولما شب عرفه أنه إسرائيلي من المستضعفين ، المضطهدين

أتيت أمه رضاعه :
عرف أنه إسرائيلي :

- (١) اليم : البحر ، والمراد به هنا : النيل .
- (٢) خاطئين : متعمدين للخطيئة .
- (٣) قرة عين : سرور وارتياح .
- (٤) فارغاً : خالياً من العقل ، لما دهبها من الخوف والحيرة .
- (٥) ان كادت : انها كادت .
- (٦) ربطنا على قلبها ، الربط على القلب : كناية من التثبيت .
- (٧) قصيه : اقتفى أثره ، وتتبعى خبره .
- (٨) عن جنب : عن بعد .
- (٩) يكفلونه لكم : يقومون بأمهه لأجلكم .
- (١٠) تقر عينها :
- (١١) التابوت : صندوق من خشب .
- (١٢) ولتصنع على عيني : ولتربي وأنا راعيك .

المثقلين بالآلام ، فعاهد نفسه أن يكون لهؤلاء ، واتجهت أنظارهم إليه ، ليحييهم ، ليس على الهمة ، كريم النفس ، وافر القوة ، يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وينصر المظلوم ، ويدفع عنه عادية المعتدين ؟

« موسى » يعاهد نفسه ... »
من صفات «موسى» :

ولما بلغ أشده آتاه الله حكما وعلمًا ، وأوحى إليه بالنبوة : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلمًا ، وكذلك نجزي المحسنين » ٤٤ — من « القصص » .

« موسى » يبلغ أشده :

ودخل المدينة يوما وأهلها غافلون فوجد فيها رجلين يقتتلان . أحدهما عبراني من شيعته ، والآخر فرعونى ، فاستغاث العبراني بموسى ، فوكز (١) الفرعونى وكزة قضت عليه ، فاستغفر «موسى» ربه ، وندم على فعلته ، وابتهل الى الله الا يجعله ظهيرا (٢) للمجرمين . وأصبح فى المدينة خائفا يترقب (٣) ، فاذا الذى استنصره (٤) بالأمس يستصرخه (٥) . فعده « موسى » من الفاوين ، الضالين ، وتقدم يريد أن يظاھرہ . فظن أن « موسى » يريد قتله ، فخاف بطشه ، وقال : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ؟ إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين » .

وجد « موسى » رجلين يقتتلان :
قضى « موسى » على « الفرعونى » :
ظن « الاسرائيلى » أن « موسى » يريد قتله :

فلما سمع « الفرعونى » ذلك أسرع الى قومه فأتبأهم ، فعرفوا أن « موسى » هو القاتل ، وقد كانوا فى حيرة مذهلة . وأمر مريخ . فأتهموا به ليقتلوه ، فجاءه من أقصى المدينة رجل يسمى ، قال : « يا موسى إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك » ، ونصح له بالخروج من المدينة لينجو ، قال تعالى فى سورة « القصص » :

الفرعونى يبنى قومه :
عرفوا القاتل :
أنتبأهم به ليقتلوه :
النصح له بالخروج من المدينة، لينجو :

ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : هذا من شيعته (١) ، وهذا من عدوه ، فاستغاث الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال : « هذا من عمل الشيطان ، انه عدو ، مضل مبين ١٥ ، قال : رب انى ظلمت نفسى ، فاغفرلى ، فغفر له ، انه هو الغفور الرحيم ١٦ ، قال : « رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ١٧ » ، فأصبح فى المدينة خائفا يترقب ، فاذا الذى استنصره بالأمس

« موسى » يستغفر الله :
الذى استنصره بالأمس يستصرخه :

- (١) وكزه : ضربه بجبع كنه .
- (٢) ظهيرا : مساعدا .
- (٣) يترقب : يترصد أن يقتص منه .
- (٤) استنصره على عدوه : سألہ أن ينصره عليه .
- (٥) يستصرخه : يستغيثه .
- (٦) شيعته : حزبه وأنصاره ، أى : اسرائيلى .

يستصرخه ، قال له موسى : « انك لغوى (١) مبین » ، فلما أن أراد أن يبطش (٢) بالذى هو عدو لهما قال : « يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ؟ ان تريد الا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين ١٩ » وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى (٣) ، قال : « يا موسى ان الملائكة ياتمرون (٤) بك ليقتلوك » فخرج انى لك من الناصحين » ، فخرج منها خائفا يترقب . قال : « رب نجنى من القوم الظالمين ٢١ » .

خرج ■ موسى ■
من المدينة خائفا
يترقب :

وقال تعالى فى سورة « طه » :

« وقتلت نفسا فنجيناك من الغم ، وفتناك (٥) فنتونا » .

نتيجة الله له :

موسى بأرض مدين

خرج موسى من المدينة خائفا ، يترقب ، لا معين ، ولا رفيق الا رعاية الله له ، زاده التقوى ، والصبر الجميل .

الجهد والاعياء :

مشى حافيا ثمان ليال يريد مدين حتى تساقطت جلود قدميه .

وعن « ابن عباس » : « انه ورد ماء مدين ، وأن خضرة البقل لتتراءى من بطنه من الهزال » .

عزأؤه :

وكان بعده عن « فرعون » وملائته مخففا لآلامه ، وخير عزاء له .

مورد الماء

ولما ورد ماء مدين (٦) وجد عليه جماعة يتسابقون الى البئر — معتمدين فى ذلك على قواهم ، ووجد من دونهم امرأتين تبعدان أغنامهما عن الورد (٧) ، حتى يسقى أولو القوة من الرعاة (٨) ، وينصرفوا .

الرعاة يتسابقون
الى البئر ■
■ موسى ■ يرى
امراتين تبعدان
أغنامهما :

حماية الضعيف

أثار فى نفسه ما رأى حماية الضعيف ، فسأل المراتين : « ما شأنكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاة أغنامهم عن الماء ، لأن قوتهم

■ موسى ■ يسأل
المرأتين عن
شأنهما :

- (١) لغوى : لفضال .
- (٢) يبطش : البطش هو الأخذ بالعنف .
- (٣) يسعى : يسرع .
- (٤) ياتمرون بك : يتشاورون فيك .
- (٥) وفتناك فتنونا : ابتليناك ابتلاء .
- (٦) أرض مدين : بين الشام والحجاز .
- (٧) الورد : الماء الذى يورد .
- (٨) الرعاة : الرعاة .

تحول دون تقدمنا عليهم ، أو مشاركتهم ، وما جئنا الا مضطرين ، لأن أبانا شيخ كبير (١) ، فأقدم موسى — وهو الموفور القوة — على البئر ، فسقى لهما أغنامهما ، وقد رأى الرعاة من قوته ما منعهم أن يقفوا في سبيله . ثم تولى الى الظل ليستعطف ربه ، ويسترحمه .

تثر كلماتهما في نفسه حماية الضعيف فيسقى لهما : «موسى» يستعطف ربه ويسترحمه :

ولما عادت الفتاتان الى أبيهما مبكرتين على غير عادتهما أنكر منهما هذا التكبر ، وسألها عن سببه ، فأخبرتا ، فأرسل الشيخ إحدى ابنتيه في طلب موسى ، فقالت له — والحياء يغرها :

الشيخ يطلب موسى :

ان أبى يدعوك ، ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فاستجاب موسى لدعوة الشيخ ، فأتى أهلا (٢) وسهلا ، وقص عليه قصصه ، فطمأنه قائلا : « لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين » .

١ موسى « يقص على الشيخ قصته : الشيخ يطمئنه :

قال تعالى في سورة « القصص » :

« ولما توجه تلقاء مدين قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » ٢٢ . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان (٣) ، قال : ماخطبكما (٤) قالتا : « لا نسقى حتى يصدر (٤) الرعاء وابونا شيخ كبير ٢٣ » فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، فقال : « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ٢٤ ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال : « ان أبى يدعوك ، ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال : لا تخف نجوت من القوم الظالمين » ٢٥ .

١ موسى « يتولى الى الظل :

مصاهرة موسى للشيخ

اطمأن كل منهما الى صاحبه ، وأعجب به ، فكلاهما في الذروة من الايمان ، والاخلاص ، والخلق الكريم ، وقالت إحدى الفتاتين — وهى التى دعت موسى — : « يا أبت استأجره » ان خير من استأجرت القوى الأمين » .

الاطمئنان . . . والاعجاب : إحدى الفتاتين تخاطب أباهما : الطبرى :

ويذكر الطبرى في تفسيره ما نصه :

فأحفظته الغيرة (٦) أن قال : « وما يدريك ما قوته وإمانته »

(١) شيخ كبير : يرى « الحسن البصرى » و « مالك بن انس » أن الشيخ هو « شعيب » عليه السلام .
(٢) فأتى أهلا وسهلا : فأتى أهلا ونزل مكانا سهلا .
(٣) تذودان : تمنعان أغنامهما عن الماء .
(٤) ما خطبكما : ما شأنكما .
(٥) يصدر الرعاء : يصرف الرعاة ماشيتهم عن الماء .
(٦) أحفظته الغيرة : أغضبه .

توته وامانته :

فقالت : أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا . لم أر رجلا قط أقوى في السقى منه . وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت اليه ، فلما على أنى امرأة صوب (١) رأسه ، فلم يرفعه ، ولم ينظر الى حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : « امشى خلفي ، وانعتى لى الطريق » ولم يفعل ذلك الا وهو أمين .

اعجاب الشيخ برأى
ابنته :
وابداء رغبته الى
« موسى » :

فسرى (٢) عن أبيها ، وصدقها ، وظن به الذى قالت ، وأعجب الشيخ برأى ابنته ، وأبدى رغبته الى موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه — وأشار اليهما — على أن يكون ظهيرا له : يرعى الغنم ، ويساعده ثمانى سنين ، وإذا أجمل معه جعلها عشرا ، فقبل موسى على أن له مطلق الحرية في أى الأجلين .

« موسى » مسرور
للشيخ :

وبذلك صار موسى صهرا للشيخ ، وراعى غنمه .

قال تعالى في سورة « القصص » :

« قالت احداهما : يا أبت استأجره » ان خير من استأجرت القوى الأمين « ٢٦ ، قال : « انى أريد أن أنحكك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج (٣) » فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ٢٧ » قال : « ذلك بينى وبينك ، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان (٤) على ، والله على ما نقول وكيل ٢٨ » .

الشيخ يعرض على
« موسى » رغبته :

وفي سورة « طه » :

« فلبثت سنين في أهل مدين ، ثم جئت على قدر (٥) ياموسى واصطبعتك (٦) لنفسى » .

موسى يعود الى وطنه

قضى موسى أكبر الأجلين عشر سنوات ، ثم أحس بالشوق والحنين الى وطنه يدعئانه دفعا فاعدا العدة ، وودعهما الشيخ ، ووهب لهما أغنام ، ودعا بخير ، وسارا ، فأبصر « موسى » من جانب الطور نارا ، فحط رحاله ، وأسرع اليها ، قائلا لزوجته :

أكبر الأجلين :
« موسى » يمد
العدة للعودة الى
وطنه :
يبصر « نارا » :

- (١) صوب رأسه : خفضه .
- (٢) سرى عن أبيها : انكشف عنه ما كان يجد .
- (٣) حجج : سنين « المفرد : حجة » .
- (٤) فلا عدوان على : فلا مجاوزة للحد .
- (٥) على قدر : على قدر من الوقت قدرته لأكلك فيه .
- (٦) اصطبعتك لنفسى : اصطبتك لحبى .

« امكثوا انى رأيت نارا لعلى آتیکم منها بخیر » او قطعة من
الجمر لعلکم تستدفنون .

قال تعالى فى سورة « القصص » :

« فلما قضى موسى الأجل ، وسار بأهله آنس من جانب الطور
نارا ، قال لأهله : « امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتیکم منها(١)
بخیر ، او جذوة(٢) من النار ، لعلکم تصطلون(٣) » . ٢٩ .

فى شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة بدأت
رسالة موسى ، وعظمت كرامته ، فنودى : « أن ياموسى انى أنا
الله رب العالمين ، والى عصاك » ، فلما رآها تهتز كأنها حية
تسعى هرب خائفا ، فناداه : أقبل يا موسى ولا تخف ، فأتت من
الأيمن .

شاطىء الوادى
الايمن :
رسالة موسى :
هرب موسى :
وخوفه :

وفى سورة « القصص » :

« فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة
من الشجرة : « أن ياموسى ، انى أنا الله رب العالمين » وأن الى
عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان(٤) ولى مدبرا » ولم يعقب(٥) » .

ينادى موسى « من
شاطىء الوادى
الايمن :
الآية الاولى :

وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء تثلأ من غير آفة ، واضمم
اليك يدك من أجل الخوف اذا أصابك ، لتظهر ضبط نفسك .
فهاتان حجتان من ربك الى فرعون ، وقومه ، انكم خارجون عن
الدين .

الآية الثانية :

يؤيد ذلك قول الله تعالى فى سورة « القصص » :

« أسلك(٦) يدك فى جيبك(٧) تخرج بيضاء من غير سوء(٨) »
واضمم اليك جناحك(٩) من الرهب(١٠) ، فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملئه(١١) ، انهم كانوا قوما فاسقين(١٢) .

كان « موسى »
شديد السيرة :

- (١) آنست نارا : أبصرت نارا .
- (٢) جذوة من النار : جرة ملتهبة .
- (٣) تصطلون : تستدفنون .
- (٤) جان : نوع من الحيات ، خفيف ، سريع .
- (٥) لم يعقب لم يرجع .
- (٦) أسلك : أدخل .
- (٧) جيبك : جيب القميص : طوقه .
- (٨) من غير سوء : من غير آفة — وكان « موسى » شديد السيرة .
- (٩) اضمم اليك جناحك : المراد : الأمر بالتجلد والثبات .
- (١٠) الرهب : الخوف .
- (١١) ملئته : قومه .
- (١٢) فاسقين : خارجين عن الدين .

قال : « رب انى قتلت منهم نفسا ، فأخاف أن يقتلون ، فأرسل
معى هرون أخى يعيننى ويصدقنى ، انى أخشى تكذيبهم لى ، ولسانى
لا يطاوعنى عند الحاجة ، وهو أفصح منى لسانا ، قال الله :
« سنعينك بأخيك هرون ، ونجعل لكها حجة ، وبرهاننا ، فلا
يصلون اليكما ، اذهبا بآياتنا اليهم ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون » .

« موسى » يخاف
أن يقتلوه
« هرون » يعينه
ويصدقه
الحجة والبرهان :

قال تعالى فى سورة « القصص » :

« قال : « رب انى قتلت منهم نفسا ، فأخاف أن يقتلون ٣٣ ،
وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى رداء (١)
يصدقنى ، انى أخاف أن يكذبون ٣٤ » ، قال : « سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لكها سلطانا (٢) » فلا يصلون اليكما ، بآياتنا ، أنتما
ومن اتبعكما الغالبون ٣٥ .

السلطان :

وقال تعالى فى سورة « النمل » :

« اذ قال « موسى لأهله : « انى آتيت نارا ، سأتيكم منها
بخبر ، أو آتيكم بشهاب (٤) قبيس (٥) لعلكم تصطلون ٧ » ، فلما
جاءها نودى : « أن بورك من فى النار ، ومن حولها ، وسبحان الله
رب العالمين ٨ ، يا موسى . انه أنا الله العزيز الحكيم » ٩ .

آتى « موسى »
نارا :

ومنها أيضا :

« وألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ، ولم
يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ١٠ ،
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ١١ ، وأدخل
يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون
وقومه ، أنهم كانوا قوما فاسقين ١٢ » .

« موسى » يولى
مدبرا :
ادخل اليد فى
الجيب :

وقال تعالى فى سورة « النازعات » :

« هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى (١):
اذهب الى فرعون أنه طغى (٧) ٧ ، « فقل هل لك الى أن
ترضى (٨) وأهديك الى ربك فتخشى ١٩ » .

الوادى المقدس
طوى :

-
- (١) رداء : معينا .
(٢) سنشد عضدك : المراد التقوية .
(٣) سلطانا : حجة وبرهاننا .
(٤) شهاب : شعلة من نار ساطعة ، وكل مضاء متولد من النار ، وكل ما يرى
كأنه كوكب منقضى ، وقد يطلق على الكواكب .
(٥) قبيس : شعلة من نار .
(٦) طوى : اسم الوادى .
(٧) طغى : جاوز الحد فى العصيان .
(٨) ترضى : تطهر .

وقال في سورة « طه » :

« اذهب أنت وأخوك بآياتي ، ولا تنيا (١) في ذكرى ٤٢ » اذهب
الى فرعون ، أنه طغى ٤٣ ، فقلوا له قولا لنا ، لعله يتذكر ،
أو يخشى ٤٤ ، « قالوا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا (٢) » ، أو أن
يطغى ٤٥ ، « قال : « لا تخافا ، اننى معكما أسمع » وأرى ٤٦ ،
فأتياه ، فقلوا : انا رسول ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ،
ولا تعذبهم ، قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من أتبع
الهدى » .

طغيان « فرعون » :
القول اللين :

ومنها أيضا : —

« وما تلك بيمينك يا موسى ؟ » ١٧ ، قال : « هي عصاى ،
أتوكأ عليها ، وأهش بها على غمى ، ولى سمى ما ركب (٣)
أخرى » ١٨ ، قال : « ألحقها يا موسى ١٩ » ، فألقاها : فإذا هي
حية تسعى ٢٠ ، قال : « خذها ولا تخف ، سنعيدها (٤) ، سيرتها
الأولى ٢١ ، واضمم يدك الى جناحك (٥) تخرج بيضاء من غير سوء
آية أخرى ٢٢ ، لنريك من آياتنا الكبرى ٢٣ .

بمسا « موسى » :
القاؤها :
ضم يده الى
جناحه :

وقال تعالى في سورة « الاسراء » :

« وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيل : ان
لا تتخذوا من دونى وكيلا (٦) ٢ ، ذرية من حملنا مع « نوح » ، أنه
كان عبدا شكورا ٣ »

الكتاب هدى
لبنى اسرائيل :

وقال تعالى في سورة « طه » :

« وهل أتاك حديث موسى ٩ ، اذ رأى نارا » فقال لاهله :
« أمكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس ، أو أجد على
النار (٧) هدى ، ١٠ فلما أتاها نودى : يا موسى ١١ ، انى أنا ربك
فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى ١٢ ، وأنا اخترتك »
فاستمع لما يوحي ١٣ ، اننى أنا الله ، لا اله الا أنا » فاعبدنى ،
وأقم الصلاة لذكرى ١٤ ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها ، لتجرى
كل نفس بما تسعى ١٥ ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها ، واتبع
هواه فتردى (٨) ١٦ .

يلتمس « موسى »
على النار هاديا
يهديه الى الطريق :
« موسى » نودى :

الساعة :

الجزاء :

- (١) لا تنيا : لا تفترأ .
- (٢) يفرط علينا : يعجل علينا بالمقوبة .
- (٣) ما ركب : مقاصد .
- (٤) سنعيدها سيرتها الاولى : سنرجعها الى حالتها الاولى .
- (٥) جناحك : جنبك .
- (٦) وكيلا : ربا تكلون اليه أموركم .
- (٧) أو أجد على النار هدى : أجد هاديا يهدينى الى الطريق .
- (٨) فتردى : فتهلك .

وقال تعالى في سورة « القصص » :

« وما كنت (١) بجانب الغربي اذ قضينا الى « موسى » الامر »
وما كنت من الشاهدين ٤٤ ، ولكنا انشأنا قرونا (٢) ، فتناول عليهم
العمر وما كنت ثاويا (٣) في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ، ولكنا كنا
مرسلين ٤٥ ، وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ، ولكن رحمة من
ربك ، لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك ، لعلهم يتذكرون ٤٦ .

جانب الوادى
الغربى
اهل مدين
جانب الطور

وقال تعالى في سورة « طه » :

« اذهب الى فرعون انه طغى ٢٤ ، قال : « رب اشرح لى
صدرى (٤) ٢٥ ، ويسر (٥) لى امرى ٢٦ ، واحلل عقدة من لساني ٢٧
يفقهوا قولى ٢٨ . واجعل لى وزيرا من اهلى ٢٩ ، «هرون» اخى
٣٠ ، اشدد (٦) به ازرى ٣١ ، واشركه فى امرى ٣٢ ، كى نسبحك
كثيرا ٣٣ ، ونذكرك كثيرا ٣٤ ، انك كنت بنا بصيرا ٣٥ » ، قال :
قد اوتيت سؤلك (٧) يا « موسى » .

مقد اللسان
« موسى » يطلب
« هارون » اخاه
وزيرا له
بمستجيب الله له

حبسة لسان « موسى »

يروى المفسرون لحبسة لسان موسى أو لكنته سببا :

هو أن موسى وهو صغير نتف خصلة من لحية فرعون ، فأراد
قتله ، فقالت له زوجته : « انه لا يعقل ما يفعل » ، ووضعت
جمرة ، وثمررة فى طشت ، فأخذ موسى الجمرة ، ووضعها فى فيه
فأثرت فى لسانه ، فنشأ غير فصيح ، وقد يكون هذا غير صحيح .

« موسى » نتف
خصلة من لحية
« فرعون »
جمرة « وثمررة »

وهناك سببان لحبسته :

الاول : أن الله قد حرم على موسى المراضع مدة ، رحمة بأمه،
حتى جاءت فأرضعته ، وإذا تأخر الطفل عن الرضاع مدة كهذه
أورثه ذلك حبسة فى لسانه .

تحريم المراضع على
« موسى » مدة :

الثانى : أن « موسى » مكث فى مدين زمنا طويلا ، فنسى اللغة
المصرية .

مكث « موسى »
فى « مدين » زمنا
طويلا :

- (١) وما كنت بجانب الغربى : ما كنت بجانب الوادى الغربى .
- (٢) قرونا : أجيالا مختلفة من الناس .
- (٣) ثاويا : مقبها .
- (٤) أشرح لى صدرى : وسعه لقبول الحق .
- (٥) ويسر لى امرى : وسهل لى امرى .
- (٦) اشدد به ازرى : قوتى به فوق قوتى .
- (٧) سؤلك : مسئووك .

أما هرون فكان مقيماً مع المصريين حياته ، فهو جدير أن يفهمهم ويفهم منهم .

أقام هرون مع المصريين حياته :

حوار موسى و هرون

استطاع موسى أن يحاور أخاه هرون ، لأن هرون كان يجيد العبرانية ، وهى قريبة من لغة أهل مدين .

هرون « كان يجيد العبرانية :

فرعون وأعدائه

ظل فرعون وأعدائه يحكمون بنى اسرائيل ، واتخذوا من نفوسهم أرباباً لهم من دون الله ، وانصرفوا عن الايمان بالله ونور اليقين الى شهواتهم وغوايتهم ، أوغلوا في تعذيب بنى اسرائيل والتكيد بهم ، وساموهم الخسف ، والذلة ، وكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، فانطفأ بين أيديهم نور الرجاء .

انصراهم من الايمان بالله :
ايغالهم في التكيد بنى اسرائيل :

دعوة موسى لفرعون

انطلق موسى وهرون الى فرعون فبلغاه رسالة الله تعالى ، وطلبوا اليه أن يرسل معهما « بنى اسرائيل » لعبادة الله وحده ، أنهما قد أرسلنا بآية من رب العالمين ، وجعل موسى موافقة فرعون على ارسال بنى اسرائيل نعمة يمنها عليه .

« موسى » و « هرون »
يبلغان « فرعون »
رسالة الله :
ويطلبان اليه أن يرسل معهما بنى اسرائيل :
ويخبرانه أنهما قد أرسلنا بآية من رب العالمين :
امثال لأمر الله :
آية الله :

وفي ذلك الأدب امتثال لأمر الله : « فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى » . قال تعالى فى سورة « الاعراف » :

« وقال موسى : يا فرعون انى رسول من رب العالمين ١٠٤ ، حقيق على ألا أقول على الله الا الحق ، قد جئتك ببينة من ربك ، فأرسل معى بنى اسرائيل » .

وفى سورة الشعراء :

ان أرسل معنا بنى اسرائيل ١٧ .

وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ٢٢ .

موافقة « فرعون »
على ارسال « بنى اسرائيل » نعمة يمنها على « موسى » :

توبيخ :

ويرى بعض المفسرين أن فى هذه الآية : وتلك نعمة .. الخ . توبيخاً من موسى عليه السلام لفرعون ، لأنه استعبد بنى اسرائيل ، وتهكماً به من أجل ذلك .

أدب جم :

ويرى آخرون : ان في الآية أدبا جما ، فهو يقول : « ان موافقتك على إرسال بني إسرائيل وتعبيدك لهم ، أى تكريمك ، وتمكينهم من عبادة الله نعمة تمن بها على » .

هذا الى تربيته ، ومكثى بينكم سنين من عمرى .

فرعون يذكر موسى تربيته في قصره

اللوم :

وجه فرعون اللوم الى موسى وذكره بتربيته وليدا ، وبمكثه في قصره من عمره سنين ، فكان عليه ان يرعى هذه المكرمة ، ويحفظ ذلك الجميل ، ثم ذكره بقتل القبطى وهربه .

ادحاض دعوة
« فرعون » :

فانبرى له موسى عليه السلام يدحض (١) دعوته ، ويسفه قولته، قائلا : فعلتها اذا وأنا من الضالين ، ففرت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربي حكما ، وجعلنى من المرسلين » .

وفي سورة « الشعراء » أيضا :

تربيته « موسى »
ليدا :
خوفه :
« موسى » من
المرسلين :

« قال » ألم نريك فينا وليدا (٢) ، ولبثت فينا من عمرك سنين ١٨ . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ١٩ » ، قال : فعلتها اذا وأنا من الضالين ٢٠ ، ففرت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربي حكما ، وجعلنى من المرسلين ٢١ » .

فرعون يحاور موسى ويحاجه في ربوبيته الله

أخذ فرعون يحاور موسى ويحاجه في رب العالمين فساله : وما رب العالمين ؟ فقال موسى : رب السموات والأرض وما بينهما ، خالق هذا الكون ومبدعه » ، فكاد فرعون يتميز (٣) من الغيظ ، والتفت الى من حوله يعجبهم (٤) ، ويثير استنكارهم .. قائلا : « الا تستمعون ؟

« فرعون » يسال
« موسى » عن رب
العالمين :
غيظ « فرعون » :

أسأله عن حقيقة ربه فيذكر أفعاله ، فقال موسى : « ربكم ورب آبائكم الاولين) ، (رب المشرق والمغرب وما بينهما أن كنتم تعقلون » .

رد « موسى » :

فاضطرب فرعون ولج في ضلاله ، فقالا له : « انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى » ، قال فرعون : « فمن ربكم يا

اضطراب
« فرعون » :

- (١) يدحض : يدفع ، ويبطل .
- (٢) وليدا : صبيا مولودا .
- (٣) يتميز من الغيظ : يتقطع من الغضب .
- (٤) يعجبهم : يثير عجبهم .

يا موسى « ؟ فأعلمه أنه هو الذى أحصى كل شيء خلقه : أعطاهم العقول والحواس ، وخلق لهم ما فى الأرض ، وجعلهم فيها خلفاء ، وصرفهم فيما عليها من حيوان ، وما فيها من خيرات » ، فسأل فرعون : فما بال القرون الأولى ؟ . قال موسى : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ، ولا ينسى .

« موسى » يصف
ربه :
« القرون الأولى » :

قال تعالى فى سورة « طه » :

انا قد أوحى اليها أن العذاب على من كذب وتولى ٤٨ « ، قال : فمن ربكما يا موسى ٤٩ ؟ قال : ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى ٥٠ . قال : فما بال القرون (١) الأولى ؟ ٥١ ، قال : علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل (٢) ربى ، ولا ينسى ٥٢ ، الذى جعل لكم الأرض مهذا (٣) ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا (٤) من نبات شتى (٥) ٥٣ . كلوا واربعوا أنعامكم (٦) ، أن فى ذلك لآيات لأولى النهى (٧) ٥٤ ، منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ٥٥ . »

من كذب وتولى :

الأرض :
والسماء :

وفى سورة « الشعراء » :

« قال فرعون : « وما رب العالمين ؟ ٢٣ قال : « رب السموات والأرض وما بينهما أن كنتم موقنين ٢٤ » ، قال لمن حوله : ألا تستمعون ٢٥ ؟ ، قال : ربكم ورب آبائكم الأولين ٢٦ ، قال : أن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون ٢٧ ، قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما أن كنتم تعقلون ٢٨ . »

« فرعون » يسأل
« موسى » عن
ربه :
و « موسى »
يجيبه :

فرعون يدعى الألوهية

وجه موسى دعوته الى فرعون وهو بين ملئه ، وذلك يحط — فى رأيه — من قدره ، ويضع من مكانته (٨) ، فلم يكثرث (٩) للدعوة ، وتجاهل الله ، وانصرف الى ملئه يوهمهم أنه سيصعد الى السماء ، ليطلع الى اله موسى — وانه ليظنه كاذبا — ، وأمر هامان أن

« فرعون » بين
ملئه :
لم يكثرث للدعوة :
« هامان » :

- (١) القرون الأولى : أهل القرون الأولى من جهة السعادة والشقاوة بعد موتهم .
(٢) لا يضل ربى : لا يخطئ .
(٣) مهذا : فراشا .
(٤) أزواجا : أصنافا .
(٥) شتى : مقترقات فى الصور والمنافع ، المفرد : شتيت .
(٦) أنعامكم : جمع نعم : المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل وتطلق أيضا على البقر والغنم .
(٧) النهى : العقول ، المفرد نهيه ، وأولو النهى : أصحاب العقول .
(٨) مكانته : منزلته .
(٩) لم يكثرث للدعوة : لم يبال بها .

يعد العدة لذلك ، فيبنى له صرحا شامخا ينال السماء ، يدخل بذلك في ردع (١) قومه ، وركنه (٢) أنه أمر تناله قدرته ، وتيسره ربوبيته .

« فرعون » يحاول
اقتناع قومه :

وما أظن الجهل قد بلغ من هذا الشأ (٣) ، وما أحسب ملأه الا قد تمالئوا (٤)، على أمره ، مجارة له ، ومجاملة ، لينالوا عنده المنزلة ، ويفوزوا بالخطوة — وان باينت (٥) ما تكنه نفوسهم .

وهم يتمالئون على
أمره :

ماذا فعل هامان ؟

لم يذكر القرآن الكريم شيئا فعله هامان ، ولم يشر اليه ، ولكن المفسرين ذكروا أن هامان بنى صرحا وصل الى غاية ليس وراءها غاية ، ثم صعد فرعون ، ورمى بسهم الى السماء فعاد خضيبا بالدماء ، فقال : « لقد قتلت اله موسى » .

القران الكريم
المفسرون

فمن أين هذه الدماء ؟

توهيم وتضليل :

وما هذا التوهيم والتضليل ؟

قال تعالى في سورة « القصص » :

وقال فرعون : ياأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوتد لى يا هامان على الطين ، فاجعل لى صرحا ، لعلى أطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه من الكاذبين .

هامان والصرح :

وفى سورة غافر :

وقال فرعون : يا هامان ابن لى صرحا ، لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فأطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله ، وصد عن السبيل ، وما كيد فرعون الا فى تباب .

رجاء الاطلاع على
اله موسى :

ثارت ثائرة فرعون وكبر عليه أن يستمع لموسى ، وأخذته العزة بالاثم ، فقال — وقد بلغ غضبه أشده — : « لئن اتخذت الها غيرى

« فرعون » يثور .
يتوعد « موسى » :

- (١) روع قومه : تلويهم وعقولهم .
- (٢) ركنه : قومه ذوى عزته وقوته .
- (٣) الشأو : الغاية .
- (٤) تمالئوا على أمره : اجتمعوا عليه .
- (٥) باينت : خالفت .

رجاء « موسى » : لأجعلك من المسجونين » ، فقال موسى — وقد بعث الرجاء لسانه : « أولو جئت بك بشيء مبين » (١) فتنتضح من الشك باليقين ؟ وقال فرعون « فأنت به ان كنت من الصادقين » .

معجزتنا العصا واليد

محاكاة المعجزة لما أجرى الله المعجزة على يد موسى تحاكى ما برع فيه القوم من برع فيه القوم من فن السحر الذى ذاع بينهم أمره ، واشتهر ذكره ، وكان فى مصر من السحر : سحرة بلغوا شأوا خطيرا (٢) .

أراد الله أن تكون المعجزة مما كان لهم فيه السبق والبراعة وحده ، فيذهلهم (٣) ، ويفهم موقف الخزي ، والحيرة ، والضعف ، والاستكانة (٤) ويستشعروهم (٥) خوفه ، وقدرته ، وأن كلمة الله هى العليا .

عصا « موسى » فألقى موسى عصاه ، فإذا هى شعبان مبين ، ونزع يده ، فإذا هى بيضاء للناظرين ، فصموا فى تكذيبهم ، وقالوا : ساحر عليم ، فأثأر الملأ من قوم فرعون عليه أن يرجىء موسى وأخاه هرون حتى يجمع السحرة من أرجاء مصر وأفاقها . فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يجمعون السحرة .

يوم الزينة : وفى يوم الزينة — وقيل : « هو يوم وغاء النيل — راود السحرة موسى : أيلقى سحره أولا أم يلقيون هم ؟ فقال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا الحبال ، والعصى ، فخيل لموسى من سحرهم أنها حيات وشعابين تسعى ، وفرح « فرعون » وملاؤه فرحا شديدا ، واعتقدوا أنهم الغالبون .

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

قال : « ان كنت جئت بآية فأنت بها ان كنت من الصادقين ١٠٦ . فألقى عصاه فإذا هى شعبان مبين ١٠٧ ، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين ١٠٨ ، قال الملأ من قوم فرعون : ان هذا لساحر عليم ١٠٩ ، يريد أن يخرجكم من أرضكم ، فماذا تأمرون ١١٠ ، قالوا : أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين (٦) ١١١ جامعين : يجمعون السحرة .

الآية :
١ — عصاه
٢ — يده

- (١) تنتضح : تنهرا .
(٢) خطيرا : عظيما .
(٣) يذهلهم : يجعلهم يذهلون ويغيبون عن رشدهم .
(٤) الاستكانة : الخضوع .
(٥) يستشعروهم خوف الله : يجعلهم يشعرون بخوف الله .
(٦) حاشرين : جامعين ، يجمعون السحرة .

السحرة و«فرعون» :

القاؤهم :

خوف موسى :

عصا « موسى » :

وجاء السحرة فرعون وقالوا : « أن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ١١٣ قال : « نعم ، وانكم لن المقربين ١١٤ » ، قالوا : « يا موسى امان تلقى واما أن نكون نحن الملقين ١١٥ ، قال : « ألقوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس ، واسترهبوهم (١) ، وجاعوا بسحر عظيم ١١٦ » فأوجس في نفسه خيفة موسى ، فأزال الله خوفه ، وأمره أن يلقي عصاه ، فآلقاها ، فصارت حية تسعى ، ابتلعت حيات السحرة ،

فبطل ما كانوا يعملون ، وسجدوا لله ، وآمنوا به ، فغاض ذلك فرعون ، وقال لهم : انه لكبركم الذي علمكم السحر — وهو عالم أن موسى ليس له بالسحر صلة من قبل — وأخذ يؤنبهم ويتوعدهم بالعذاب الأليم ، لأنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم : « آمنتم له قبل أن آذن لكم » ، ويتهددهم بقطع أيديهم ، وأرجلهم من خلاف ، وبالتصليب (٢) في جذوع النخل ، فلم يأبهوا (٤) بتهديده ، وخشى أن يبذل موسى ، دين المصريين ، أو أن يظهر في الأرض الفساد الذي يراه باطلاق بنى إسرائيل من أسر العبودية . لم يفلح فرعون في رد موسى عن رسالته ، لأنه جاد فيها وقد أبى فرعون وقومه أن يؤمنوا بموسى ، وتمادوا في طغيانهم ، لأن حياتهم المترفة ، وعيشتهم (٥) الرغد جعلت قلوبهم قاسية . فتوجه موسى الى ربه ، وسأله لهم الضلال ، وسوء الحال ، وأن يسومهم اليم العذاب : « ربنا أطمس (٦) على أموالهم ، واشدد (٧) على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .

« فرعون » يتوعد ويهدد :

« فرعون » يخشى أن يبذل « موسى » دين المصريين :

« موسى » جاد في رسالته :

حياة « فرعون » وقومه :

« موسى » يتوجه الى ربه :

فاستجاب الله سؤله ، وأمره أن يقيم الصلاة في بيوت يتخذها لبنى إسرائيل في مصر .

اقامة الصلاة :

وفي سورة يونس :

ثم بعثنا من بعدهم موسى و هرون الى فرعون وملئه بآياتنا ، فاستكبروا ، وكانوا قوما مجرمين ٧٥ ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : ان هذا لسحر مبين « ٧٦ . قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم ، أسحر هذا ؟ ولا يفلح الساحرون ٧٧ ، قالوا : أجئنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ، وتكون لكما الكبرياء في الأرض ؟ وما نحن لكما بمؤمنين ٧٨ » . وقال فرعون : اثبتوني بكل ساحر عليهم ٧٩ » ، فلما جاء السحرة قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ٨٠ ، فلما ألقوا قال موسى : « ما جئتم به السحر ،

استكبار « فرعون » وملئه :

ما وجدوا عليه آباءهم :

« موسى » والسحرة :

(١) استرهبوهم ارهابا شديدا .

(٢) يتهددهم : يخوفهم .

(٣) التصليب : الصلب ، وشدد للكثرة .

(٤) يأبهوا : لم يهتموا .

(٥) عيشتهم الرغد : الواسعة ، الطيبة .

(٦) أطمس على أموالهم : أهلكها « والطمس : المحق .

(٧) أشدد على قلوبهم : أقسيتها ، وأخيم عليها حتى لا تتشرح للايان

ان الله سيبطله ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين ٨١ ، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ٨٢ ، فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم (١) ، وان فرعون لعال في الأرض ، وانه لمن المسرفين ٨٣ ، وقال موسى : « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ٨٤ » ، فقالوا : على الله توكلنا ، ربنا لا نجعلنا فتنه (٢) للقوم الظالمين ٨٥ ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ٨٦ » ، وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا (٣) لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة (٤) ، وأقيموا الصلاة ، وبشر المؤمنين ٨٧ » .

المؤمنون بموسى :

■ موسى « وقومه :

البيوت مساجد :

وقال موسى : « ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ٨٨ » ، قال : « قد أجيبك دعوتكما ، فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ٨٩ » .

اجابة الدعوة :

وفي سورة « الشعراء » :

قال : « لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ٢٩ » ، قال : أولو جنتك بشيء مبين ٣٠ ، قال : فأت به ان كنت من الصادقين ٣١ » ، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ٣٢ ، ونزع (٥) يده فاذا هي بيضاء للناظرين ٣٣ ، قال للملأ حوله (٦) : « ان هذا لساحر عليم ٣٤ ، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ، فماذا تأمرون ؟ ٣٥ » ، قالوا : أرجه (٧) وأخاه ، وأبعث في الدائن حاشرين ٣٦ ، يأتوك بكل سحار عليم ٣٧ ، فجمع السحرة لميقات (٨) يوم معلوم ٣٨ ، وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون ، لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ٤٠ ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : « ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ٤١ » ، قال : نعم ، وانكم اذا لمن المقربين ٤٢ » .

شئ مبين :

ارجاء امر «موسى»
و ■ أخيه ■ :

جمع السحرة :

قال لهم موسى : « القوا ما أنتم ملقون ٤٣ » ، فألقوا حبالهم وعصيهم . وقالوا : « بعزة فرعون انا لنحن الغالبون » ٤٤ ، فألقى موسى عصاه ، فاذا هي تلقف ما يأفكون ٤٥ ، فألقى السحرة

عصا « موسى »
تلقف ما يأفكون :

(١) أن يفتنهم : أن يمزقهم .

(٢) فتنه : موضع عذاب .

(٣) أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا : اتخذوا لهم مساكن .

(٤) قبلة : مصلى ، أو مسجد .

(٥) ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ■ كان « موسى » عليه السلام شديد السحرة ، ولذا عدت معجزة .

(٦) الملأ : الأشراف .

(٧) أرجه وأخاه : أرجى أمرها .

(٨) ميقات : ميعاد .

ساجدين ٤٦ ، قالوا : آمنا برب العالمين ٤٧ ، رب موسى وهرون ٤٨ ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم أجمعين ٤٩ ، قالوا : لا ضير (١) ، انا الى ربنا منقلبون . انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا (٢) أن كنا (٣) أول المؤمنين ٥١ .

ايهان السحرة :
السحرة لا يابهون
بوعيد « فرعون » :

فرعون يصر على عناده

ذهل فرعون ، وغمرته (٤) موجة من الأسى (٥) ، والأسف ، وخشى على سلطانه أن يمحق ، وعلى بهتانته (٦) أن يصعق ، فأصر لى عناده ، واضطر أن يجاهد ، ويجادل حتى يتقشع هذا السحاب وتصفو له ولملئه الحياة ، وأنكر عليه قومه ترك موسى ومن معه يفسدون في الأرض ، فسكن فرون ثورتهم ، ووعدهم انه سيقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، ثم أنزل بهم ألوان العذاب ، فلجئوا الى موسى « يستغيثونه قائلين : « أؤذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعدما جئتنا » فطمأنهم ، ووعدهم النجاة ، والحرية ، والسعة بعد الضيق ، وقال لهم : « استعنيوا بالله وأصبروا ، ان الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

الأسف ينهر
« فرعون » :
أصراره على
عناده :
إنكار قومه عليه
ترك « موسى »
وقومه :
« فرعون » يسكن
ثورة قومه :
قوم « موسى »
يستغيثونه :
« موسى » يعدهم
الحرية والنجاة :

قال تعالى في سورة « الأعراف » :

وقال الملأ من قوم فرعون : : أنذر (٧) موسى ، وقومه ، ليفسدوا في الأرض ، ويذكرك وآلهتك ؟ قال : سنقتل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، وأنا فوقهم قاهرون ١٢٧ ، قال موسى لقومه : استعنيوا بالله ، وأصبروا ، ان الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ١٢٨ ، قالوا : أؤذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئنا ، قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم (٨) في الأرض فينظر كيف تعملون ١٢٩ » .

« فرعون »
و « قومه » :

« موسى » وقومه :

فرعون وقومه يأترون بموسى ليقتلوه

ولما سدت أمام فرعون وملئه السبيل ، وأعيتهم الحيل راحوا يأترون بموسى ليقتلوه ، وراوا أن ذلك خير سبيل لبقاء ملكهم ليقتلوه .

« فرعون » وقومه
يأترون بموسى ،
ليقتلوه :

- (١) لا ضير : لا ضرر .
- (٢) خطايانا : ذنوبنا ، المفرد : خطيئة .
- (٣) أن كنا : لأن كنا .
- (٤) غمرته : غلته .
- (٥) الأسى : الحزن ، والأسف : الحزن الشديد .
- (٦) البهتان : الكذب ، والافتراء .
- (٧) تذر : تترك .
- (٨) يستخلفكم في الأرض : يجعلكم خلفاء فيها .

واطمئنناهم . فأنار الله بصيرة رجل من آل فرعون يكتُم إيمانه ، فجادلهم ، وبين لهم سوء تدبيرهم ، وحذرهم بأس الله ، وبطشه ، وأراهم أنه لا ينبغي أن يقتلوا رجلا ، لأنه يقول : ربى الله ، وقد جاءهم بما يثبت صدقه من الآيات ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبهم بعض ما أنذرهم به ، ثم أبان لهم وقائع الله تعالى بالأمم السابقة ، وجزاءهم الوفاء بما كانوا يصنعون ، وأنه مجازيهم على سيئاتهم ، وحسناتهم .

نصح لهم رجل
مؤمن من آل
فرعون :
الآيات !
وقائع الله :

فأعرضوا عن قوله ، وبذلوا قصارى جهدهم ، ليردوه إلى دين قومه ، يدعوهم إلى الإيمان بالعزیز الغفار ، وهم يدعونه إلى الكفر به ، يدعونه إلى عبادة مالا ينفع ، ولا يشفع ، يدعونه إلى النار .

أعرضهم عن
قوله :
يدعونه إلى النار :

أخلص لهم النصح ، ليخلصهم من النار ، عذاب المسرفين ، ثم فوض أمره إلى الله .

قال تعالى في سورة « غافر » :

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ٢٨ ، يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين (١) فى الأرض ، فمن ينصرنا من بأس (٢) الله أن جاءنا « قال فرعون : « ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » ٢٩ ، وقال الذى آمن : « يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (٣) » ٣٠ ، مثل دأب (٤) قوم نوح و عاد و ثمود ، والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلما للعباد ٣١ ، ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد (٥) ٣٢ ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم (٦) ، ومن يضل الله فماله من هاد ٣٣ ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فمازلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا « . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٧) ٣٤ ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان (٨) أتاهم كبر مقتنا (٩) عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع (١٠) الله على كل قلب متكبر جبار ٣٥ « .

أتقتلون رجلا لأنه
يقول : ربى الله ؟
لكم الملك اليوم :
يوم الأحزاب .
يوم التناد :
يوسف :
التكبر ، الجبار :

- (١) ظاهرين فى الأرض : غالبين فيها .
- (٢) بأس الله عذابه .
- (٣) مثل يوم الأحزاب : مثل أيام الأمم الماضية « يعنى وفائهم » .
- (٤) مثل دأب قوم نوح : مثل عادتهم .
- (٥) يوم التناد : يوم التنادى ، أى يوم ينادى فيه بعض الناس بعضا ، وهو يوم الآخرة .
- (٦) عاصم : حافظ .
- (٧) مرتاب ، شك .
- (٨) سلطان : دليل وبرهان .
- (٩) المقت : أشد النفور .
- (١٠) يطبع : يختم ، وهما بمعنى الاغلاق .

وفي سورة « غافر » أيضا :

« وقال الذى آمن : يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ٣٨ ، يا قوم ، انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هى دار القرار ٣٩ ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ٤٠ . » ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة ، وتدعوننى الى النار ٤١ ؟ تدعوننى لأكفر بالله ، وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ٤٢ ، لا جرم (١) أن ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وأن مردنا (٢) الى الله ، وأن المسرفين (٣) هم أصحاب النار ٤٣ ، فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري الى الله ، ان الله بصير بالعباد ٤٤ ، فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق (٤) بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ ، النار يعرضون عليها غدوا (٥) وعشيا (٦) ، ويوم تقوم الساعة : ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ . »

قول الذى آمن :

يدمومهم الى النجاة وهم يدمونه الى النار :

وأفوض أمري الى الله :

حاق بآل «فرعون» سوء العذاب :

استخفاف فرعون بموسى

دأب موسى عليه السلام فى دعوة فرعون الى الايمان بالله وحده ، وفى اطلاق بنى اسرائيل .

دأب « موسى » فى الدعوة :

ودأب فرعون فى رد موسى والسخرية منه ، ورأى أن عزة سلطانه ، وعظيم جاهه ، وموفر ثروته ، وحياته الرفاهة ، الناعمة تقف دون تلبية دعوة موسى ، واتباعه لدينه .

دأب « فرعون » فى السخرية منه :

الليس هو القائل : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ، ولا يكاد يبين ؟ »

وكيف يلبى دعوة موسى وقد ألف قومه الخنوع له ، والانقياد ؟ وهو الذى حشرهم من الأماق ، وخاطبهم بقوله : « أنا ربكم الأعلى » .

الخنوع والانقياد :

قال تعالى فى سورة « الزخرف » :

ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ، أليس لى ملك مصر ،

نداء « فرعون » فى قومه :

(١) لا جرم : لابد ، أو « حقا » .

(٢) مردنا : مرجعنا .

(٣) المسرفين : المسرفين فى الضلال .

(٤) حاق : أحاط .

(٥) غدوا : مصدر غدا ، يفدو أى ذهب وقت الغداة « وهو من الفجر الى طلوع الشمس » .

(٦) عشيا : جمع عشية ، وهى الوقت من بعد الظهر الى المغرب .

وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون ؟ ٥١ ، أم أنا خير من هذا الذي هو مهين (١) ، ولا يكاد يبين ٥٢ ، فلو لا ألقى عليه أسورة من ذهب ، أو جاء معه الملائكة مقترنين (٢) ٥٣ « ، فاستخف قومه فأتاعوه ، أنهم كانوا قوما فاسقين ٥٤ .

استخف عقول قومه :

وفي سورة « النازعات » :

« ثم أدبر يسمي ٢٢ ، فحشر (٣) غنادى ٢٣ » فقال : « أنا ربكم الأعلى ٢٤ ، فأخذه الله نكال (٤) الآخرة والأولى ٢٥ ، ان في ذلك لعبرة (٥) لمن يخشى ٢٦ » .

أنا ربكم الأعلى :

جزاء وفاق لفرعون وقومه

تمادى فرعون في تكذيب موسى عليه السلام ، وتعتى (٦) ، واستمر تعنت بنى إسرائيل ويوقع بهم ضروب الذلة ، والهوان . فأمر الله موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله سيوقع بهم العذاب الأليم ، لأنهم كذبوه ، ولم يطلقوا « بنى إسرائيل » ففاض (٧) ماء النيل .

تمادى « فرعون » في التكذيب والاعتات : ايقاع العذاب بفرعون وقومه : أنواع العذاب :

وابتلاهم الله بنقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات ، فأهلك (٨) الزرع والضرع . وانتشرت الضفادع بينهم . فسأعت حياتهم .

غيض ماء النيل نقص الأموال ... الخ انتشار الضفادع :

وسرى القمل (٩) فيهم فأقض (١٠) مضاجعهم .

أقض القمل مضاجعهم :

وسلط عليهم الرعاف (١١) فسال الدم من أنفهم .

الرعاف :

ثم عاقبهم الله تعالى بالفقر (١٢) المدقع، جزاء عنادهم ، وعتوهم .

الفقر المدقع :

- (١) مهين : ضعيف ، حقير .
- (٢) مقترنين : مقرونين به « يعينونه » .
- (٣) حشر : جمع .
- (٤) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى : أخذه الله أخذا منكلا لمن رآه أو سمعه ، أو للتشكل به في الدنيا والآخرة .
- ونكل به تنكيلا : جعله موعظة وعبرة لغيره .
- (٥) عبرة : موعظة .
- (٦) تعتى : عتى ، واستكبر .
- (٧) غاض ماء النيل : قل ، ونضب .
- (٨) أهلك الزرع والضرع : أهلك النبات والحيوان .
- (٩) القمل : صغار الجراد .
- (١٠) أقض مضاجعهم : خشنها فلم يناموا .
- (١١) الرعاف : الدم يخرج من الأنف .
- (١٢) الفقر المدقع : الملصق بالدقعة ، وهى التراب ، أى الفقر السوء المذل .

كثروعددهم : وطالما وعدوا موسى بالايمن به تارة ، وبارسال بنى اسرائيل تارة أخرى اذا طلب من ربه أن يكشف عنهم العذاب ، فاذا كشفه عنهم غدروا بعهدهم ، وعادوا الى طغيانهم ، حتى دهمتهم (١) المعجزة الكبرى .

قال تعالى فى سورة « الاعراف » :

الرجز وقع عليهم : ولما وقع عليهم الرجز (٢) قالوا : « يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشففت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى اسرائيل ، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالقوه اذا هم ينكتون » (٣) . نكتهم العهد :

الآيات التى أرسل بها موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل .

الآيات : أحكام : فسرهما البيضاوى بأنها آيات أرسل بها موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل وهى أحكام أمروا بالأخذ بها ، لا آيات عقاب عوقب بها « فرعون » وجنوده .

ونص تفسيره :

تسع آيات : ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، وهى :

العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم وانفجار الماء من الحجر ، وغلغ البحر ، ونتق (٤) الطور على بنى اسرائيل .

وقيل : الطوفان ، والسنون (٥) ، ونقص الثمرات مكان الثلاثة الأخيرة .

صفوان : وعن صفوان : أن يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا . اجابة النبى صلى الله عليه وسلم :

ولا تشوا ببرى لدى سلطان ليقتله . ولا تتذفوا محصنة ، ولا تفروا من الزحف . وعليكم خاصة اليهود : الا تعدوا فى السبت .

فقبل اليهودى يده ، ورجله .

(١) دهمتهم : غشيتهم ، وجاعتهم .

(٢) الرجز : العذاب .

(٣) ينكتون : ينقضون العهد .

(٤) نتق الطور : رفعه على « بنى اسرائيل » .

(٥) السنون : الجدوب ، أى أخذناهم بالجدوب ، والسنة غلبت على عام القحط .

يقال : أصابتهم سنة ، أى جذب ومجاعة .

المراد بالآيات :

فالمراد اذا بالآيات : الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع .

قال تعالى في سورة « الأعراف » أيضا :

« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ١٣٠ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطيروا (١) بموسى ومن معه ، ألا إنما طائرهم (٢) عند الله ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ١٣١ ، وقالوا : مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فماتحنك بمؤمنين ١٣٢ » ، فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم . آيات مفصلات . فاستكبروا ، وكانوا قوما مجرمين ١٣٣ ، ولما وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك بما عهد عندك (٣) لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى اسرائيل ١٣٤ ، فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ١٣٥ » .

الحسنة والسيئة :
طائرهم عند الله :

الرجز :
الايهان ، وارسال
بنى اسرائيل :
ينكثون العهد :

وفي سورة « الاسراء » :

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم ، فقال له فرعون : انى لأظنك يا موسى مسحورا ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر ، وانى لأظنك يا فرعون (٤) مثبورا ١٠٢ » .

« موسى »
و « فرعون » :

وفي سورة « طه » :

« ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » ٥٦ .

كذب وأبى :

وفي سورة « النمل » :

« فلما جاءتهم آياتنا (٥) مبصرة قالوا : هذا سحر مبين ١٣ ، وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ظلما ، وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ١٤ » .

آياتنا مبصرة :

المفسدون :

وفي سورة « القصص » :

« فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا : « ما هذا الا سحر مفترى ، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ٣٦ » .

سحر مفترى :

- (١) يطيروا : يتطهروا : ينشأوا .
(٢) طائرهم عند الله : عنده سبب خيرهم وشرهم .
(٣) بما عهد عندك : بحق ما عنده « وهى النبوة » .
(٤) مبصرة : بيينة ، أو هى ذات بصر ، من حيث أنها تهدى ، العمياء
(٥) مثبورا : مصروفا عن الخير ، بعيوا عنه ، أو هالكا .

لا يفلح الظالمون : وقال موسى : ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له عاقبة الدار (١) ، أنه لا يفلح الظالمون « ٣٧ » .

وفى سورة الزخرف :

رسول رب العالمين : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال : انى رسول رب العالمين ٤٦ » ، فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ٤٧ ، وما نريهم من آية الا هي أكبر من اختها ، وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ٤٨ ، وقالوا . يا أيها الساحر ، ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا لمهتدون ٤٩ ، فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكتون ٥٠ .

وفى سورة القمر :

النذر : « ولقد جاء آل فرعون « النذر (٢) ٤١ ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز (٣) مقتدر « ٤٢ » .

وفى سورة النازعات :

الآية الكبرى : فأراه الآية الكبرى (٤) ٢٠ ، فكذب وعصى ٢١ » .

انطلاق بنى اسرائيل

ما جاء فى « التوراة » : تذكر التوراة أن فرعون قد أذن لبنى اسرائيل فى الخروج من مصر ، ليخلص من ألوان العذاب التى حاقت (٥) به ، فانطلق بهم موسى عليه السلام — وقد لمسوا لديه الرحمة ، والهداية ، وفازوا بالسلامة ، والبعد عن القوم الظالمين .

طريق ييس : « ولقد أوحينا الى موسى أن أسر (٦) بعبادى ، فاضرب لهم طريقا فى البحر ييسا (٧) ، لا تخاف دركا (٨) ولا تخشى » .

-
- (١) عاقبة الدار : المراد بالدار : الدنيا ، وعاقبتها الجنة .
 - (٢) النذر : المنذرون ، المفرد نذير .
 - (٣) أخذ عزيز مقتدر : أخذ منيع الجانب ، قادر على أعدائه .
 - (٤) الآية الكبرى : المعجزة الكبرى .
 - (٥) حاقت به : أحاطت به .
 - (٦) أسر : سر ليلا .
 - (٧) ييسا : يا يسا .
 - (٨) لا تخاف دركا : لا تخاف أن يدرككم العدو .

ندم فرعون على خروج بنى اسرائيل

ثورة « فرعون » : ثار ثائر فرعون لخروج بنى اسرائيل ، لأنه فقد عبوديتهم ،
الحلى والزينة : وتسخيرهم ، ولأن الاسرائيليات قد استعرن الحلى والزينة من
المصريات ، ولم يردنها اليهن ، فأتبع بنى اسرائيل بحشد من
جنده ، ليردهم الى عبوديته ، وليسترد ما أخذ نساؤهم من حلى
وزينة .

ترأى الجمعان : فلما ترأى (١) الجمعان — وقد بلغ بنو اسرائيل ساحل البحر
الأحمر على خليج السويس — قال أصحاب موسى : انا لمدركون ،
وفزعوا الى (٢) موسى فأفزعهم .

انفلاق البحر

« موسى » يضرب البحر عند شروق الشمس : شرقت الشمس ، فضرب موسى عليه السلام البحر ، امتثالا
لأمر ربه ، فانفلق حتى ظهرت أرضه ، فكان كل فرق (٣) كالطود
العظيم .

اثنا عشر طريقا : وبدا في البحر اثنا عشر طريقا ، لكل فريق من بنى اسرائيل
طريق ، فصاروا آمنين ، تحرسهم عناية الله حتى عبروه .

« فرعون » وجنده يسلكون مسلك بنى اسرائيل : وطمع فرعون وجنده أن يسلكوا مسلك بنى اسرائيل ، فصاروا ،
وما كادوا يصلون الى عرض (٤) البحر حتى غشيهم منه ما غشيهم ،
وأطبق عليهم فأغرقوا جميعا .

الحقيقة الناصعة : ولما بدت لفرعون الحقيقة ناصعة ، وايقن الهلاك قال : « آمنت
أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين » ،
يخدع « موسى » : فلما أنه خادع موسى واله ، وممثل ما مثله من قبل ، فينجو كما
الندامة : نجا ، وأسر هو وجنده الندامة لما رأوا العذاب .

جثة « فرعون » : وألقى البحر جثة فرعون على ساحله ، ليكون مثلا للآخرين ،
وآية رب العالمين .

قال تعالى فى سورة الأنعام :

بعض آيات ربك : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من
قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا » .

(١) ترأى الجمعان : تقاربا حتى يرى أحدهما الآخر .
(٢) فزعوا الى « موسى » فأفزعهم : لجئوا اليه فأغاثهم .
(٣) الطود : الجبل .
(٤) عرض البحر : وسطه .

وفى سورن النساء :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن » .

التوبة :

فرعون موسى

يحدثنا التاريخ القديم أن رعمسيس الثانى قد يكون فرعون الذى ولد موسى فى عصره ، واضطهد بنى اسرائيل المقيمين فى مصر ، لأنه خشى أن يكونوا مناصرين لأعدائه المواطنين لهم من قبل . وقد كان عدوا (١) أزرق للشعوب الآسيوية التى حاربها زهاء تسع سنين ، وأنه قد أشرك ابنه الملك منفتاح معه فى الحكم ، وقد كبرت سنه حين ولى العهد ، وهو القائل لموسى : « ألم نريك فينا وليدا ، ولبتت فينا من عمرك سنين » ؟ وهو الذى أرسل اليه موسى وهرون عليهما السلام لأخراج بنى اسرائيل من مصر .

« رعمسيس »
الثانى :
ولد « موسى » فى
عصر :
عدو الشعوب
الآسيوية :
« منفتاح » :
« موسى »
و « هرون » :

والعثور على جثة منفتاح فى المتحف المصرى مصداق لقوله تعالى : « فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك آية » .

للمتحف المصرى :

موضع عبور بنى اسرائيل

أوردت التوراة أسماء أماكن مر بها بنو اسرائيل حتى وصلوا الى موضع العبور الذى لم نهتد اليه ، لأنه ليس هناك معلومات عنه تزيل الشك ، أو تبعث اليقين :

التوراة :

والبحارة فى البحر الأحمر يقولون : ان بركة فرعون — مكان فى خليج السويس — كان بها العبور ، وهى تبعد عن السويس كثيرا ، وهذا القول غير قريب من الحقيقة ، لأن خليج السويس كان يمتد فى تلك الأزمن الى البحيرات المرة ، أو يقرب منها ، عابى أنه قد وصل اليها أن شمال المكان المعروف بـ « عيون موسى » فى البر الآسيوى كان موضع عبور بنى اسرائيل وهى غير بعيدة عن السويس كثيرا .

البحارة فى البحر
الأحمر :
بركة « فرعون » :
خليج السويس :
عبور « موسى » :

وقد رسم الأستاذ محمد رفعت فى أطلسه التاريخى طريق عبور بنى اسرائيل بين السويس والبحيرات المرة ، ورسم خطين يدلان على أن خليج السويس كان متصلا بتلك البحيرات .

الأطلس التاريخى:
خليج السويس
والبحيرات المرة :

(١) عدوا أزرق : شديد العداوة ، كما يقال : خصم لدود .

وهناك آراء أخرى .

ومن المرجح من هذه الآراء كافة لأنه أقصر الطرق وآمنها :

أرض جاسان : أن موسى عليه السلام وبنى اسرائيل بدعوا مسيرهم من أرض جاسان حيث كانوا يقيمون متجهين شرقا حتى وصلوا الى البحيرة المعروفة الآن بـ بحيرة التمساح فعبروها من الجزء الشمالى منها .

بعدوا عن الأماكن الخالية من المياه : وقد بعدوا عن الأماكن الخالية من المياه ، خشية الحاميات المصرية التى كانت تمنع الداخال الى مصر ، والخارج منها الا باذن من فرعون ، ثم اتجهوا جنوبا الى سيناء .

نذير مبين : قال تعالى فى سورة الدخان : ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ١٧ : « أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين ١٨ ، ولا تعلوا على الله ، انى آتاكم (١) بسطان مبين ١٩ ، وانى عذبت ربى وربكم أن ترجمون (٢) ٢٠ ، وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ٢١ ، فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ٢٢ ، فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون ٢٣ ، واترك البحر رهوا (٣) انهم جند مفرقون ٢٤ .

جنات وعيون : كم تركوا من جنات وعيون ٢٥ ، وزروع ومقام كريم ٢٦ ، ونعمة كانوا فيها فاكهين (٤) ٢٧ ، كذلك وأرثناها قوما آخرين ٢٨ ، فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين (٥) ٢٩ ، ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهيئ ٣٠ ، من فرعون انه كان عاليا (٦) من المسرفين ٣١ » .

وفى سورة الذاريات :

تولى بركنه : وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسطان مبين ٣٨ ، فتولى بركنه (٧) ، وقال : ساحر أو مجنون ٣٩ ، فأخذناه وجنوده فنبذناهم (٨) فى اليم وهو مليم (٩) .

- (١) سلطان مبين : حجة واضحة .
- (٢) أن ترجمون : الرجم : الضرب بالحجارة .
- (٣) رهوا : ساكنا .
- (٤) فاكهين : ناعمين .
- (٥) منظرين : مؤخرين .
- (٦) انه كان عاليا من المسرفين : انه كان متكبرا من المسرفين فى التكبر .
- (٧) فتولى بركنه : فاعرض عن الايمان به « كما قال : ونأى بجانبه » . والمعنى انه تولى بها كان يتقوى به من جنوده .
- (٨) فنبذناهم : ألقيناهم .
- (٩) مليم : آت بميلاام عليه من الكفر والعناد .

وفي سورة غافر :

- « وحاق(١) بآل فرعون سوء العذاب ٥٥ » النار يعرضون عليها غدواً ، وعشيا ، ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٥٦ » ، وأذ يتحاجون(٢) في النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا : « انا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ ٤٧ » ، قال الذين استكبروا : « انا كل فيها ؟ ان الله قد حكم بين العباد ٤٨ » ، وقال الذين في النار لخزنة(٣) جهنم : « ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ٤٩ » ، فقالوا : « أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات(٤) » قالوا : بلى(٥) ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . ٥٠ ، انا لننصر رسلكم في الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد(٦) ٥١ ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار(٧) ٥٢ » .
- سوء العذاب :
الضعفاء . .
والمستكبرون :
خزنة جهنم :
انا لننصر رسلكم :
لهم سوء الدار :

وفي سورة الدخان :

- « ان شجرة الزقوم ٤٣ طعام الأثيم ٤٤ ، كالمهل(٩) ، يغلى في البطون ٤٥ ، كغلى الحميم(١٠) ٤٦ ، خذوه فاعتلوه(١١) الى سواء الجحيم(١٢) ٤٧ ، ثم صرخوا فوق رأسه من عذاب الحميم(١٣) ٤٨ ، ذق ، أنك أنت العزيز الكريم ٤٩ ، ان هذا ما كنتم به تمترون(١٤) ٥٠ » .
- شجرة الزقوم :
عذاب الحميم :

فريق من بنى اسرائيل يالفون وثنية المصريين

- الف فريق من بنى اسرائيل وثنية المصريين ، لأنهم عاشروهم حياتهم ، وعاشوا بينهم(١٥) ردحا من الدهر مغلوبين على أمرهم ، فأضطروا الى تقليدهم ، شأن المغلوب مع الغالب .
- وثنية المصريين :

- (١) حاق : أحاط .
(٢) يتحاجون : يتخاصمون ويتجادلون .
(٣) لخزنة جهنم : للمكلفين بتدبير أمورها من الملائكة .
(٤) البينات : الآيات الواضحات .
(٥) بلى : نعم .
(٦) الأشهاد : جمع شاهد .
(٧) سوء الدار : دار السوء وهى جهنم .
(٨) شجرة الزقوم : شجرة خبيثة ذات ثمر مر ، يقال : انها تثبت ببلاذ العرب ، والزقوم : طعام أهل النار .
(٩) كالمهل : المهل : ما يمهل في النار حتى يذوب ، أو هو دردى الزيت ، أى عكارتة .
(١٠) الحميم : الماء الحار جدا .
(١١) اعتلوه : جروه ، والعقل : الأخذ بجامع الشيء ، وجره بقهر .
(١٢) سواء الجحيم : وسطها .
(١٣) عذاب الحميم : عذاب هو الحميم .
(١٤) تمترون : تشكون ، أو تمارون ، أى تجادلون .
(١٥) ردحا : مدة طويلة .

وفي سورة الأعراف :

« فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين ١٣٦ ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها »

أورثنا المستضعفين
مشارق الأرض
ومغاربها :

وتمت (١) كلمة ربك الحسنی على بنی اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون (٢) ١٣٧

صبر « بنی
اسرائیل » :

وفي سورة يونس :

تدمير صنع
« فرعون »
وقومه :

« وجاوزنا بنی اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا ، وعدوا ، حتى إذا أدركه الفرق قال : آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ، وأنا من المسلمين ٩٠ » ، الآن (٤) وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ ٩١ ، فاليوم نجيك بيدك ، لتكون لمن خلفك آية ، وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ٩٢ » .

أتبعهم « فرعون »
وجنوده :

الآن وقد عصيت
قبل :
نجاته ببذنه آية
لن بعده :

ما أعد الله لفرعون وقومه من سوء العذاب يوم القيامة

حكى القرآن الكريم ما أعدّه الله تعالى لفرعون وقومه من سوء العذاب ، وأليم العقاب يوم القيامة :

سوء العذاب :

قال تعالى في سورة هود :

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٩٦ ، الى فرعون وملئه ، فاتبعوا أمر فرعون ، وما أمر فرعون برشيد (٥) قومه يوم القيامة ، فأوردتهم النار ، وبئس الورد (٦) المورود ٩٨ وأتبعوا (٦) في هذه لعنة ، ويوم القيامة بئس الرفد (٧) المرفود ٩٩

ما أمر « فرعون »
برشيد :
بئس الرفد
المرفود :

وفي سورة القصص :

« وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون ٤١ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين (٩) ٤٢ » .

أئمة يدعون الى
النار :
هم من المقبوحين :

(١) وتمت كلمة ربك الحسنی على بنی اسرائيل : وتحققت الكلمة الفائقة في الحسن وهي وعده إياهم أنه سيجعلهم ورثة الأرض .

(٢) يعرشون : يبنون .

(٣) فاتبعهم : فأدركهم ، يقال : تبعته حتى أتبعته « أي حتى أدركته » .

(٤) بغيا وعدوا : باغين ، عادين « أي ظالمين متعددين » .

(٥) الآن : أتؤمن الآن »

(٦) يقدم قومه : ينقدمهم ويسير أمامهم .

(٧) الورد : المورد الذي يستقى منه .

(٨) أتبعوا في هذه الدنيا لعنة : جعلت اللعنة تتبعهم في الدنيا .

(٩) بئس الرفد المرفود : بئس العطاء المعطى .

(١٠) من المقبوحين : من البعدين عن الخير .

وفى سورة غافر :

« وحقاً (١) بآل فرعون سوء العذاب ٤٥ ، النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ، ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٦ » ، واذا يحتاجون (٢) فى النار ، فيقول الضعفاء للمستبكرون : « انا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ ٤٧ » ، قال الذين استكبروا : « انا كل فيها ؟ ان الله قد حكم بين العباد ٤٨ » ، وقال الذين فى النار لخزنة جهنم : « ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ٤٩ » ، فقالوا : « أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات (٤) » قالوا : بلى (٥) ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال . ٥٠ ، انا لننصر رسلنا : الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد (٦) ٥١ ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار (٧) ٥٢ . »

سوء العذاب :
الضعفاء .
والمستبكرون :
خزنة جهنم :
انا لننصر رسلنا :
لهم سوء الدار :

وفى سورة الدخان :

« ان شجرة الزقوم ٤٣ طعام الأثيم ٤٤ ، كالمهل (٩) ، يغلى فى البطون ٤٥ ، كغلى الحميم (١٠) ٤٦ ، خذوه فاعتلوه (١١) الى سواء الجحيم (١٢) ٤٧ ، ثم صروا فوق رأسه من عذاب الحميم (١٣) ٤٨ ، ذق ، انك أنت العزيز الكريم ٤٩ ، ان هذا ما كنتم به تمترون (١٤) ٥٠ . »

شجرة الزقوم :
عذاب الحميم :

فريق من بنى اسرائيل يالفون وثنية المصريين

الف فريق من بنى اسرائيل وثنية المصريين ، لأنهم عاشروهم حياتهم ، وعاشوا بينهم (١٥) ردحا من الدهر مغلوبين على أمرهم ، فأضطروا الى تقليدهم ، شأن المغلوب مع الغالب .

وثنية المصريين :

- (١) حاق : أحاط .
- (٢) يحتاجون : يتخاصمون ويتجادلون .
- (٣) لخزنة جهنم : للمكلفين بتدبير أمورها من الملائكة .
- (٤) البينات : الآيات الواضحات .
- (٥) بلى : نعم .
- (٦) الأشهاد : جمع شاهد .
- (٧) سوء الدار : دار السوء وهى جهنم .
- (٨) شجرة الزقوم : شجرة خبيثة ذات ثمر مر ، يقال : انها تنبت ببلاد العرب ، والزقوم : طعام أهل النار .
- (٩) كالمهل : المهل : ما يهل فى النار حتى يذوب ، أو هو دردى الزيت أى عكرته .
- (١٠) الحميم : الماء الحار جدا .
- (١١) اعتلوه : جروه ، والمقل : الأخذ بمجامع الشئ ، وجره بقر .
- (١٢) سواء الجحيم : وسطها .
- (١٣) عذاب الحميم : عذاب هو الحميم .
- (١٤) تمترون : تشكون ، أو تمارون ، أى تجادلون .
- (١٥) ردحا : مدة طويلة .

« فما آمن لموسى الا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون ،
وملئهم أن يفتنهم — والضمير في ملئهم راجع الى فرعون ، وجمعه
على ما هو المعتاد في ضمير العظماء ، أو على أن المراد بفرعون :
آله .

ما آمن لموسى الا
ذرية من قومه :

ولم يؤثر في هؤلاء الذين ألفوا الوثنية ؟ ما نال فرعون وقومه
من ضروب العذاب والابتلاء .

(ب) وما لقوا منهم ، من الازلال ، والاهانة ، والتسخير ،
والألوان الاحتقار .

لم يتأثروا بعذاب
« فرعون » وقومه :

(ج) ومالقي موسى عليه السلام في سبيل الذود عنهم من التكبذب،
والسخرية ، والتهديد بالقتل .

الازلال والاهانة :

(د) وما رأوا بعيونهم من آياته البينات ، ومعجزاته الباهرات،

(هـ) وما أسداه اليهم من النصيح ، والارشاد .

الآيات البينات :

كان ذلك كله والوثنية غالبية عليهم ، لاصقة بهم ، تدفعهم في
جهل وحمق — وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام — أن يطلبوا
الى موسى عليه السلام اتخاذ اله كما أخذ هؤلاء ، فوبخهم ولأمهم
على طلبهم الها غير الله الذى فضلهم على العالمين ، وأنجاهم من
العذاب المهيمن ، ومزق عدوهم شر ممزق ، وقد أثبتوا بطلبهم هذا
سفة النفس ، وبلادة الطبع .

الوثنية غالبية
عليهم :

توبيخه ولومه :

ثم شكوا الى موسى عليه السلام ما يلقون من وهج الشمس
بسفول شبه جزيرة سيناء ، واقفارها من أشجار تظلمهم ، ومساكن
تكنهم .

سفة النفس وبلادة
الطبع :

شكواهم الى
« موسى » :

فسأل موسى ربه ، فساق الغمام اليهم ، ورزقهم المن(١)
والسلوى(٢) ثم استسقوا موسى ، ليشربوا ، ويسقوا ما شربتهم ،
فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فانبعثت منه اثنتا عشرة عينا،
لكل سبط(٤) عين يجزى ماؤها ، وهذه عيون موسى ، وهى غير
بعيدة عن مدينة السويس .

سال « موسى »
ربه :

اثنتا عشر عينا :

قال تعالى في سورة « البقرة » :

واذ قلتم : يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها ، وفتنائها ، وفومها(٥)
وعدسها ، وبصلها » .

لن نصبر على طعام
واحد :

(١) المن : رحيق متجدد ، واغراز سكرى لبعض الأشجار .

(٢) السلوى : طائر السمان ، وقد كثر حتى غطى الأرض .

(٣) انبعثت : انفجرت .

(٤) السبط : الفريق من « بنى اسرائيل » .

(٥) فومها : الفوم : الثوم ، والحنطة ، والحمص ، والخبز ، وسائر
الحبوب التى تخبز .

اهبطوا مصر : قال : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا (١) مصرا فان لكم ما سألتم » .

وفى سورة « الاعراف » :

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : « يا موسى اجعل لنا الها ، كما لهم آلهة قال : انكم قوم تجهلون ١٣٨ ان هؤلاء (٢) متبر (٣) ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون ١٣٩ » قال : أغير الله أبغىكم الها ، وهو فضلكم على العالمين ؟ ١٤٠ » .

وفىها أيضا :

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون (٤) ١٥٩ ، وقطعناهم (٥) اثنتى عشرة أسباطا أمما ، وأوحينا الى موسى اذ استسقاها (٦) قومه :

أن اضرب بعصاك الحجر ، فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام ، وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات مازقناكم ، وما ظلمونا ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ١٦٠ .

وفى سورة « طه » :

« يا بني اسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم جانب الطور الايمن ، ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠ ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ولا تطفءوا (٧) فيه ، فيحل عليكم غضبى ، ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى (٨) ٨١ ، وانى لغفار لمن تاب ، وآمن ، وعمل صالحا ، ثم اهتدى ٨٢ » .

اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم

ما تثبت الأرض : ينبههم الله تعالى الى أن طلبهم ما تثبت الأرض : من بقلها ، وقتائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها لن يحصلوا عليه الا اذا

(١) اهبطوا مصرا : انزلوا مصرا ، أى بندا عظيما .

(٢) متبر مهدم ، ومدبر .

(٣) أبغىكم الها : أطلب لكم الها .

(٤) وبه يعدلون : وبالحق يعدلون فى حكمهم .

(٥) قطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما : قسمناهم اثنتى عشرة قبيلة .

والأسباط : أولاد يعقوب .

(٦) استسقاها قومه : طلبوا منه السقيا ، أى الماء لهم ولماشيتهم .

(٧) لا تطفءوا فيه : لا تتجاوزوا الحد فيه .

(٨) هوى : سقط .

اهبطوا مصرا : هبطوا مصرا من الأمصار ، فان خيرات الريف ، وثمرات الأرض
مكاثرة أعدائهم : الزراعية القريبة منه تجبى اليه ، وتجلب . وذلك يفرهم بمكاثرة
أعدائهم ، ومنازلهم ، حتى يملكوا عليهم مدينتهم ، للانتفاع بريفها ،
وما يجبى من خيراتة اليها .

الخنوع والذلة : ولكن ما جبلوا عليه من الخنوع ، والذلة ، بما ساءهم فرعون
هتهم وانسانيتهم : من الظلم ، والتسخير أزما طويلة قد أخذ هتهم ، وأفقدهم
انسانيتهم .

مواعدة موسى عليه السلام

البيضاوى : يذكر « البيضاوى » وطائفة من المفسرين : أن موسى عليه
السلام وعد « بنى اسرائيل » وهم بمصر — ان أهلك الله فرعون
أن يأتيهم .

كتاب فيه ما يأتون : بكتاب فيه ما يأتون ، وما يذرون ، فلما أهلك الله فرعون سأل
موسى — ربه الكتاب ، فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ، وهى : شهر
ذى القعدة ، فلما أتم الثلاثين أنكر موسى خلوف فمه (١) ، فاستاك ،
أو أكل بعض النباتات ، فقالت الملائكة : كنا نشم (٢) من فيك رائحة
المسك ، فأفسدته بالسواك .

صوم عشرة أيام : فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة .

السديلى وابن عباس : وأخرج الديلمى عن ابن عباس : لما أتى موسى ربه عز وجل ،
وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين ، وقد صام نهارهن ولياليهن كره ان
يكلم ربه وريح فمه الصائم ، فتناول من نبات الأرض ، فمضغه ،
فقال له ربه : لم أفطرت ؟ وهو بالذى كان — قال : أى رب ، كرهت
أن أكلمك الا وغمى طيب الريح قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح
غم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ؟ ، ارجع فصم عشرة أيام ،
ثم أئتنى ، ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه به . اهـ

اختار « موسى » : وكان موسى قد اختار من قومه سبعين رجلا ، ثم ذهب لميقات
ربه ولكنه تعجل ، وتأخر المختارون ، فسئل عنهم ، فقال : هم
أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى .

تم ميقات ربه : قال تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتممناها بعشر ،
فتم ميقات ربه أربعين ليلة » — من سورة « الأعراف » .

(١) خلوف فمه : تغير رائحته .
(٢) نشم من فيك : نشم من فمك .

استخلف موسى أخاه هرون .

« هرون » يقوم على شئون بني إسرائيل :
وقبل أن يذهب موسى لميقات ربه استخلف أخاه هرون على بني إسرائيل ، يرعى مصالحهم ، ويقوم على شئونهم حتى يعود بذلك الفضل الموعود .

رب أرني انظر اليك .

شوقه الى ربه :
ولما أتم الأربعين دفعه الشوق الى ربه ، فناداه : « رب أرني انظر اليك » أى : مكنى من رؤيتك أو تجل لى فأراك ، فسمع قول الله : « لن ترانى ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى » ، فنظر فإذا الجبل قد دك ، وساخ فى الأرض ، وغار ، فارتاع موسى ، واضطربت نفسه ، وخارت قواه ثم خر صعبا ، ولكن رحمة الله (١) قد شملته فأفاق ، وأتاب الى الله ، ثم خاطبه الله ، بأنه اصطفاه على الناس برسالاته ، وهى أسفار « التوراة » ، وبكلامه تعالى ، بأن يوحى اليه بلا واسطة ملك ، بل يسمعه ما يريد تبليغه اليه .

أمره أن يشكر له ما آتاه من شرف الاصطفاء ، والكلام .
ما آتاه :
عدد الألواح وحقيقتها :
وفى الألواح اختلف المفسرون فى عددها بين اثنين وعشرة — وفى حقيقتها : بين زبرجد وياقوت وخشب وحجر — كتب الله تعالى ما يحتاج اليه بنو إسرائيل ، من بيان المحاسن ، والقبائح ، والحلال ، والحرام .

أحكام ومواظ :
أحكام ، ومواظ ، ومواظ ، وتفصيل لكل شيء .

أفضل ما رسم :
وأعلمه ربه أن يأمر بنى إسرائيل أن يأخذوا بأفضل ما رسم فيها ، ثم وعدهم الله أن يريهم دار الفاسقين .

دار الفاسقين

وللمفسرين فى المراد بدار الفاسقين آراء :

قتادة :
(أ) أقربها ما قاله قتادة من أن المراد بدار الفاسقين : أرض الجبارة ، والعمالقة بالشام ، وقد حرّمها الله على كبار بنى إسرائيل ولم يدخلها موسى ، بل رآها .

« بنو إسرائيل » :
وانما دخلها بنو إسرائيل فى عهد يوشع بن نون فتى موسى .

سأرى بعضكم :
(ب) وقد يكون المراد : سأرى بعضكم ، وهم الرواد الذين

دخلوا هذه البلاد ، ثم عادوا يصفون أولئك الجبارين لبنى اسرائيل ،
فهلهم أمرهم ، وامتنعوا عن مقاتلتهم .

(ج) والأقرب : أن يكون المراد بالبعض : « يوشع بن نون » ،
وكالب بن يفته .

يوشع بن نون
وكالب بن يفته :

قال تعالى في سورة « الأعراف » :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتمنّاها بعشر ، فتم ميقات (١)
ربه أربعين ليلة » ، وقال موسى لأخيه هرون : « اخلّفنى فى
قومى ، وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين » ١٤٢ ، ولما جاء موسى
لميقاتنا ، وكلمه ربه قال : رب أرنى (٢) انظر اليك « قال : لن
ترانى ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى
فلما تجلى (٤) ربه للجبل جعله (٥) دكا ، وخر موسى (٦) صعقا ، فلما
أفاق قال : سبحانك ، تبت اليك ، وأنا أول المؤمنين » ١٤٣ .

واعدنا « موسى » :
ميقات ربه أربعون
ليلة :
اخلّفنى فى قومى
وأصلح :
رب أرنى انظر
اليك :
خر « موسى »
صعقا :

قال : يا موسى انى اصطفيتك (٧) على الناس برسالاتى ،
وبكلامى ، فخذ ما آتيتك ، وكن من الشاكرين « ١٤٤ ، وكتبنا له
فى الألواح (٨) من كل شىء موعظة ، وتفصيلا لكل شىء ، فخذها
بقوة ، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ، سأريكم دار الفاسقين ١٤٥ ،
سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ،
وان يروا سبيل الفى (١٠) يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ،
وكانوا عنها غافلين ١٤٦ ، والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
حبطت (١١) أعمالهم ، هل يجزون الا ما كانوا يعملون ؟ ١٤٧ .

انى اصطفيتك على
الناس :
سأريكم دار
الفاسقين :
الرشد - الفى :

يظنون بموسى الظنون

ولم يوافهم موسى عليه السلام بعد ثلاثين يوما ، فظنوا به
الظنون ، وأخذوا يفكرون فى أمره ، وأمرهم حتى أعياهم التفكير .

ظنوا . بموسى
الظنون :

- (١) الميقات : الوقت المضروب للشىء ، والوعد الذى جعل له وقت .
- (٢) اخلّفنى : كن خليفتى .
- (٣) أرنى انظر اليك : أرنى نفسك انظر اليك .
- (٤) تجلى : ظهر ، والمراد أن الله ضوب نحو الجبل بمضى نوره .
- (٥) جعله دكا : مذكوكا مفتتا .
- (٦) خر « موسى » صعقا : سقط مفشيا عليه .
- (٧) اصطفيتك : اخترتك .
- (٨) الألواح : الأوامر والنواهى التى أوحاها الله الى « موسى » قبل
كانت سبعة وقيل عشرة .
- (٩) فخذها بقوة : بجد وعزيمة ، فعل أولى العزم من الرسل .
- (١٠) الفى : جهل من اعتقاد فاسد ، وضلال .
- (١١) حبطت أعمالهم : بطلت أعمالهم .

انظره الله عشرة أيام . وما عرفوا أن الله قد أنظره عشرة أيام حتى صار غيابه أربعين يوما .

بنو اسرائيل يعبدون العجل

السامرى : أوعز (١) السامرى الى بنى اسرائيل أن موسى قد ضل الطريق ، ولن يعود .

انحلال نفوسهم : — وقد لمس ما فى نفوسهم من انحلال — فزين لهم أن يتخذوا الها غير اله موسى ، فطابت بذلك نفوسهم .

قوم يعكفون على اصنام لهم : ليسوا هم القائلين لموسى — وقد مروا على قوم يعكفون على اصنام لهم — « يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة » ؟

السامرى : فوضع السامرى حليا فى حفرة احتفرها ، ثم أوقد نارا ، وصنع من الحلى عجلا جسدا له خوار فتن به من ضعف ايمانهم ، وانكره من ثبت الله على الايمان قلوبهم .

نصح هرون : فنصح هرون لهؤلاء المفتونين : يا قوم انما فتنتم (٢) به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى ، وأطيعوا أمرى ، فلم يصغوا الى هديه ، وقالوا : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » ولم يقف منهم موقف الخصم الثائر ، خشية الفرقة ، والانقسام .

عبادة المصريين بعجل « أبيس » : ألم يألّفوا من قبل عبادة المصريين لعجل « أبيس » ، ورعايتهم الفائقة له حتى إذا مات حنطوه بما يحفظ جسده ، كما يحفظ الأدمى ، ودفنوه فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة تسمى سرابيوم ؟

رجوع موسى الى قومه

رجع موسى الى قومه غضبان ، أسفا ، وقد ظن بأخيه هرون المتقصير فى اسداء النصح للمفتونين ، فأخذ بلحيته ورأسه يجره اليه ، فقال هرون : لا تأخذ بلحيتى ، ولا برأسى ، انى خفت أن تقول : لم تصلح ، واتبعتم سبيل المفسدين ، ففرقت بين بنى اسرائيل . ولقد بذلت لهم صفوة نصحى .

رجع « موسى » غضبان أسفا : هرون : لقد بذلت لهم صفوة نصحى :

ولام موسى — بنى اسرائيل — لوما عنيفا ، وألقى الألواح التى كتبها الله له .

(١) فتنتم به : ابتليتم به .
(٢) أوعز : تقدم ، وأشار .

ثم سأل السامري ، رأس الفتنة ، ومنبع البدعة : ما خطبك يا سامري ؟ ، وقال : رأيت مالم يروا ، فسولت لى نفسى أن أقبض قبضة من أثر الرسول فأئبذها ، فقال له موسى ، اذهب فان عقابك أن تقول فى حياتك : لا مساس ، وان لك موعدا لن تخلفه ، ولأحرقن الهك الذى عكفت عليه ، ثم لأنسفنه فى ماء البحر نفسا ، والتفت الى بنى اسرائيل قائلا : « انما الهكم الله الذى لا اله الا هو » .

السامري :

لا مساس :

لاحرقن الهك :

توبة بنى اسرائيل

أوحى الله الى موسى أن يتوب بنو اسرائيل ، فيقتلوا أنفسهم ، بكبت شهواتها ، وكسر حدتها ، واقصائها عن كل مرغوب . وتطهيرها من الآثام والذنوب ، أمر بأن يقتل البرىء منهم المجرم . او بالتوبة .

أوحى الله أن يتوب « بنو اسرائيل » :

قال تعالى فى سورة البقرة :

واذ قال موسى لقومه : يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم (١) ، فاقتلوا انفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم ، غتاب عليكم ، انه هو التواب الرحيم ٥٤ » .

اتخاذ العجل لها

وفىها أيضا :

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، واذا أخذنا ميثاقكم (٢) ، ورفعنا فوقكم الطور (٣) : خذوا ما آتيناكم بقوة ، واسمعوا » ، قالوا : سمعنا ، وعصينا ، وأثربوا (٤) فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل : بنسأما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين « ٩٢ » .

البينات :

رفعنا فوقكم الطور : خالط حب العجل قلوبهم :

وفى سورة « الاعراف » :

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار (٥) ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ١٤٨ ولما سقط (٦) فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ، ويفغر لنا لكونن من الخاسرين ١٤٩ » . ولما رجع

واتخذ قوم موسى « عجلا جسدا : سقط فى أيديهم :

(١) بارئكم : خالقكم ، برأة : خلقه .

(٢) ميثاقكم : عهدكم .

(٣) الطور : جبل سيناء .

(٤) وأثربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم : خالط حبه قلوبهم .

(٥) خوار : الخوار : صوت البقر .

(٦) سقط. فى أيديهم : اشتد ندمهم .

رجع ■ موسى «
غضببان أسفا :
ابن أم :
أنت أرحم
الراحمين :
التوبة والايمن :
فيما نسخ فيها
هدى :

موسى الى قومه غضبان ، أسفا(١) قال : بشسما خلفتموني من
بعدي ، أعجلتم(٢) أمر ربكم ؟ ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه
يجره اليه ، قال : ابن أم(٣) ، أن القوم استضعفوني ، وكادوا
يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين
١٥٠ ، قال : رب اغفر لي ولأخي ، وأدخلنا في رحمتك ،
وأنت أرحم الراحمين ١٥١ أن الذين اتخذوا العجل سينالهم
غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين(٤)
١٥٢ والذين عملوا السيئات ، ثم تابوا من بعدها وآمنوا ، إن ربك
من بعدها لغفور رحيم ١٥٣ ، ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ
الألواح ، وفي نسختها(٥) هدى ، ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون(٦) ١٥٤ » .

وفي سورة « طه » :

ما سبب عجلتك ؟ :
أضل « السامري »
قومك :
ما أخلفنا موعداك
باختيارنا :
« هرون ■ ينصح
لهم :
« موسى » يخاطب
هرون ■ :

« وما أعجلك(٧) عن قومك يا موسى ٨٣ ، قال : هم أولاء
على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى ٨٤ » ، قال : « فإنا قد
فتنا(٨) قومك من بعدك ، وأضلهم السامري(٩) » ٨٥ ، فرجع موسى
الى قومه غضبان ، أسفا ، قال : يا قوم ، ألم يعدكم ربكم وعدا
حسنا ، أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم
فأخلفتم موعدي ؟ ٨٦ » ، قالوا : ما أخلفنا موعداك بملكنا(١٠) ،
ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فتذفناها ، فذلك ألقى السامري
٨٧ ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار ، فقالوا : هذا الهكم واله
موسى ، فنسى ٨٨ ، أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ، ولا يملك
لهم ضرا ، ولا نفعا ؟ ٨٩ ، ولقد قال لهم هرون من قبل : يا قوم
أنما فتنتكم به ، وإن ربكم الرحمن ، فاتبعوني ، وأطيعوا أمرى
٩٠ ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين(١١) حتى يرجع إلينا موسى ٩١ ،
قال : يا هرون ، مامنك اذ رأيتهم ضلوا ٩٢ ألا تتبعن ، أفعصيت
أمرى ٩٣ ، قال : يا ابن أم ، لا تأخذ بلحيتي ، ولا برأسي ،
إني خشيت أن تقول : فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب(١٢) قولى ،
٩٤ ، قال : فما خطبك يا سامري ؟ ، قال : بصرت بهالم يبصروا

- (١) أسفا : شديد الغضب .
- (٢) أعجلتم أمر ربكم : أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه وهو الأربعون يوما :
- تقدرتم موتى وغيرتم ما غيرتم ؟
- (٣) ابن أم : يابن أمى .
- (٤) المعتزين : المختلقين .
- (٥) وفي نسختها : وفيما نسخ فيها ، والنسخة : فعله بمعنى مفعول كالخطبة .
- (٦) يرهبون : يخافون ربهم .
- (٧) وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ : ما سبب عجلتك تاركا قومك بعيدا عنك ؟
- (٨) فتنا قومك : ابتليناهم بعبادة العجل .
- (٩) السامري : نسبة الى « سامر » ونطقها فى العبرية « شومر » .
- (١٠) بملكنا : باختيارنا .
- (١١) عاكفين : مقيمين .
- (١٢) ترقب قولى : لم تحفظه .

به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سولت لى (١)
 نفسى ٩٦ ، قال : فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول : لا مساس (٢)
 وان لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت (٣) عليه عاكفا
 لنحرقنه ، ثم لننسفنه (٤) فى اليم نسفا ٩٧ ، انما الهكم الله الذى
 لا اله الا هو وسع كل شيء علما ٩٨ »

اختيار موسى سبعين رجلا

اختار موسى عليه السلام من شيوخ بنى اسرائيل سبعين رجلا ،
 فذهبوا الى جبل الطور ، ليطلبوا عفو الله ، وغفرانه ، لما كان
 من عبادة العجل ، وليبدوا أسفهم على ما اقترفوا ، ويتوبوا الى
 ربهم توبة نصوحا .

وبيناهم شهود يستمعون كلام الله مع موسى عادت اليهم جبلة
 عصيانهم ، وتمردهم ، فلم يؤمنوا بأن الله هو المتكلم ، ولا بأنه
 أعطى موسى — التوراة — ، فطلبوا أن يروا الله جهرة ، فأخذتهم
 الصاعقة وهم ينظرون .

رؤية الله :

فتوجه موسى الى ربه ، وسأله ان يعفو عما فرط من سفهائهم ،
 وأن يغفر خطيئاتهم ، فاستجاب الله له ، وأحياهم .

توجه « موسى »
 الى ربه :

ثم أنبا الله موسى أنه كتب رحمته للمتقين الذين يؤتون الزكاة
 ويؤمنون بآياته ، الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه
 مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن
 المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، فتابعوه هم
 المفلحون .

رحمة الله
 للمتقين :

وهكذا يباهى الله بمحمد ومن تبعه أتباع موسى قبل أن يولد
 محمد بأكثر من ألف وخمسمائة سنة .

التوراة والانجيل :
 يباهى الله بمحمد
 ومن تبعه أتباع
 « موسى » :

قال تعالى فى سورة « الأعراف » :

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة (٦)
 قال : رب ، لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما فعل

اختيار « موسى »
 سبعين رجلا :

(١) سولت لى نفسى : سهلت .

(٢) لا مساس : لا تمسنى ، فان من لمسته أو لمسك تأخذه الحمى . وتأخذك
 معه ، فلا تفر عن قول : لا مساس كلما قرب منك أحد .

(٣) ظلت : دمت .

(٤) لننسفنه : لنذرينه .

(٥) جبلة : الجبلة : الخلقة ، والنطرة .

(٦) الرجفة : رجفة الجبل : فصعقوا منها .

السفهاء منا ؟ ان هى الا فتنتك ، تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، أنت (١) ولينا ، فاغفر لنا ، وارحمنا ، وأنت خير الغافرين ١٥٥ ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ، انا هدنا (٢) اليك » ، قال : عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ١٥٦ ، الذين يتبعون الرسول النبى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم (٣) ، والأغلال (٤) التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه (٥) ، ونصروه ، وأتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ١٥٧ .

انا هدنا اليك :
رحمتى وسعت كل
كل شيء :
الرسول النبى
الامى :
ما يحل لهم :
وما يحرم عليهم :

الأمر بدخول الأرض المقدسة

أوحى الله الى موسى عليه السلام أن يقود بنى اسرائيل الى الأرض المقدسة فلسطين ، أرض الموعد التى وعد الله خليله ابراهيم أن يجعلها ملكاً لذريته الصالحين من بعده ، ولكن بنى اسرائيل بما تتابع عليهم من بغى الفراعنة قد هان عليهم الهوان .

الأرض المقدسة :
هان عليهم الهوان :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

فلم يجدوا من البأس ورباطة الجأش ، ولا من اباء النفس وعلو الهمة ما يحرك فيهم الحمية ، ويدفعهم الى دخول هذه الأرض — وقد سمعوا من الرواد الذين جاسوا خلال هذه الديار أن فيها قوما جبارين ، فتمثل لهم شبح الموت فى كل خطوة يخطونها ، فقالوا : يا موسى ، ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون .

ما يحرك الحمية :
ان فيها قوما
جبارين :

فتوجه اليهم رجلان قد طبعاً على الايمان والطاعة ، والأذعان ينصحان لهم ، ويرشدانهم : ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

رجلان طبعاً على
الايمان والطاعة :

فأعلنوا خوفهم ، وجبنهم وتمردهم وتبلد هم : « يا موسى ، انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك ، فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » .

أعلنوا خوفهم :

- (١) أنت ولينا : ناصرنا ومولانا .
- (٢) هدنا اليك : رجعنا اليك ، من : هاد = يهود .
- (٣) أصرهم : ثقلهم .
- (٤) الأغلال : القيود ، المفرد : غل .
- (٥) عزروه : عظموه ونصروه = والتعزير : النصرة مع التعظيم .

فالتفت موسى يمينه ، ويسره ، وصعد ، وصوب ، فلم يلق نصيرا ، ولا معنا الا هرون أخاه ، فالحجا أمره الى مولاة ، وقال : رب انى لا أملك الا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، قال الله : ان الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ، وأنهم سيضربون خلالها فى مجاهل هذه البداة ، ويخبطون (١) فى أرجائها خبط عشواء ، يتيهون فيها حتى يفنى (٢) الشيوخ ، ويهلك الرؤساء ، ويخلفهم جيل بعد منيع الجانب ، قوى الشكيمة ، يجاهد فى سبيل الله ، ويفزرو أعداء الله .

الجبأ « موسى »
أمره الى الله :
محرمة عليهم :

جيل منيع الجانب :

وقد أوضح ابن خلدون سر ما آل اليه أمرهم ، فقال : أن نفس بنى اسرائيل كانت صغيرة ، ضئيلة ، لأنهم رثموا (٣) الذل والهوان فى ملك المصريين ، ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ، ولا استتقلال ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم ، وملأ الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين .

ابن خلدون :
رثموا الذل :
ذابت قلوبهم فى
صدورهم :

مدة حضانة الاخلاق

قرر العلماء أن مدة حضانة الاخلاق أربعون سنة ، فإذا ما أخذت الأمة نفسها بالأخلاق كان جنى ثمرتها بسمو أخلاقها ورفعتها بعد « أربعين سنة » ، ولقد هلك فى خلال هذه المدة الجيل الذى ولد ، ونشأ فى الذل والاستعباد ، أما من نشأ فى البرية حرا ، عزيزا فلم يكثر لهؤلاء الناس « أهل الأرض المقدسة » وغزا بلادهم مع يوشع بن نون فتى موسى ، فملكها .

مدة حضانة
الاخلاق :

الجيل الذى ولد
ونشأ فى الذل :
يوشع بن نون :

وقد كان تحريم الأرض المقدسة على بنى اسرائيل تحريما أبديا ، لا مقيدا بأربعين سنة ، ولذلك لم يدخلها أحد من الرجال الصالحين للحرب ، العاصين لأمر موسى عليه السلام ، القائلين : اذهب أنت وربك فقاتلا ، لأنهم ماتوا فى البرية فى أثناء هذه المدة .

كان تحريم الأرض
المقدسة تحريما
أبديا :

ولهذا كان الوقف عند قوله : « انها محرمة عليهم » ، وابتداء بقوله تعالى : « أربعين سنة يتيهون فى الأرض » : أوفى وأفضل .

الوقف عند قوله :
عليهم :

قال تعالى فى سورة « المائدة » :

واذ قال موسى لقومه : « يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين »

اذكروا نعمة الله
عليكم :

(١) يخبطون فى أرجائها خبط عشواء : العشواء : الناقة التى لا تبصر أمامها .

(٢) قوى الشكيمة : الشكيمة : فى اللجام ، الحديدية المعترضة فى ضم الفرس ، والمراد : أنه شديد النفس « أبى » .

(٣) رثموا الذل : رضوا به واعتادوه .

يا قوم ادخلوا الأرض (١) المقدسة التي كتب الله لكم ،
ولا تتردوا (٢) على أديارككم ، فتقبلوا خاسرين ٢١ » ، قالوا :
يا موسى ان فيها قوما جبارين (٣) ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ٢٢ » ، قال رجلان (٤) من الذين
يخافون أنعم (٥) الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه ،
فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ٢٣ » ، قالوا :
يا موسى ، انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك
فقاتلا ، انا ههنا قاعدون ٢٤ » .

لا تتردوا على
أديارككم :
رجلان من الذين
يخافون الله :

أذهب أنت وربك
فقاتلا :

قال : رب انى لا أملك الا نفسى واخى ، فافرق بيننا وبين القوم
الفاستقين ٢٥ » ، قال فانها محرمة عليهم ، أربعين سنة يتيهون (٦)
في الأرض ، فلا تأس (٧) على القوم الفاستقين ٢٦ » .

افرق بيننا وبين
القوم الفاستقين :

نتق الجبل فوق بنى اسرائيل

في سورتى « البقرة » و « الأعراف » ذكر الله تعالى انه رفع
جبل الطور فوق بنى اسرائيل ، حتى صار كأنه ظلة ، وظنوا انه
واقع عليهم ، أو أيقنوا ذلك ، وأمرهم أن يأخذوا ما أتاهم من
الأحكام بجد وعزم ، وأن يعملوا بها محافظين عليها ، مثابرين ،
فلم يكن منهم بعد الا أن أعرضوا عن الميثاق بعد أخذه ، ولولا
فضل الله عليهم بتوفيقهم للتوبة لكانوا من الخاسرين .

رفع جبل الطور :
أخذ الأحكام بجد
وعزم :
أعرضهم عن
الميثاق :
توبتهم :

نحنا المفسرون هذا النحو ، ووافقه الاستاذ الامام المرحوم
الشيخ محمد عبده ، لأن مداه عدم العدول عن ظاهر « القرآن »
الا اذا صرف عنه صارف .

المرحوم الشيخ
محمد عبده :

وقد رأى المرحوم السيد رشيد رضا في تفسير المنار أن في هذا
المعنى اكراها على الايمان ، وأجيب عنه بما يأتى :

المرحوم السيد
رشيد رضا :

١ — أن ما يفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال سبب الاكراه .

٢ — وإن هذا الاكراه كان جائزا في الأمم السابقة .

جواز الاكراه في
الأمم السابقة :

- (١) الأرض المقدسة : أرض بيت المقدس ، سميت بذلك لأنها كانت قرار الانبياء ،
أو « الطور » وما حوله ، أو « دمشق » و « فلسطين » وبعض الأردن ، أو الشام .
(٢) ولا تتردوا على أديارككم : لا تدبروا خوفا ممن فيها .
(٣) جبارين : متغلبين ، لا تتأتى مقاومتهم .
(٤) من الذين يخافون : يخافون الله .
(٥) أنعم الله عليهما : أنعم الله عليهما بالايمان .
(٦) يتيهون : يضلون .
(٧) لا تأس : لا تحزن .

٣ - وأن نفى الاكراه في الدين خاص بالاسلام ، لقوله تعالى :
« لا اكراه في الدين » ، وقوله : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين ؟ »

نفى الاكراه في
الدين خاص
بالاسلام :

قال تعالى في سورة « البقرة » :

« واذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطور : خذوا ما آتيناكم
بقوة ، واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٦٣ ، ثم توليتم من بعد ذلك ،
فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ٦٤ » .

خذوا ما آتيناكم
بقوة :

وفي سورة « الأعراف » :

« واذ نتقنا (١) الجبل فوقهم كأنه ظلة (٢) ، وظنوا أنه واقع بهم :
خذوا ما آتيناكم بقوة ، واذكروا (٤) ما فيه ، لعلكم تتقون ١٧١ » .

كأنه ظلة :
اذكروا ما فيه :

البقرة

يذكر المفسرون أن من بنى اسرائيل رجلا مد الله في عمره ، وفي
أسباب عيشه ، ولم يرزق غير ولد واحد تنحدر اليه بعد أبيه تلك
النعمة العريضة ، فنفس عليه هذه الثروة بنو عمومته ، فقتلوه ،
ثم قاموا يطالبون بدمه ، والأسف يبدو على وجوههم ، ويعقد
السننهم ، ويقض مضاجعتهم ، فتحاكموا الى موسى عليه السلام ،
فأمرهم أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتل ببعضها فيحيا ، فينبئ
بقاتله ، فحسبوه مسفها لأحلامهم ، فاستعاذ بالله أن يكون من
الجاهلين ، فلجوا ، والحواسائلين : ما هي ؟ فأبان لهم الله أنها
بقرة عوان بين المسنة والفتية .

مد الله في عمره
وفي أسباب عيشه :
بنو عمومته :

تحاكموا الى
« موسى » عليه
السلام :
القتل و « البقرة » :

ولكن بنى اسرائيل قوم جبلوا (٥) على المطاولة ، وعدم الامتثال ،
فسأله عن لونها ، فأنبأهم أن الله يقول : « انها بقرة صفراء
فاقع لونها ، تسر الناظرين بحسن منظرها ، فأبوا أن يسارعوا
الى الطاعة ، وقالوا : « أن البقر تشابه علينا ، وأنا ان شاء الله
لمهتدون » فأجيبوا بأنها بقرة غير معدة لعمل ، سليمة من العيوب ،
لا شية (٦) فيها ، فهداهم الله اليها عند ذلك اليتيم الذي ورثها عن
أبيه الشيخ الزاهد ، الذي لم تشغله زخارف الحياة عن تقوى الله ،
والرجاء فيه ، فاشتروها بوفر (٧) ، فذبحوها ، وجاء موسى ، عليه

المطاولة وعدم
الامتثال :
تسر الناظرين :

غير معدة لعمل :
اليتيم وأبوه
الشيخ :
ذبحوها :

- (١) نتقنا : رفعنا ، يقال : نتق الشيء ، ينتقيه : زعزعه ، ورغمه .
- (٢) ظله : سقيفة ، وهي كل ما أظلك .
- (٣) بقوة : بجهد وعزم على تحمل مشاقه .
- (٤) اذكروا ما فيه : اذكروه بالعمل به .
- (٥) جبلوا : خلقوا ، وطبعوا .
- (٦) لا شية فيها : الشية هي لون يخالف لون جلدها والمراد « خالصة الصفرة » .
- (٧) اشتروها بوفر : اشتروها بهال كثير .

السلام لسانها ، نضرب به القتل فحيى ، وأنبأ بقاتله بقدره الله تعالى .

ضرب « موسى »
بلسانها القتل
فحيى بقدره الله :
اية بقرة :

ولو أن بنى اسرائيل ذبحوا أية بقرة حين أمرهم موسى عليه السلام لأراحوا ، واستراحوا .

عابى أن ذلك لم يؤثر في قلوب بنى اسرائيل ، القاسية التى كأنها الحجارة ، أو أشد قسوة .

تسلوب « بنى
اسرائيل » قاسية :

قال تعالى فى سورة « البقرة » :

أنتخذنا هزوا ؟ :

واذ قال موسى لقومه : « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، قالوا : أنتخذنا هزوا ؟ قال : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » ٦٧ ، قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ » قال : « انه يقول : انها بقرة لا فارض (١) ولا بكر (٢) ، عوان (٣) بين ذلك ، فافعلوا ما تؤمرون » ٦٨ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ٦٩ قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ ان البقر تشابه علينا ، وانا ان شاء الله لمهتدون » ٧٠ ، قال : « انه يقول : انها بقرة لاذلول ، تثير الأرض ، ولا تسقى (٥) الحرث ، مسلمة (٦) ، لاشية فيها » قالوا : « الآن جئت بالحق » ، فذبحوها ، وما كادوا يفعلون ٧١ ، واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها (٧) ، والله مخرج ما كنتم تكتمون ٧٢ ، فقلنا : اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ، ويريكم آياته ، لعلكم تعقلون ٧٣ « ثم قسمت قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر (٨) منه الأنهار ، وان منها لما يشقق (٩) فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ٦٤ » .

لا فارض ولا بكر :
ما لونها ؟
تسر الناظرين :
لا ذلول :
لاشية فيها

كذلك يحيى الله
الموتى :
ان من الحجارة
لما يتفجر منه
الأنهار :

موسى والخضر (١٠)

حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال : أخبرنى سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم :

« نوح البكالى » :

- (١) لا فارض : لا مسنة .
- (٢) ولا بكر : ولا فتية .
- (٣) عوان بين ذلك : وسط بين المسنة والفتية .
- (٤) فاقع لونها : خالص الصغرة .
- (٥) لا تسقى الحرث : « لا » زائدة ، والحرث : كل ثبت يستتبت بالبذر والنوى والفرس .
- (٦) مسلمة : سليمة من العيوب .
- (٧) ادارأتم فيها : تدانعتم ، وتنازعتم .
- (٨) يتفجر : يسيل .
- (٩) يشقق : يتشقق .
- (١٠) الخضر : بكسر فسكون « أو بفتح فكسر .

أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل ،
فقال ابن عباس : كذب عدو الله .

ابن عباس :

حدثني أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : أن موسى قام خطيبا في بنى اسرائيل ، فسئل أى الناس
أعلم ؟ ، فقال : أنا ، فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم اليه ،
فأوحى الله اليه : « ان لى عبدا بمجمع البحرين (١) » هو أعلم
منك ، قال موسى : « يارب ، فكيف لى به » ؟

أبى بن كعب :
قام « موسى »
خطيبا في « بنى
اسرائيل » :
مجمع البحرين :

قال : « تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل ، فحينما فقدت الحوت
فهو ثم ، فأخذ حوتا في مكمل (٢) » ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه يوشع
ابن نون ، حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما ، واضطرب
الحوت في المكمل فخرج منه ، فسقط في البحر ، فأتخذ سبيله في
البحر (٣) سريبا ، وأمسك الله عن الحوت جريه الماء ، فصار
عليه مثل الطلق (٤) .

الحوت والمكمل :
الصخرة :
أخذ الحوت سبيله
في البحر سريبا :

فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت ، فانطلقا ببقية
يومهما وليلتها ، حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتام : « آتنا
غدا عنا ، ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، قال : ولم يجد موسى
النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به ، فقال له فتام : رأيت إذ
أوينا الى الصخرة فإني نسيت الحوت ، وما إنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجبا » ، قال : « فكان للحوت
سريبا ، ولموسى ولفتاه عجبا » ، فقال موسى : « ذلك ما كنا نبغ
فارتدا على آثارهما قصصا (٥) » ، قال : « رجعا يقصان آثارهما حتى
انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل مسجى (٦) ثوبا ، فسلم عليه موسى ،
فقال الخضر واني بأرضك السلام ، قال أنا موسى ، قال : موسى
— نبى اسرائيل ؟ قال « نعم ، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا » ،
قال : « أنك لن تستطيع معى صبرا ، يا موسى انى على علم من
علم الله ، علمه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم
الله ، علمك الله ، لا أعلمه » ، فقال موسى : « ستجدنى ان شاء
الله صابرا ، ولا أعصى لك أمرا » ، فقال له الخضر : « فان اتبعتنى
فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » ، فانطلقا يمشيان
على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا
الخضر ، فحملوه بغير نوال (٧) .

آتنا غدا عنا :
نسيت الحوت :
ذلك ما كنا نبغ :
رجل مسجى ثوبا :
« الخضر »
و « موسى » :
« الخضر » يخاطب
« موسى » :
« موسى » يرد
عليه :
انطلقا يمشيان على
ساحل البحر :

- (١) مجمع البحرين : ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق .
(٢) المكمل : زنبيل من خوص ، والجمع مكائل .
(٣) سريبا : مصدر ، أى سرب فيه سريبا ، أى دخل .
(٤) الطلق : الظبى ، وتطلق الظبى : مر لا يلوى على شيء ، ودخل في
الماء واستتر به .
(٥) قصصا : يقصان آثارهما قصصا ، أى : يتبعان آثارهما تتبععا .
(٦) مسجى : مغطى .
(٧) النوال : الأجر .

فلما ركبا السفينة لم يفجأ : لأمر الخضر قد خلع لوحا من السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها ، لتفرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا (١) ، قال : « ألم أقل لك لن تستطيع معي صبرا ؟ » ، قال : لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني (٢) من أمري عسرا .

« الخضر خلع لوحا من السفينة بالقدوم :

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وكانت الأولى من موسى نسيانا » قال : « وجاء عصفور فوق علي حرف السفينة » فنقر في البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر .

وكانت الأولى من « موسى » نسيانا : الخضر :

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر بسلام يلعب مع الغلمان . فأخذ الخضر رأسه بيده ، فاقطعه ، فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية (٣) بغير نفس ؟ « لقد جئت شيئا نكرا (٤) » قال : « ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا » ، وقال : « وهذه أشد من الأولى » ، قال : « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، قد بلغت من لدني عذرا ، فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما (٦) أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدوا فيها جدارا يريد (٧) أن ينقض (مائل) ، فقام الخضر فأقامه بيده ، فقال موسى : « قوم أثبتاهم فلم يطعمونا ، ولم يضيفونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرا » ، قال : « هذا فراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ، فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ٧٩ ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا (٨) أن يرهقهما ، طغيانا وكفرا . ٨٠ ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة (٩) ، وأقرب رحما (١٠) ٨١ ، وأما الجدار فكان لفلانين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (١١) ، ويستخرجا كنزهما ، رحمة من ربك ، وما فعلته عن مري ، ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ٨٢ .

أخذ « الخضر » رأس الغلام بيده : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟ : قد بلغت من لدني عذرا : « الخضر » أقام جدارا مائلا : سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا : السفينة : الغلام : الجدار : الكنز :

- (١) أمرا : عظيما .
- (٢) لا ترهقني من أمر عسرا : لا تفشني عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخذة .
- (٣) زكية : طاهرة .
- (٤) نكرا : منكرا .
- (٥) قد بلغت من لدني عذرا : قد وجدت من قبلي عذرا في مقاطعتي .
- (٦) استطعما أهلها : طلبا اليهم أن يطعموهما .
- (٧) يريد أن ينقض : يكاد يسقط .
- (٨) فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا : فخشنا أن يفشاهما بالعقوق متجاوزا الحد .
- (٩) خيرا منه زكاة : أحسن منه طهارة .
- (١٠) رحما : قرابة .
- (١١) أن يبلغا أشدهما : أن يبلغا غاية نموها .
- (١٢) ما لم تستطع : ما لم تستطع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ودنا أن كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » .

الخضر

الجمهور : يرى الجمهور أن اسمه بليا بن ملكان ، وأن الخضر لقب له ،
آخرون : وأنه نبي ، ويرى آخرون أنه ولي وعليه الكثير .

شيخ الإسلام ابن تيمية : وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه ، فقال : « لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجاهد بين يديه ، ويتعلم منه . »

يذكر الله بنى اسرائيل بنعمه عليه

تدليل الله لبنى اسرائيل والتكليف :
دلل الله بنى اسرائيل ، ونكل بمن ظلمهم ، وهم لا يزيدون الا مخالفة وعنادا .
بمن ظلمهم :

الكتاب المقدس : وفي الكتاب المقدس : أن موسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل :
« لا تظنوا أن الله تعالى سيأتى بكم إلى الأرض المقدسة » بسبب قداستكم ، وطهارتكم ، وأنكم أفضل الناس في طاعته . كلا .
يطرد الأمم أمامكم : فإنه إنما يطرد الأمم أمامكم ، لرداءتهم ، ورجسهم العظيمين .

اطلاق « بنى اسرائيل » من أسر فرعون :
وقد ذكر الله تعالى بنى اسرائيل بالآيات التى صنعها في سبيل اطلاقهم من أسر فرعون وقومه :

قال تعالى في « سورة البقرة » :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين ٤٧ ، وأتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعاة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون ٤٨ ، واذا نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم (٢) سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء (٣) من ربكم عظيم ٤٩ ، واذا فرقنا (٤) بكم البحر ، فأنجيناكم ، وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ٥٠ ، واذا وعدنا (٥) موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ٥١ ، ثم عفونا عنكم من »
لا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل :
سوء العذاب :
واعدنا موسى أربعين ليلة :

- (١) لا يؤخذ منها عدل : لا يؤخذ منها فداء .
(٢) يسومونكم سوء العذاب : يريدونكم عليه ، ويبغونه لكم .
(٣) بلاء : اختبار .
(٤) فرقنا بكم البحر : فلقناه .
(٥) وعدنا : وعدنا .

بعد ذلك لعلمكم تشكرون ٥٢ ، واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان (١) :
لعلمكم تهتدون ٥٣ ، واذ قال موسى لقومه : « يا قوم ، انكم ظلمتم
أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم ، فاقتلوا (٢) أنفسكم ،
ذلكم خير لكم عند بارئكم ، شتاب عليكم ، انه هو التواب الرحيم ٥٤ » ،
واذ قلت : « يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (٣) » ، فأخذتكم
الصاعقة وأنتم تنظرون ٥٥ ، ثم بعثناكم (٤) من بعد موتكم ، لعلمكم
تشكرون ٥٦ ، وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى :
كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٥٧ »

آتينا « موسى »
الكتاب والفرقان :
توبوا الى بارئكم :
حتى نرى الله
جهرة :
بعثناكم من بعد
موتكم :
المن والسلوى

وفي سورة « ابراهيم » :

« واذ قال موسى لقومه : اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ أنجاكم
من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، ويذبحون أبناءكم
ويستنحيون نسائكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٦ ، واذ تأذن (٥)
ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ٧ ، وقال
موسى : ان تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فان الله لغنى
حديد ٨ » .

يذكر « موسى »
قومه :
لئن شكرتم لأزيدنكم :

موسى عليه السلام وقارون

كان قارون من عشيرة موسى الأقربين ، وقومه ، فبغى (٦) عليهم ،
وآتاه الله من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء (٧) بالعصبة أولى القوة .
يتمنى من رآه في أبهته ، وزينته ان ينال مثل ما نال من الحظ في
الدنيا وقد بذل له النصيح أولو العلم والبصيرة من قومه ، وحذروه
عاقبة خيلائه (٨) ، وطلبوا اليه ان يشكر لله نعمته ، وبنأى (٩) عن
الافساد في الأرض ، وحضوه على ابتغاء رضوان الله ، والدار
الآخرة فيما آتاه الله والأخذ بنصيحه في الدنيا ، ولكنها القلوب ،
يقلبها المال ، والآذان يصمها الغرور ، والعيون يعميها الطفيان .

قارون :
العصبة أو القوة :
أولو العلم
والبصيرة :
رضوان الله :
القلوب والآذان :

فلم يجد مع قارون نصيح الناصحين ، فقد كان جافيا في رده ،

لم يجد مع « قارون »
نصح الناصحين :

- (١) الفرقان : التوراة ، أو معجزة « موسى » الفارقة بين الحق والباطل .
- (٢) اقتلوا أنفسكم : اقتلوا بالتوبة ، أو بقطع الشهوات ، أو فليقتل البريء منكم المجرم .
- (٣) جهرة : مشاهدة .
- (٤) بعثناكم : أحييناكم بعد الموت .
- (٥) تأذن : أذن ، بمعنى : أعلم ، كتوعد بمعنى أوعد .
- (٦) بنأى عنهم : ظلمهم ، أو تكبر عليهم لما ولاه (فرعون) على « بنى اسرائيل » .
- (٧) لتنوء بالعصبة : تنقلهم أي تنوء العصبة بنقلها ، والعصبة من الرجال :
- ما بين العشرة والأربعين .
- (٨) الخيلاء : الكبر .
- (٩) بنأى : يبعد .

سادرا في غيه ، فلم يجد موسى عليه السلام بدا من أن يعلنه في حزم ، وحكمة أن يؤدي زكاة ماله ، ففيه حق معلوم للسائل والمحروم ، فلم يستمع لقولته ، وحاوره ، وجادله ..

زكاة ماله :

وبعد لأي أبدى قبولاً ، ثم ذهب الى داره ، ليرى ما يصيب الفقراء من ماله ، فذعر ، وفزع ، وهاله ما رأى .

حاله ما رأى :

ثم راح يطعن على موسى ، ويقذح في عرضه ، فأغرى به امرأة لتنسب اليه الفاحشة ، ففعلت ، ولكن الله كشف جريمته ، وأظهر بهتانها فاعترفت المرأة بأن قارون هو الذي دفعها الى ذلك بماله ، وأن موسى عليه السلام برىء مما رمته به .

يطعن على موسى :
« موسى » عليه السلام برىء مما رمى به :

ولما أيس موسى من تقويمه دعا الله أن ينزل به عذابه ، فخسف به وبداره الأرض ، وكان في ذلك أكبر عظة ، وخير عبرة للذين تمنوا مكانه بالأمس .

« موسى » يدمو الله أن ينزل به عذابه :

قال تعالى في سورة « القصص » :

« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه : لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين ٧٦ ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين ٧٧ »

بنى « قارون » :
ان الله لا يحب الفرحين :
ان الله لا يحب المفسدين :

قال : « انما أوتيته على علم عندي » ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة ، وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٧٨ ، فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : « ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ! انه لذو حظ عظيم » ٧٩ . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم : ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون « ٨٠ ، فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين ٨١ ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون : ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، ويقدر « لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكانه (١) لا يفلح الكافرون ٨٢ . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين ٨٣ » .

خرج على قومه في زينته :
ياليت لنا مثل ما أوتى « قارون »
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقدر
العاقبة للمتقين :

(١) ويكانه : أى : وى ، كان ، وكلمة « وى » فعل بمعنى « أتعجب ، وكان للتشديد ، ومعناها : أما أشبه الأمر » وقال « سيبويه » : وى : كلمة تنبيه على الخطأ ، وتقدم ، أى أن القوم نبهوا على خطئهم في تنعيمهم وتندموا وقالوا : كانه لا يفلح الكافرون .

وفى سورة « الاحزاب » :

آذوا « موسى » فبراه الله :
« يأيتها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها ٦٩ » .

وفى سورة « الصف » :

ازاغ الله قلوبهم :
« واذ قال موسى لقومه : « يا قوم ، لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم » ، فلما زاغوا (١) ازاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ه .

ثناء الله على موسى و هرون

العناد والمخالفة :
كان « موسى » « هرون » و مخلصين لبني اسرائيل :
بنو اسرائيل قوم الفوا العناد ، والمخالفة ، وقد كابد موسى وهرون عليهما السلام فى سبيل معالجتهم وسياستهم كثيرا ، وكانا مخلصين لهم غاية الاخلاص ، لذلك أثنى الله عليهما :

جانب الطور الايمن :
فى سورة « مريم » : « واذكر فى الكتاب موسى ، انه كان مخلصا (٢) ، وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور الايمن ، وقربناه نجيا (٣) ، ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا .

أصحاب السبت

أمر «موسى» قومه أن ينقطعوا للعبادة يوما فى الأسبوع :
أمر موسى عليه السلام قومه بنى اسرائيل ان ينقطعوا لعبادة الله يوما كل أسبوع ، فلا يزاولون عملا من أعمال دنياهم فيه ، ويذكر الله تطمئن قلوبهم ، وتطهر نفوسهم ، وكان هذا اليوم يوم الجمعة ولكنهم أبدوا رغبتهم أن يكون يوم السبت ، فقبل الله ذلك منهم ، وأقبل موسى فيه واعظا لهم ، ومرشدا ، ومذكرا . «والذكرى تنفع المؤمنين » .

دابو فى تقديس يوم السبت :
داب بنو اسرائيل فى تقديس يوم السبت وافراده لطاعة الله وعبادته .

بعد وفاة «موسى» قبل قوم من سلالتهم على الصيد يوم السبت :
ثم رأى قوم من سلالتهم — بعد عهد موسى — أن يقبلوا على الصيد يوم السبت ، لأن الحيتان تخرج متكاثرة ليلة السبت ، ويومه

(١) زاغوا : مالوا عن الحق .
(٢) مخلصا : أخلصه الله لنفسه .
(٣) نجيا : مناجيا .

حذروهم عاقبة ما يفعلون :
اذ تأمن أن تصاد فوعظهم المؤمنون منهم وحذروهم عاقبة ما يفعلون ، فلم يأبهوا لقولهم ، فأنصرفوا عن وعظهم ، وتركوهم في غيهم يعمهون

استنصر نبي الله « داود » ربه :
فاستنصر نبي الله داود ربه عليهم ، وطلب اللعنة لهم فزلزلت القرية زلزالا شديدا ، فخرج المؤمنون من ديارهم فزعين .

عذاب بنيس :
« فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس (١) بما كانوا يفسقون » .

موت هرون ثم موسى

جبل « هور » :
أمر الله موسى و هرون عليهما السلام ان يذهبا الى جبل هور من جبال سيناء ، فذهبا ، وهناك مات هرون فدفنه موسى ، وعاد الى بنى اسرائيل ، وانبأهم بموته .

« بنو اسرائيل » :
ويقول بعض المفسرين : « ان بنى اسرائيل اتهموا موسى بقتل أخيه هرون ، فأراهم الله هرون على سرير بين السماء والأرض ، ليس به أثر للقتل .

جبل « نبو » :
أما موسى عليه السلام فقد أمره الله أن يذهب الى جبل نبو وأن ينظر الى الأرض المقدسة . ولا يدخلها .
وذلك مات ، ودفن على « الفسجة » وهى الكتيب الأحمر .

أهل « فلسطين » :
وأهل فلسطين يدعون أن قبره فى موضع من بلادهم ، ويقومون له مولدا يقصد من كل ناحية فى موعد معين كل سنة .

يوشع بن نون

يوشع بن نون :
قام يوشع بن نون وهو من سبط يوسف عليه السلام على شئون بنى اسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام .

ملكوا مدينته « أريحا » :
وقد عبروا الى الأرض التى وعدوا بها ، فملكوا مدينة أريحا ، فأمرهم الله أن يسجدوا له شكرا ، ويسألوه أن يحط عنهم ذنوبهم . فلم يذعنوا لأمره .

قالوا قولا غير الذى قيل لهم :
« سجية تلك فيهم غير محدثة » وقالوا قولا غير الذى قيل لهم ، فأرسل الله عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون .

البيضاوى :
يقول « البيضاوى » : ان القبة هى بيت المقدس أى اورشليم أو أريحا .

(١) عذاب بئيس : شديد .

قال تعالى في سورة « البقرة » :

« واذا قلنا : » ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغدا ،
وادخلوا الباب سجدا ، وقولوا : « حطة » نغفر لكم خطاياكم ،
وسنزيد المحسنين ٥٨ ، فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل
لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »
٥٩ .

كلوا منها حيث
شئتم رغدا :
بذل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل
لهم :

وفي سورة « الأعراف » :

« واذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية ، وكلوا منها حيث شئتم ،
وقولوا « حطة » ، وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم ،
سنزيد المحسنين ١٦١ ، فبذل الذي ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم ، فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ١٦٢ » .

اسكنوا هذه
القرية :
ادخلوا الباب
سجدا :
أرسلنا عليهم
رجزا :

حمادى الجهاد في سبيل الرسالة

١ — قد يكون الخير العظيم فى الابتلاء ، فينبغى أن يلقي
الرضا ، ففى هجرة موسى عليه السلام من مصر — وهو خائف
يتربص — الخير كل الخير ، اذا اصطفاه ربه برسالاته وبكلامه .

٢ — المستمسك بالحق لا يكثر لمخالفة مهما يكن شأنه .

٣ — الحق منتصر ، والباطل منهزم : « وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، فقد اعتزم فرعون أن يقتل موسى
وأمر قومه ، فدافع عنه رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه .

٤ — يستهين المرء بأشد العذاب فى سبيل الايمان الذى وجد
حلاوته ، وعرف حقيقته .

٥ — معاونة الضعيف والاسداء اليه سبيل الخير والنجاح فى
الدنيا والآخرة .

« ٤ »

عيسى
عليه السلام
رسول الله وكلمته

مريم ابنة عمران

سبقت مريم العذراء وليدها عيسى الى الحياة ، فأثرت أن تكون كلمتها بين يدي كلمته .

مولدها * وفاة

أبيها « عمران » :

حزن أمها :

ولدت مريم — وقد اختطففت المنية أباه عمران — فاشتد حزن أمها عليه ، وفاضت شئونها غزارا ، وغاض معين حياتها السعيدة ، وضافت عليها الأرض بما رحبت ، وضافت عليها نفسها ، فلقد كان عماد رجائها ، وصرح آمالها ، وعالما جليلا بين علماء بنى اسرائيل .

كان عماد رجائها :

وزاد حزنها ، وضاعف ألما أنها وضعت أنثى ، وطالما رجيت أن ترزق بولد ذكر تقر عينها بطلعته ، وتغمره بعطفها ، ولقد نذرت لله أن يكون « سادنا » في بيت المقدس محررا .

وضعت « أنثى » :

نذرهما :

أشرقت الدنيا في عينها ، ونضر عودها ، وأقبلت على الحياة منشرفة الصدر ، باسممة الثغر ، لأنها شعرت بحركة الجنين بين أحشائها ، ثم وضعت ، وإذا المولود أنثى فغشيتها سحابة من الحزن وغمرتها موجة من اليأس نالتها منها ، ثم سميتها مريم (١) وطابت الى الله أن يكلاها برعايته ، وأن يعيذها (٢) وذريتها من الشيطان الرجيم .

الجنين :

وضعها :

الحزن واليأس :

وقد سرى عنها ، لأن الله قد قبل هبتها ، وأنبأها أنه أعلم بما وضعت ، فحملتها الى بيت المقدس ، ودفعها الى الأبحار وانصرفت .

سرى عنها :

بيت المقدس :

ثم ذهبت الى بيت المقدس تتعرف خبر ابنتها ، تدفعها الشفقة ، ويحدوها الحنو ، وعادت — وقد اطمأنت عليها — .

اطمأننها :

تسابق الأبحار سراعا الى مريم ، وتنازعوا القيام على تربيتها ، واشتد الجدال ، يرجون الزلفى (٣) الى الله تعالى . ثم اقترعوا عليها ، فألقوا أقلامهم (٤) في النهر ، فرسبت ، وارتفع قلم زكريا وأنشأ لها مكانا فوق الماء ، فكان الكافل لها ، وهو زوج خالتها . فنأى بها عن الناس . وأنشأ لها مكانا عليا ، لا يدخل اليها فيه غيره .

الأبحار :

الاقتراع :

زكريا :

وقد أخلص في تفقد شئونها ، ورعاية أمورها ، وكثيرا ما وجد عندها رزقا لا يشبه أرزاق الدنيا ، آتيا في غير حينه ، فحاول أن

رعاية أمورها :

رزق « مريم » :

(١) مريم : العابدة .

(٢) يعيذها : يحضنها .

(٣) الزلفى : القرية والمنزلة .

(٤) أقلامهم : سهام الاقتراع .

ان الله يرزق من يشاء بغير حساب :
 يقف على سره فلم يوفق ، فقال : يا مريم .. انى لك هذا ؟ قالت :
 « هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

فعلم ان الله قد اصطفاه على نساء العالمين .

يرجو « زكريا » ان يرزقه الله ولدا من صلبه :
 يرضع الى الله :
 اجاب الله سؤله :
 يحيى :
 اثار في نفسه ما ادهشه من تلك المكرمات رجاء ان يرزقه الله ولدا من صلبه — وقد كبرت سنة — فتوجه الى ربه القدير ضارعا ان يحقق هذا الرجاء : « رب انى وهن العظم منى ، واشتعل الرأس شيبا ، ولم اكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى (١) من ورأى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا » ، فأجاب الله سؤله : يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .

نشأة (مريم) :
 تطهر « مريم » من الأرجاس :
 نشأت مريم طاهرة ، نقية ، تعبد الله ، وتخلص في القيام بسدانة البيت ، والملائكة تنبئها اصطفاء الله تعالى ، واجتباؤه أياها ، وتطهيرها من الأرجاس ، وتحتها على القنوت لله .

قال تعالى في سورة « آل عمران » :

« ان الله اصطفى (٢) آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ٣٣ ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ٣٤ ، اذ قالت امرأة عمران : رب انى نذرت (٣) لك ما فى بطنى محررا (٤) ، فتقبل منى ، انك انت السميع العليم ٣٥ ، فلما وضعتها قالت : رب انى وضعتها أنثى — والله أعلم بما وضعت — وليس الذكر كالأنثى . وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ٣٦ فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها (٥) نباتا حسنا ، وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب (٦) وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم انى لك هذا ؟ ، قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧ » .

وفيها أيضا :

واذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله اصطفاك (٧) ، وطهرك :

- (١) الموالى : اخوته ، وبنو عمه « خاف أن يغيروا الدين ، وألا يحسنوا الخلافة على أمته ، لأنهم شرار « بنى اسرائيل » ، فطلب عقبا من صلبه صالحا ، يقتدى به فى احياء الدين .
 (٢) اصطفى اختار .
 (٣) نذرت أوجبت على نفسى .
 (٤) محررا : حرا من كل تكليف الا خدمة مولاه .
 (٥) وأنبتها نباتا حسنا : رباهما تربية تصلحها فى جميع أحوالها ، وقد شبهها بالزروع لذلك .
 (٦) المحراب : الغرفة ، والمسجد ، وأشرف جهة فى المسجد .
 (٧) اصطفاك : قبلك من أمك « ولم يقبل قبلها أنثى فى نذر .

واصطفاك (١) على نساء العالمين ٤٢ ، يا مريم اقنتى (٢) لربك ،
واسجدي ، وأركعى مع الراكعين ٤٣ .

نساء العالمين :

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون
أفلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ٤٤ » .

انباء الغيب :

تبشيري مريم بعيسى

عكفت مريم على الصلاة ، والعبادة ، ولما بلغت مبلغ النساء جاء
الملك جبريل عليه السلام على صورة فتى ، فأخذها رعب لم تعهده
من قبل ، فظنته معتديا أثيما ، فاستعازت بالله منه ، ووصفته
بعدم التقوى ، وقالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » .

بلغت « مريم »
مبلغ النساء :
جبريل :

و — ان هنا نافية خير منها شرطية — فسكن روعها ، وأعلمها
أنه مرسل من الله تعالى ، ليهب لها غلاما زكيا ، فأخذ الأسى (٣) ،
والعجب ، وأوجست في نفسها خيفة ، اذ كيف تحمل « عذراء »
وتلد دون أن يمسه بشر ؟ فأحال على قدرة الله الذى لا يعجزه
شئ ، تخفيفا عنها ، ونهويها .

ان : نافية
الأسى والسبب :
قدرة الله :

ونفخ في جيب درعها ، فاذا هى حامل .

نفخ في جيب درعها

وفيما أنبأها أن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم ، وأنه سيكون
وجيها (٤) في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، وأنه يكلم الناس في
المهد (٥) وكهلا (٦) ، وأن الله سيعلمه الكتاب ، والحكمة والتوراة
ويعطيه الانجيل أى البشارة وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله
تعالى ، ورحمة منه لعباده .

« المسيح عيسى بن
مريم » :
التوراة والانجيل :

وقال تعالى في سورة « آل عمران » :

اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ٤٥ ،
ويكلم الناس في المهد ، وكهلا ، ومن الصالحين ٤٦ » ، قالت :

ان الله مبشرك
بكلمة منه :

(١) واصطفاك : هداك وخصك بالكرامات .

(٢) اقنتى : الزمى الطاعة مع الخضوع .

(٣) الأسى : الحزن .

(٤) وجيها : شريفا ، عاليا .

(٥) المهد : فراش الطفل .

(٦) الكهل : من جاوز الثلاثين الى الواحد والخمسين .

« رب(١) انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ؟ قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امرا فانما يقول له : « كن فيكون » ٤٧ ، ويعلمه الكتاب(٢) ، والحكمة(٣) ، والتوراة . والانجيل .

انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟

وفى سورة « مريم » :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت(٤) من أهلها مكانا(٥) شرقيا ١٦ ، فاتخذت من دونهم حجابا(٦) ، فأرسلنا إليها روحنا(٧) ، فتمثل لها بشرا سويا(٨) ١٧ ، قالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ١٨ » ، قال : « انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا(٩) ١٩ » ، قالت : « انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، ولم اك بغيا » ، قال : « كذلك قال ربك : « هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان امرا مقضيا » .

انتبذت من أهلها مكانا شرقيا :

ان كنت تقيا :

لم اك بغيا :

وكان امرا مقضيا :

حمل مريم بالمسيح

نفخ الملك جبريل عليه السلام فى جيب درعها فحملت ، ومرت بها تمر به الحامل من أدوار الحمل ، وقد كاشفت يوسف بالحمل ، وهو من عشيرتها ، قديم السيرة ، بار ، تقى ، كما أنبأه جبريل عليه السلام ، ويذكر البيضاوى فى تفسيره : كانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية — ولم يعلم مولود وضع لثمانية غيره ، وقيل : ساعة . كما حملته نبذته . اه .

الملك « جبريل »
ينفخ فى جيب درعها :
كاشفت « يوسف »
بالحمل :
وأنبأه « جبريل » :
البيضاوى :

ويبدو تكلف فى هذه الآراء ، وليس لدينا ما يثبتها . فالأولى أن نترك مدة الحمل على طبيعتها .

يبدو تكلف فى هذه الآراء .

وكانت تقيم فى بيتها الريفى من قريتها ، ومسقط رأسها الناصرة .

الناصرة :

- (١) انى : من أين ؟ أو كيف .
- (٢) الكتاب : المراد به الكتب المنزلة .
- (٣) الحكمة : أصابة الحق بالعلم والعمل .
- (٤) انتبذت : اعتزلت .
- (٥) مكانا شرقيا : شرق « بيت المقدس » أو شرق دارها .
- (٦) حجابا : سترا .
- (٧) روحنا : جبريل .
- (٨) سويا : سوى الخلق .
- (٩) ان كنت تقيا : ان كنت تقيا فلا تتعرض لى ، فجواب الشرط محذوف أو ان نائية ، وهى خير من الشرطية .
- (١٠) زكيا : طاهرا .

اقترب ساعة الوضع

مرت الأيام و مريم تعاني من أمرها ما تعاني ، وتحمل من أثقالها ما تحمل ، وتقاس ضروبا من الأسى والحيرة ، والحسرة جميعا ■ ولما اقتربت ساعة الوضع خرجت من القرية فأتجأها المخاض الى جذع نخلة يابسة في موضع بمدينة بيت لحم ، قرب بيت المقدس

« مريم » تعاني من
أمرها ما تعاني :
اقترب ساعة
الوضع :

ويقول البيضاوى : « ان الزمن كان زمن شتاء ، والنخلة يابسة . تعاونت على مريم الأحزان والآلام النفسية المبرحة ، لا يطيب لها عيش ، ولا يهنأ لها طعام ، ولا شراب ، اقتضت مضجعا ، ووزعت نفسها ، وشردت فكرها فيما هي قادمة عليه : من لوم اللائمين . وما سيمونها به من ثلم شرفها ، وبماذا تدفع عن نفسها — وقد تحدث الناس في شأنها — ؟ وهل من سبيل أمامها غير التسليم لما قضى الله ، وانتظار ما يأتي به القدر ؟ »

البيضاوى :
الأحزان والآلام :
بماذا تدفع عن
نفسها ■ :

لقد أنبأها الملك فيما أنبأ : « أنها المصطفاة : المحبوبة ، المطهرة من الأرجاس ، والأدناس ، وأن الوليد رسول الله وكلمته ■ »

ابناء الملك :

ذلك النبأ الذى خفف عنها ما تجد ، وطمأنها ، وفتح أمامها باب الرجاء فبدت مضطربة هادئة ، حائرة ساكنة ، خائفة آمنة ■

باب الرجاء :

وقد عاشت السيدة مريم بعد سيدنا عيسى عليه السلام مدة في رعاية الحواريين ، وبخاصة يوحنا ، لأن بينهما قرى ■

■ — عيسى (١) الوليد

وبين هذا السكون الرهيب ، والوحدة الموحشة ، والاضطراب ، والذهول وضعت عيسى رسول الله وكلمته دون أن تجد لها — وقد أنتشر حولها نور شديد التألق — . فعادتها الحسرة وقالت : « ياليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا » ، فناداها من تحتها . (المنادى « جبريل » أو « عيسى ») : أن لا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى ، واشربى ، وقرى عينا ■ .

السكون الرهيب :
وضعت « عيسى » :
نور شديد التألق :
المنادى :

بهذا طمأنها الله ، وبين لها سعة رحمته ، وعظيم قدرته ، فقد أوجد الرطب فى النخلة اليابسة ، والماء الجارى فى الأرض الجديدة ■ .

سعة رحمة الله :
الرطب فى النخلة
اليابسة :

(١) عيسى : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى « مريم » وروح منه ■ وهو آخر أنبياء الله ورسوله من « بنى اسرائيل » ■ ذكر اسمه فى القرآن بلفظ « المسيح » تارة وهو نقب له ، ولفظ « عيسى » وهو اسمه ، و« بابن مريم » وهى كنيته ، واسمه بالعبرية « يشوع » أى المخلص .

أكرمها بهذا ، وكساها لباس الطهر ، والعفاف ، وهى ماتزال
حائرة ، مضطربة .

بماذا تجيب لائمها ، وتدفع عن نفسها زراية الزارين عليها ؟ لقد
كشف الله بفيض رحمته للوليد حالة أمه ، فبرأها على لسانه «
وكفاها الكلام ، فقال : « فما ترين من البشر أحدا فقولى : انى
نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا .

بماذا تجيب
لائمها :
برأ الله أمه على
لسانه :

ثم عادت الى الناصرة منبتها ، تحمل عيسى فاستقبلها قومها
بالتأييب ، واللوم ، وأفاضوا فى الحديث عن شرف أسرتها، وكرامتها،
وقالوا : « يا مريم ، لقد جئت شيئا فريبا (١) ٢٧ ، يا أخت هرون
ما كان أبوك أمرا سوء ، وما كانت أمك بغيا ٢٨ ؟

الناصرة :
شرف الأسرة :
لقد جئت شيئا
فريبا :

فعمد الحياء لسانها ، وهى ذاهلة ، كاسفة البال ، ثم رددت
قولها : « انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » ،
وأشارت الى الوليد فى مهده ، تريد . أن يوجهوا اليه كلامهم ،
فكانت اشارتها مبعث السخرية ، والاستهزاء ، قائلين : « كيف
نكلم من كان فى المهدصيا ؟ ٢٩ » . فأجابهم عيسى من فوره الاجابة
البرئة لأمه ، الدالة على صدق رسالته ، وبره ، وتواضعه :
انى عبد الله ، آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ٣٠ ، وجعلنى مباركا
أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ٣١ ، وبرأ
بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ٣٢ ، والسلام على يوم ولدت ،
ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا ٣٣ » .

عمد الحياء
لسانها :
أشارت الى
« الوليد » :
السخرية
والاستهزاء :
اجابة « عيسى » :

جعل الله كلمة عيسى آية الآيات على براءة مريم ، وطهارتها ،
وذاع هذا الحديث بينهم ، فعلا شأن عيسى و أمه .

آية الآيات :

وقل جاء الحق، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

جاء الحق وزهق
الباطل :

بيد أن قلة ممن أعمى الله أبصارهم ، وطبع على قلوبهم لم
يستجيبوا لنداء الحق ، ولم يكتروا للآيات البينات ، ولم يفكروا
فى قدرة الله العلى العظيم الذى يقول : انما أمره اذا أراد شيئا
أن يقول له : كن فيكون » .

أعمى الله
أبصارهم :
لم يكتروا للآيات :

فلا ينبغي أن يقام لهؤلاء وزن ، أو يعدوا فى الأحياء .

لا يقام لهم وزن :

كيف حملت مريم من نفخة الملك فى جيب

قميصها

ان هذا الحمل عجيب حقا ، وأعجب منه خلق السموات
والأرض على قانون منظم .

خلق السموات
والأرض :

(١) فريبا : منكرا .

وخلق آدم من غير أب وأم : « أن مثل عيسى عند الله كمثل
« آدم » خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » .

خلق « آدم » :

وكثيرا ما يصدر صنع الله على خلاف ما قضت به السنة .

خلاف ما قضت به
السنة :

وما كشف العلم من عجائب الكون القريب والبعيد الا قليلا .

ما مبلغ سن مريم حين وضعت عيسى ؟

في تفسير البيضاوى : أن سن مريم حين وضعت عيسى كانت
ثلاث عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين .

سن « مريم » :

والرأى أن يقال : انها بلغت مبلغ النساء ، وليس هناك مايدعو
الى تحديد السن .

الرأى :

لماذا أمرت مريم أن تهز جذع النخلة ، لتساقط عليها رطباً ؟

ولم كان رزقها رطباً ؟

لم يكن لمريم في ذلك الحين من يجهز لها الطعام ، وما يلزم لمثلها ،
وهى لا تستطيع أن تفعل .

« مريم » لا تستطيع
أن تجهز الطعام في
ذلك الحين :

و الرطب قد جمع الى الطعام الحلوى ، فهو أوفق طعام
للوالدة .

« الرطب » أوفق
طعام للوالدة :

ويقول البيضاوى : انها كانت نخلة يابسة ، لا رأس لها
ولا ثمر ، وكان الوقت شتاء ، فهزتها فجعل الله لها رأسا ، فيه
خوص وثمر . وفي تسليتها بذلك ما فيه من المعجزات الدالة على
براءة ساحتها .

كان الوقت شتاء :
في تسليتها ما فيه
من المعجزات الدالة
على براءتها :

كان النخل بيت لحم نادرا

كان وجود النخل بيت لحم ، وهى البلدة التى كانت بها مريم
يوم ولادة المسيح عيسى نادرا .

كان وجود النخل
بيت لم نادرا :

وقد بنيت بيت لحم كنيسة على موضع ولادة المسيح بها مكان
النخلة التى ولدت عندها مريم ، وقد فور البلاط في هذا المكان .

كنيسة :
فور البلاط :

مكان الرعاة

مكان الرعاة : أوت مريم الى مكان الرعاة الذين كانوا غائبين بماشييتهم في الرعى ، وولدت فيه .

مذود الماشية : ثم وضعت وليدها في مذود الماشية عقب ولادته ، لأنه لم يكن لها بيت في بيت لحم .

الخلاء : وقد آثرت هذا الموضع ، لتكون في الخلاء ، بعيدة عن الرقباء .

سبب وجود مريم ببيت لحم

الاحصاء : أمر حاكم ذلك الزمان بعد الناس واحصائهم ، واثباتهم في الدفاتر ، فجاءت مريم وخطيبها يوسف النجار من أبناء عمومتهما الى بيت لحم ليثبتا نفسيهما في التعداد ، فكان الوضع هناك .

السرى

الجدول من الماء

ليس للسرى وجود في هذا المكان : أما السرى الذي ذكر في القرآن الكريم : « قد جعل ربك تحتك سريا » ، فليس له وجود في هذا المكان ، ولعله كان عينا فاضت ، ثم غاضت .

قال تعالى في سورة « آل عمران » :

آدم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ، فيكون » ٥٩ .

وفي سورة « مريم » :

انتبذت به مكانا قصيا : « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها (٢) المخاض (٣) الى جذع النخلة ، قالت : يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها : أن لا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا (٤) ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط (٥) عليك رطبا جنيا (٦) ، فكلى ،

(١) المذود : معتلف الماشية ، ومعلقها ، أى موضع علفها .

(٢) فجاءها ، فأجاءها .

(٣) المخاض : وجع الولادة .

(٤) سريا : جدولا من الماء أو سيد شريفا .

(٥) تساقط : تسقط .

(٦) رطبا جنيا : بلحا أن أوان قطعه .

قرى عينا : واشربى ، وقرى عينا (١) ، فاما ترين (٢) من البشر أحدا فقولى :
لن أكلم اليوم ! انى نذرت للرحمن صوما (٣) فلن أكلم اليوم انسيا « ٢٦ .
انسبا :

وفى سورة « الأنبياء » :

أحصنت فرجها : « والتى أحصنت (٤) فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها
وابنها آية للعالمين « ١٩١ .

وفى سورة « التحريم » :

نفخنا فيه من روحنا : « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من
روحنا ، وصدقت بكلمات ربها ، وكتبه ، وكانت من القانتين « (٥)
آية ١٢ .

وفى سورة « مريم » :

لقد جئت شيئا فريا : « فأئت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا
فريا (٦) ، يا أخت (٧) هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت
أمك بغيا ، فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد
صبيبا ؟ قال : انى عبدالله آتاني الكتاب ، وجعلنى نبيا . ٣٠ ، وجعلنى
مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ٣١ ،
وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ٣٢ ، والسلام على يوم ولدت
ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا « ٣٣ .

ذهاب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر

■ هيرودوس : انفرّد بالكلام عن هذه المسألة : متى وبرنابا ، فذكرا أن
هيرودوس أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم ، فأمر يوسف فى منامه
أن يذهب هو ومريم بالمسيح الى مصر ، فقام من فورهِ ، وأخذ
مريم وابنها الى مصر ، وأقاموا بها حتى هلك هيرودوس ، فأمر
يوسف فى منامه أيضا أن يأخذ المسيح وأمه الى بلادهما ، لأن
الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا ، فرجع .

بعض المفسرين : ويذكر بعض المفسرين : أن مصر هى المعنى فى القرآن الكريم

- (١) قرى عينا : طيبى نفسا .
- (٢) فاما ترين : فان ترى
- (٣) صوما : صمتا ، وقيل : صياما ، وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم .
- (٤) أحصنت فرجها ، جعلته حصينا .
- (٥) القانتين : الموابطين على الطاعة .
- (٦) فريا : منكرا .
- (٧) هرون : كان رجلا صالحا فى زمانهم ، فشبها به ■ استهزاء وسخرية ■
وقيل : كان رجلا فاسدا الاخلاق فشبها به للسب .

بقوله تعالى في عيسى وأمه : « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ، ومعين » .

المسيحيون في مصر :
والمسيحيون في مصر يزعمون أنها أقاما ببلدة عين شمس ،
وأنها استظلا بشجرة هناك قد بقي أصلها محتفظا به الى آمد
شجرة العذراء :
غير بعيد منا ، وكانوا يسمونها شجرة العذراء . يزورها الناس
بضاحية المطرية وكان عيسى عليه السلام يشتغل بالنجارة قبل
الرسالة .

مظاهر نبوته منذ نشأته

نشأ عيسى مع أترابه يلهو ، ويلعب كما يلهو الأطفال ، ويلعبون ،
وبدت عليه مَخايل (١) الفطنة ، ودلائل (٢) النبوة ، فقد نهج منهج
أولى العزم ، وسلك مسلك الكبراء ، يستمع في يقظة ، ويصغي
في اهتمام ، سباق ، فواز ، يعد نفسه الكبيرة لحياته الكبيرة ،
ويهيئها لما ينتظره : ينبئ من يلقاه بما يأكل ، وما يدخر في
بيته . ثم رحى مع أمه الى بيت المقدس وقد ناهز الثانية عشرة
من عمره ، فلم تؤثر في سلوكه زخارف المدينة ، وجمال مشاهداتها .

« عيسى » مع
أترابه :
دلائل النبوة :

يعد نفسه الكبيرة :

بيت المقدس :
ناهز « الثانية عشرة »
عشرة « من عمره :

عاش في بيئة معنية
بالدين :

يبدى ما يرى :

أعيا أمه البحث
عنه :

عاد الى
« الناصرة » :

وعاش في بيئة معنية بالدين ، حريصة على تفهم أسرارها ،
وأحب مجالس العلماء ، ومناقشتهم ، يكشف عن الحقائق
العلمية . ويبدى ما يرى في ثبات ، ويقين ، فضاقت به صدورهم ،
ونقموا منه مسلكه ، وهو جاد في طريقه لا يلوى (٣) على شيء .
قد أنساه ذلك كل شيء ، حتى أمه التي أعياها البحث عنه وأخاناها ،
ثم عادت الى بيت المقدس مرة أخرى ، لتضاعف البحث ، وبعد
لأى رآته بين العلماء يحاور ، ويجادل ، فأدهشها ذلك ، ثم حدثته
بما كان ، فأبدى معذرتة ، ثم عاد الى الناصرة .

بنوة المسيح عيسى ابن مريم

لما بلغ عيسى عليه السلام الثلاثين من عمره صعد في جبل
الزيتون مع أمه ، وبينما هو يصلى في الظهيرة اذا بالنور يحيط
به ، والملائكة من حوله ، فقدم اليه جبريل الأمين عليه السلام
كتابا كريما ، هو نور الهى ، بعث به الله اليه ، فعلم أنه نبي
مرسل ، وأنبأ أمه بذلك ، واعتذر عن عدم اقامتها معه لخدمتها .
وانصرف عنها ، ليؤدى رسالته .

صعد في جبل
الزيتون مع أمه :
النور يحيط به
والملائكة من حوله :
علم أنه نبي مرسل :
يؤدى رسالته :

(١) مخايل : مظان .

(٢) دلائل النبوة : ما يدل عليها .

(٣) لا يلوى على شيء : لا يقف ، ولا ينتظر .

بدء الرسالة : بدأت بذلك رسالته ، وبدأت نبوته ، وكان بنو اسرائيل قد حرقوا الشريعة ، وأنغمسوا في الرذيلة ، وأشربوا في قلوبهم المال يجمعونه من كل رجا (١) .

جاوزوا الحد في اخراج « التوراة » من روحها : وطال عليهم الأمد فقتست قلوبهم ، وجاوزوا الحد في اخراج التوراة عن روحها ، فحرموا على أنفسهم عمل الخير يوم السبت ، لأنه يوم عطلة لا ينبغي أن يكون فيه عمل .

وبتلك الحجة الباطلة بعدوا عن كثير من الطاعات التي تقرّبهم الى الله زلفى . وكان بينهم :

فريق الصدوقيين : ١ — فريق الصدوقيين وهم الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ، ويزعمون أن الثواب والعقاب في الدنيا .

فريق الفريسيين : ٢ — وفريق الفريسيين ، أي : مستقيمي الرأي ، وهم الذين ظهروا في عهد المسيح بمظهر الزاهدين ، المتجردين لطاعة الله ، المقبلين على الآخرة ، يراعون الناس ، ليزوا أموالهم .

قبل « المسيح » : وكانوا قبل المسيح منحرفين عن طريق الطاعة ، مقبلين على زخرف الدنيا ، وزينتها وعلى المادة اقبال النهم ، الحريص ، وقد سلك مسلك هؤلاء :

فريق « الكتبة » : ٣ — فريق الكتبة يعظون الناس ، ويكتبون لهم من الشريعة ما يطلبون .

فريق « الكهنة » : ٤ — وفريق الكهنة ، وسدنة البيت المقدس يحرقون التوراة مستبقين الى متاع الدنيا .

كان هؤلاء جميعا في حاجة ماسة الى من يقوم عوَجهم ، ويقيم انحرافهم ، ويطهر نفوسهم .

« عيسى » عليه السلام : فأرسل الله عيسى عليه السلام ، ليبصرهم بالشريعة السمحة ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، فلم يدع سبيلا لتبصيرهم ، ولا نهجا لتقويمهم ، ولا أسلوبا لهدايتهم الا سلكه ، ونادى به ، فأقام رجال الدين في طريقه سدا منيعا ، وحجابا حاجزا ، ليصدوه عن رأيه ، ويعدلوا به عن فكرته ، ويفتكوا بدينه في مهده ، فلم يحفل بجمعهم ، ولم يبالي سدهم ، ولم يثنه حجابهم عن الدعوة الى الحق ، والى الطريق المستقيم ، بل ثبت لها ، وأخذ يبين لهم ضلال آرائهم ، وباطل أقوالهم ، وشناعة مخازيهم أينما كانوا .

« عيسى » عليه السلام :

السد المنيع :

لم يحفل بجمعهم :

ضلال آرائهم :

(١) الرجا : الناحية ، والجمع : أرجاء .

معجزات عيسى عليه السلام

طالبوه بما يؤيد دعوته ، ويثبت رسالته ، فأظهر الله معجزاته على يده ، لتبطل كلامهم ، وتخرس السنتهم بينة ، باهرة .

معجزات « عيسى » عليه السلام :

يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله

يخلق من الطين كهيئة الطير :

ويبرئ الأكمه (١) ، والأبرص (٢) ، ويحيى الموتى باذن الله .

يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله :

قال تعالى في سورة « آل عمران » :

ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ٤٨ ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئكم بآية من ربكم : انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله ، وأبرئ الأكمه ، والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون ، وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ٤٩ ، ومصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون ٥٠ ، ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ٥١ .

الكتاب ، والحكمة ، والتوراة والانجيل : أبرئ الأكمه :

ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم :

وفي سورة « آل عمران » أيضا :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وانزل الفرقان » (٣) .

وانزل « التوراة » والانجيل :

وفيها أيضا :

« يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ٦٥ » .

أفلا تعقلون !

وفي سورة المائدة :

« وقفينا (٤) على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ، ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى ، وموعظة للمتقين ٤٦ . وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ٤٧ » .

وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم : وهدى وموعظة للمتقين :

(١) الأكمه : الذى ولد أعمى .

(٢) الأبرص : من به برص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشر أبيض ، ويسبب للمريض حكا مؤلما .

(٣) الفرقان : القرآن : لأنه يفرق بين الحق والباطل .

(٤) وقفينا على آثارهم : اتبعناهم على آثارهم بعيسى .

وفيها أيضا :

أقاموا التوراة والانجيل : « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم
الانجيل : لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة (٢) ، وكثير
منهم ساء ما يعملون » .

وفيها أيضا :

علمتك الكتاب : « واذا علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل (١١) .
وفي سورة الأعراف :

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل ١٥٧ » .

وفي سورة التوبة :

لهم الجنة : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ،
يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ، ويقتلون ، وعدا عليه حقا في
التوراة والانجيل والقرآن ١١١ » .

وفي سورة الفتح :

زرع أخرج شطأه : ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه (٢) فأزره (٤) ، فاستغلظ
فاستوى (٥) على سوقه » .

وفي سورة الحديد :

وقفينا بعيسى ابن مريم : « ثم وقفنا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه
الانجيل ٢٧ » .

وفي سورة الزخرف :

قد جئكم بالحكمة : « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئكم بالحكمة ، ولأبين
لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون ٦٣ ، ان الله
هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ٦٤ » .

وفي سورة المائدة :

-
- (١) ولو أنهم أقاموا « التوراة » و « الانجيل » : عملوا بهما في شئونهم .
 - (٢) مقتصدة : عادلة ، غير متغالية .
 - (٣) أخرج شطأه : أخرج فراخه ، يقال : أضطأ الزرع : اذا فرخ .
 - (٤) فأزره : فقواه .
 - (٥) فاستوى على سوقه : فاستقام .

« اذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، اذكر نعمتي عليك ، وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس (١) ، تكلم الناس في المهد ، وكهلا ، واذا علمتك الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ، واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني ، فتنفخ فيها ، فتكون طيرا باذني ، وتبريء الأكمه ، والأبرص باذني ، واذا تخرج الموتى باذني ، واذا كففت (٢) بني اسرائيل ، عنك ، اذ جئتهم بالبينات (٣) ، فقال الذين كفروا منهم ان هذا سحر مبين (٤) » .

اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك :

تبريء الأكمه
والأبرص ..

ان هذا الا سحر
مبين :

بيد أنهم على قيام هذه المعجزات الباهرة تبادوا في غيهم ، واستمروا في طغيانهم ، وعدوه ساحرا ، وما فعله سحرا مبينا .

تبادوا في غيهم :

على أن بينهم من استمع لكلمته ، واستجاب لدعوته ، ثم رأى بعد أن يعرضها على الوافدين الى بيت المقدس من مختلف المدن ، والقرى في يوم عيدهم ، فوجد آذانا صاغية ، وصدورا شرحها الله لدينه ، وفتحها لرسالته ، فذاعت ، وانتشر المؤمنون بها .

بينهم من استمع
لكلمة :
وجد آذانا صاغية :

رجال الدين

انبرى رجال الدين المغيظون ، والكهنة الحانقون يفكرون في الخلاص منه ، والقضاء عليه ، ولكن عين الله ترعاه ، وعنايته تلحظه ، « ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين » .

رجال الدين
والكهنة :
ومكروا ومكر الله :

البشارة باقتراب رسالة النبي الأُمى محمد صلى الله عليه وسلم

من خير ما جاء به المسيح عيسى ابن مريم ، لاذاعته : البشارة باقتراب الشريعة الالهية التي يرسل بها النبي الأُمى .

اقتراب الشريعة
الالهية :

وقد أنبأ القرآن الكريم بذلك في سورة الصف :

القرآن الكريم :

« واذا قال عيسى ابن مريم ، يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

عيسى بن مريم :
التوراة :
اسمه « أحمد » :

معنى كلمة الانجيل

معنى الانجيل : البشارة ، والادلة قائمة على أن الله تعالى أعطى المسيح الانجيل . وقد جاء بالتوحيد ، وبأحداث مستقبلية ،

البشارة :
« المسيح »
و « الانجيل » :
التوحيد والأحداث
المستقبلية

(١) روح القدس : جبريل عليه السلام .

(٢) كففت : منعت .

(٣) البينات : الآيات الواضحات .

(٤) ان هذا الا سحر مبين : ما هذا الا سحر واضح .

« محمد » صلى الله عليه وسلم
وبشر باقتراب زمن النبی الامی : محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبعث بشريعة جديدة ، وصفه ، ووصف من تبعه .

الانجيل الموجودة الآن

ان تلك القصص التي وجدت بعد زمان المسيح يطلق عليها اسم انجيل عرفا . وهي تحكى احواله ، وأعماله ، وأقواله التي وعظ بها ، ومعجزاته التي أجراها الله على يده .

يطلق عليها اسم
« انجيل » عرفا :

والكنيسة تعترف بأربعة منها :
اعتراف الكنيسة
بأربعة منها :

١ — انجيل « متى » .

٢ — انجيل « مرقس »

٣ — انجيل « لوقا » .

٤ — انجيل « يوحنا » .

ماذا كتب في هذه الاناجيل ؟

اشتملت هذه الاناجيل على ما نطق به المسيح : من العظات والحكم التي تتضمن حث الناس على التوحيد ، والاخلاص في الطاعة ، وحسن المعاملة ، والبذل في سبيل الخير ، والقناعة ، والتوكل على الله ، وغيرها من الصفات الفاضلة .

ما كتب فيها :

والاحكام فيها قليلة ، ولم يكتب شيء من هذه الاناجيل الا بعد انتهاء أمر المسيح بالخاتمة التي انتهى بها .

قلة الاحكام :

الحواريون (١)

هم الذين بادروا الى الايمان بالمسيح عيسى عليه السلام ، وتعلموا له .

بادروا الى الايمان
بالمسيح « عيسى » :

وهم خلاصاؤه ، وخاصته ، وسنده ، وناصروه :

قاسموه آلامه ، واحتملوا معه عبء الرسالة ، وكانوا اثني عشر رجلا ، وهم الى جانب المسيح عليه السلام بمنزلة الانصار الى جانب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) المفرد « حواري » ، والواحدة « حوارية » ، وكان « الزبير بن العوام » حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والإنجيل تطلق على الحواريين لفظ التلاميذ .

ولما خرج عيسى عليه السلام الى القرى اليهودية يدعو الى دين الله ، ويقوض صروح الشرك ، ويقضي على الآثام ، والموبقات خرج الحواريون متفرقين ، وجاهدوا في الله حق جهاده .

من انصارى الى الله ■

قال تعالى في سورة « آل عمران » :

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : « من انصارى الى الله ؟ » قال الحواريون : « نحن انصار الله . آمنا بالله ، وأشهد بأننا مسلمون ٥٢ ، ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ٥٣ » .

ربنا آمنا بما أنزلت :

وفي سورة « المائدة » :

« واذا أوحيت الى الحواريين : ان آمنوا بى ، وبرسولى » قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون « ١١١ » .

أوحيت الى الحواريين « :

وفي سورة « الصف » :

« يأيتها الذين آمنوا كونوا انصار الله ، كما قال « عيسى بن مريم للحواريين : من انصارى الى الله » ؟ قال الحواريون : « نحن انصار الله ، قأمنت طائفة من بنى اسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين (١) » ١٤

كونوا انصار الله :
أمنت طائفة وكفرت طائفة :

المائدة

لما انتهى بهم المطاف الى مغارة مقفرة ، ومكان جدير كانوا يتضورون جوعا ، ويتلون ضعفا ، ويصيحون اعياء ، وفتورا ، وفيهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يشد من أزرهم ، ويقوى من عزائمهم .

مغارة مقفرة :
يتضورون جوعا :

المسيح يقوى من عزائمهم :

وبعد عناء طال أمده قالوا لعيسى — وهم المؤمنون برسالته ، الشاهدون بنبوته : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ ، قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » .

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء :

كان مثلهم في ذلك مثل ابراهيم الخليل الذى قال : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » ؟ قال : أو لم تؤمن ؟ قال : « بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » .

ابراهيم الخليل :

(١) ظاهرين : غالبين .

دهش عيسى : « فدهش عيسى عليه السلام ، وقال : « أولم تطمئن قلوبكم بعد ما لمستم ما أجرى الله على يدي من المعجزات » ؟ ، فقالوا : « بلى ، ولكننا في سغب (١) منذ حللنا بهذه المغازة ، وقد احتملنا ألمه ، ونخشى أن يفتك بنا ، ونريد أن نأكل من هذه المائدة ، ونحظى بفضلها ، ونكون عليها من الشاهدين . »

أحسن عيسى : « فلما أحسن عيسى صدق قولهم ، وبأن له بعدهم عن العناد والعنت طلب من ربه أن ينزل المائدة ، فاستجاب له متوعدا من كفر بعد نزولها بالعذاب الأليم . »

القرآن الكريم : « وقد حكى القرآن الكريم قصتها في سورة « المائدة » :

اذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟ قال : اتقوا الله أن كنتم مؤمنين « ١١٢ قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين « ١١٣ ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا ، وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وأنت خير الرازقين : ١١٤ ، قال الله : « اني منزلها عليكم » فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ١١٥ » .

هل نزلت « المائدة » ؟

الخير السابغ : ويرى بعض المفسرين أنها نزلت بالخير السابغ ، والرزق الموفور ، لأن في تنزيلها انجازا لوعد الله ، واستجابة لدعوة رسوله عيسى عليه السلام ، وتأييدا له .

يهدبهم بها سواء السبيل : وقد سأل عيسى ربه أن يرحمهم بها ، ويهديهم سواء السبيل ، فاطمأنت نفوسهم ، وقوى إيمانهم ، وسعدت حياتهم .

الذين كفروا : وأما الذين كفروا فقد مسخوا خزائير بعد أن طعموا منها ، تحقيقا لقوله تعالى : « فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

ماذا كان طعام « المائدة » ؟

طعام المائدة : قيل : أن طعام المائدة ، كان سمكة وخمسة أرغفة ، وجميع البقول الا الكرات .

ابن عباس : وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبني إسرائيل : « هل لكم أن تصوموا ثلاثين

(١) السغب : الجوع .

يوما ، ثم تسألوه فيعطىكم ما سألتم ، فان أجر العامل على من عمل له « ، ففعلوا ، ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : « ان أجر العامل على من عمل له ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ، ففعلنا ، ولم تكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطعمنا ، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا « مائدة » من السماء ... الى قوله تعالى : « أحدا من العالمين » .

ان أجرا العامل على من عمل له :

هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟

فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ، عليها سبعة أحوات ، وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم .

« سبعة » أحوات
« وسبعة » أرغفة :

وجاء عنه أن المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا ، على أن بعضهم قد ذهب الى أنهم لما أوعدوا هذا الإيعاد استعفوا عيسى عليه السلام ، وقالوا : لا نريدها ، فلم تنزل .

المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا :
الإيعاد :
والاستعفاء :

نهاية أمر المسيح

جعل الكهنة والفريسيون يكيدون للمسيح ، ويمكرون به ، وهو جاد في دعوته ، يعيب عليهم بعدهم عن معالم دينهم وعدم استجابتهم لطريقته القويم ، يخشون على سلطانهم أن يزول ، وعلى دولتهم أن تدق ، وعلى عرشهم أن يدك ، فضاقوا به ذرعا ، واستعانوا عليه بأولى الأمر ، وذوى الجاه : يوغرون صدورهم ، ويثيرون أحلامهم ، ويستفزون حنقهم (١) .

الكهنة والفريسيون :
المسيح جاد في دعوته :
يخشون على سلطانهم أن يزول :
أولو الأمر :

وهو لا يحفل بتدبير هؤلاء ، ولا بحنق أولئك ، فعجزوا عن مقاومته ، وانصرف الناس عنهم ، وانفضوا من حولهم .

لا يحفل بتدبيرهم :

ولما أعياهم أمره لم يجدوا غير التدبير لاغتياله — وقد أعياهم الجهل بالدين — فاجتمعوا في بيت المقدس ينثرون آراءهم ، ليتخلصوا منه ، ورجال السلطان باذلو جهدهم في البحث عنه ، وهو باذل جهده في بث دعوته — وقد أحاط بمالديهم خبرا .

التدبير لاغتياله :
البحث عنه :

ولما جن الليل عيسى وتلاميذه ، ولهم بظلامه انقض الباحثون عليهم ، فألقده الله من أيديهم ، ونجاه ، وفتح عيونهم على رجل شديد الشبه به ، ذلكم هو يهوذا الذي دلهم عليه ، فلم يشكوا في الأمر ، فقبضوا عليه ، وعقد الله لسانه ، واستسلم ، فأخذ ، وصلب ، وقتل ، والناس بين فرح ، وصاغب ، زاعمين أنهم انما صلبوا ، وقتلوا عيسى عليه السلام ، وما علموا أن الله قد رد كيد الخائن في نحره ، وجازاه على خيائته ، ومكره جزاء وفاقا .

لما جن الليل انقض الباحثون عليهم :
قبضوا على يهوذا :
الناس بين فرح ، وصاغب :

(١) حنقهم : غيظهم .

قال تعالى في سورة « آل عمران » :

« اذ قال الله يا عيسى ، انى متوفيك ، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون؟ » .

انى متوفيك
ورافعك الى :
احكم بينكم :

وفي سورة « النساء » :

وقولهم : « انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ١٥٧ ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما ١٥٨ » .

وما قتلوه وما
صلبوه :
بل رفعه الله اليه :

يا عيسى انى متوفيك ، ورافعك الى .

اختلاف المفسرين :

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : « يا عيسى انى متوفيك ، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا » ، على أوجه منها :

انى متوفيك
ورافعك الى :

انى مستوف أجلك ، ومميتك حتف أنفك ، لا أسلب عليك من يقتلك « كناية عن عصمته من الأعداء » .

خير الأوجه :

وهذا الوجه محقق احباط الله لتدبير أعدائه ، فقد أنجاه الله من اليهود ، فلم يقبضوا عليه ، ولم يصلب ، ولم يقتل ، في الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : « رافعك الى ومتوفيك » الوفاة هنا النوم ، لأن النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر .

تقديم وتأخير :
الوفاة : النوم :

وقد ورد عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام الى السماء وهو نائم ، رفقا به .

أين ذهب المسيح ؟

ان جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه ، وجسده حيا الى السماء ، لأن الله تعالى يقول : « ورافعك الى » .

جمهور المسلمين :

نزول المسيح عيسى ابن مريم في آخر الزمان وقتله المسيح الدجال

بعض هذه الأخبار مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضها آراء للمفسرين .

مرفوع الى رسول
الله :

آراء للمفسرين :
عن مسلمة اليهود:
أحاديث وآراء
« آحاد »

وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ، ووهب .

وهي أحاديث ، أو آراء آحاد لا تصل الى قوة — صريح
القرآن — الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ،
تنزيل من حكيم حميد .

ايجاد عقيدة :
فلا يمكن أن تنهض هذه الأخبار بايجاد عقيدة اذا حاد انسان
عنها برىء من الاسلام ، وبرىء الاسلام منه .

تفسير المنار

الآية على ظاهرها :
صاحب هذه
الطريقة :
جاء في تفسير المنار عن الأستاذ الامام أنه قد قرر الآية على
ظاهرها ، فالتوفى : هو الامامة العادية ، والرفع بعده ، وهو
رفع الروح ، ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع ، والنزول
في آخر الزمان تخريجان :

حديث آحاد :
أحدهما : أنه حديث آحاد ، متعلق بأمر اعتقادى ، لأنه من أمور
الغيب التى لا يؤخذ فيها الا بالقطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين —
وليس في الباب حديث متواتر .

غلبة روحه وسر
رسالته على
الناس :
وثنانيهما : تأويل نزوله ، وحكمه في الأرض بغلبة روحه ، وسر
رسالته على الناس ، وما غلب في تعليمه : من الأمر بالرحمة ،
والحبة ، والسلام ، والأخذ بمقاصد الشريعة — دون الوقوف
عند ظواهرها — فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة
جديدة ، ولكنه جاءهم بما يبعدهم عن الجمود على ظواهر الفاظ
شريعة موسى عليه السلام ، وبما يوقفهم على المراد منها ، ويأمرهم
بتحرى كمال الآداب التى تجذبهم الى عالم الأرواح .

الأستاذ الامام :
ونقل في تفسير المنار أيضا ، أن الأستاذ الامام سئل عن المسيح
الذجال وقتل عيسى له ، فقال :

الذجال :
القرآن :
ان الذجال رمز للخرافات ، والدجل ، والقبائح التى تزول
بتقرير الشريعة على وجهها ، والأخذ بأسرارها ، وحكمها ، وان
القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم ، والأسرار .

سنة الرسول :
وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة
للشهر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك .

اليهود ينتظرون مسيحا آخر

ينتظر اليهود — مسيحا — يعيد اليهم الملك ، والسلطان في

ينتظر « اليهود
مسيحا »

الأرض ، ولم يكن المسيح عيسى بن مريم هو المسيح ، الذى صوروه لأنفسهم ، فمكروا به ، وأرادوا قتله .

فالمسيح الدجال : رجل من اليهود يدعى أنه المسيح أى الملك الذى ينتظرونه حتى الآن — وقد وعدوا به — وفرحوا ، لأنه مسيح مالى .

فهم يعبدون الثروة والمال ، فقد أجابوا صمويل — اذ قال لهم : « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا — بقولهم : أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

اليسوا هم باذلى الأنفس ، والأموال فى سبيل فلسطين ، يتخذونها وطنًا لهم ؟ وقد وقفت الى جانبهم ، الحكومة الانجليزية ، لأنهم جاملوها بالأموال فى الحرب العظمى ، والآن تقف فى صفهم أمريكا .

ومن اليسر أن يقيموا عليهم فى فلسطين مسيحًا .

اليهود وصلب المسيح

ليس فى تاريخ اليهود الدينى ما يدل على اسم المسيح ، أو زمنه ، أو صلبه ، أو قتله ، فإذا أبدى اليهود رأيا عن المسيح ، وقتله ، فذلك لأنهم يسمعون أن المسيح قد جاء ، وقتله اليهود .

ويقول الدكتور اسرائيل ولفنسون : ان اليهود قد أخرجوا موضوع قتل المسيح من التلمود (١) ، حتى لا يجده أحد من الأمم التى يقيم بينها اليهود .

النصارى ونهاية المسيح

أما النصارى فان صلب المسيح عندهم عقيدة دينية ، ودعامة من دعائمها ، فلا يقبل ايمان أحدهم الا بها ، ولا يفيد عمل صالح يقوم به دونها ، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » فى سورة النساء من الآية ١٥٧ وقد صوروا نهاية المسيح مأساة شنيعة ، مروعة .

(١) التلمود : كتاب لليهود يتسم بطابع دينى اجتماعى ، يتغير بالزيادة والحذف والتجديد باتفاق رجال الدين ، وهو فى المكان الثانى من التقديس ، أى : أنه بعد « التوراة » منزلة .

هل أجمع المسيحيون على صلب المسيح وقتله ؟

من طوائف المسيحيين من ينكر الصلب والقتل وينفيهما .

من المسيحيين من
ينكر الصلب
والقتل :

فمن هؤلاء الساطرينوسيون والكاربوكراينيون والمركيونيون
والبارديسيانيون والتاتيانيسون والبارسكاليونيون والبوليسيون .

من القائلين بأن المصلوب غير عيسى قطعاً ، وأنه لم تسلط
عليه أيدي أعدائه ، بل رفع إلى السماء :

المصلوب غير
عيسى :

طوائف الدوسيتية والمريسيونية والفلنطينائية .

طوائف :

الأنجيل و صلب المسيح

اختلفت الأنجيل الأربعة في تفصيل موضوع صلب المسيح
وقتله اختلافاً كبيراً ، وكان ينبغي أن يكون رأيهم فيه متفقاً ، لأنه
لديهم أساس الإيمان ، ودعامة النجاة التي لذويها الإلهام ، والبعد
عن الزلل .

اختلاف الأنجيل :

وقد كان هذا الاختلاف مبعث القلق والاضطراب الديني ،
وضعف الثقة بما جاء بها .

القلق والاضطراب
الديني :

النصارى والعقيدة

خلق النصارى لهم عقيدة ، هي أن الله مركب من ثلاثة أقانيم :
الأب ، والابن ، والروح القدس ، وهذه كلها واحد ، فحل الله
الذي هو الأب والابن في مريم ، وتجسد انساناً ، وولد منها وهو
يسوع ... الخ .

ثلاثة أقانيم :

مريم - يسوع :

وهذه العقيدة لم يعلم بها المسيح ، ولم يقلها غيرهم .

العقيدة :

وقد أدى ذلك إلى عبادة المسيح على الرغم منه .

ورد عليهم القرآن في مواضع كثيرة :

رد عليهم القرآن :

قال تعالى في سورة « النساء » :

لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون ،
ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ١٧٢ .

« المسيح »
عبد الله :

وفي سورة « المائدة » :

كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ، وامه ، ومن في الارض جميعا ، والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء ، الله على كل شيء قدير ١٧

وفيها أيضا :

لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي ، وريكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وما لواؤه النار ، وما للظالمين من أنصار ٧٢

وفيها أيضا :

ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وامه صديقة ، كانا ياكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر انى يؤفكون (١) ٧٥

وفي سورة « التوبة » :

وقالت اليهود عزيز (٢) ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله .

وفيها أيضا :

اتخذوا احيارهم (٣) ورهبانهم (٤) اربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحد ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون ٣١

وفيها أيضا :

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٣٢ » .

(١) انى يؤفكون : كيف يصرفون عن الآيات .
(٢) « عزيز » : نبى من أنبياء بنى اسرائيل كان يحفظ « التوراة » .
قيل : أماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، فقال بعض اليهود : ما وصل الى هذا الا لانه ابن الله .
(٣) احيارهم : علماء دينهم .
(٤) رهبانهم : جمع راهب ، وهو من اعتزل عن الناس الى « دير » طلبا للعبادة .

وفي سورة « مريم » :

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ٣٤ ، ماكان
الله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ، اذا قضى أمرا فانما يقول له :
كن ، فيكون ٣٥ ، وان الله ربي وربكم ، فاعبدوه ، هذا صراط
مستقيم » ٣٦

عيسى بن مريم كن
فيكون :

وفي سورة « الزخرف » :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون (١) ٥٧ » .

ابن مريم :

وفي سورة « الصف » :

يصدون :

واذ قال عيسى ابن مريم : يا بنى اسرائيل ، انى رسول الله
اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي
من بعدى اسمه احمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر
مبين ٦

التوراة :

اسمه « احمد » :

المسيح بن مريم عبد الله ورسوله

جاء في القرآن الكريم « أن عيسى عبدا لله ، ورسوله ، وليس
هو الله ، ولا ابنا لله .

« عيسى » عبد الله
ورسوله :

قال تعالى في سورة « البقرة » :

وقالوا « اتخذ الله ولدا » سبحانه ، بل له ما في السموات
والأرض ، كل له قانتون ١١٦ » .

وقالوا : « اتخذ
الله ولدا » :

وفي سورة « آل عمران » :

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال
له : كن ، فيكون » ٥٩

« عيسى » و « آدم » :

وفي سورة « النساء » :

« وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ١٥٧ » .

قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول
الله :

وفيها أيضا :

(١) يصدون : يضجون فرحا .

لا تغفلوا في دينكم ! « يا أهل الكتاب لا تغفلوا (١) في دينكم » ولا تقولوا على الله
الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته القاها
الى مريم وروح منه « فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا : ثلاثة » :
انتهوا (٢) خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد
له ما في السموات ، وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلاً ١٧١

وفي سورة « الأنعام » :

« بديع السموات والأرض ، انى يكون له ولد ، ولم تكن له
صاحبة ؟ ، وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ١٠١ » .

وفي سورة « الفرقان » :

« الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن
له شريك فى الملك ، وخلق كل شيء فقدره (٢) تقديرا » .

وفي سورة « الزخرف » :

« ان هو الا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً (٤) لبنى اسرائيل
٥٩ ، ولو نشاء لجعلنا منكم (٥) ملائكة فى الأرض يخلفون (٦) ٦٠ ،
وانه لعلم للساعة » فلا تمترن بها ، واتبعون ، هذا صراط
مستقيم ٦١ » .

وفي سورة « الأخصاص » :

« قل هو الله أحد الله الصمد (٧) ، لم يلد ولم يولد ، ولم
يكن له كفواً أحد (٨) » .

أنت قلت للناس « اتخوننى وأمى الهين من دون الله » !

للمسيح عليه السلام موقف فى اليوم الآخر يوم القيامة ،
نكره القرآن الكريم ، وعبر عنه بلفظ الماضى : لأنه محقق الوقوع :

موقف « المسيح » :
الله العليم :

- (١) لا تغفلوا : لا تتجاوزوا الحد .
- (٢) انتهوا : اقلعوا .
- (٣) قدره تقديرا : أعطاه القدر الذى يناسبه « ليتلاءم مع جميع اجزاء
الوجود المحيط به » .
- (٤) وجعلناه مثلاً : أمراً عجيباً كالمثل السائر .
- (٥) منكم : بديكم .
- (٦) يخلفون : يخلفونكم فى الأرض .
- (٧) الصمد : الصمود « المقصود اليه » .
- (٨) ولم يكن له كفواً أحد : لم يكن له أحد يكافئه ، ويمثله .

يسأله المولى — وهو أعلم بما كان — عن عبادة أمته له ، أو
لأمه ، أو لهما معا ، واتخاذهما الهين من دون الله ، ليقيم الحجة
على ضلال من ضل من أتباعه بعده ، فيجيبه عيسى عليه السلام
منكرا ذلك ، مقررًا أنه في حياته إنما دعاهم إلى الله وحده ، دون
سواه ، وأنه كان مثابرا على النصح لهم حتى وفاته .

« عيسى » ينكر
ذلك :

وكان الله الرقيب عليهم بعد ، وهو على كل شيء شهيد ، وإن
أمر عباده إليه ، أن شاء عذبهم ، وإن شاء رحمهم :

كان الله الرقيب
عليهم :

قال تعالى في سورة « المائدة » :

« وأذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذنوني
وأمي الهين من دون الله » قال : سبحانك ، ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق ، أن كنت قلتة فقد علمته ، تعلم ما فى
نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك ، أنك أنت علام الغيوب » ١١٦

اتخذونى وأمى
الهين من دون الله :

أنك أنت علام
الغيوب :

« ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : أن اعبدوا الله ربى ، وربكم
وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم،
وأنت على كل شيء شهيد ١١٧ » أن تعذبهم فانهم عبادك » وأن
تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ١١٨ » .

قال الله : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقتهم ، لهم جنات
تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ،
ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم ١١٩ » .

المحبة والسلام

١ — كلام الطفل فى مهده حادث معجز ممن اصطفاه الله وطهره،
واخلصه له :

وعيسى عليه السلام قد أجاب وهو فى مهده : « انى عبد الله
آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرًا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا
شقيًا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

٢ — من أحبه من خلقه رعاه بعينه التى لا تغفل ، فقد أمر الملك
بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم ، فنجى الله عيسى عليه السلام من
القتل ، اذ ذهب به وبأمه الى مصر — يوسف النجار — ، لأنه أمر
فى منامه بذلك ، ثم عاد بهما بعد أن مات الملك .

٣ — نشأ عيسى بين العلماء يحاجهم ، وقد أعجب بأسئلته وأجوبته من سماعه قائلًا : « كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث » ولم يتعلم القراءة « ؟

٤ — الصبر على الشدائد في سبيل الإيمان جميل يبعث في النفس حب الجهاد ، والرغبة في تحقيق ما يرجو :

جاء المسيح وبنو اسرائيل قد حرفوا شريعة الله ، وانحرفوا عن الطريق السوى ، وتسابقوا الى المادة ، وكانوا شيعة .

فما يهم المسيح غير تخليصهم مما ارتطموا فيه ، وقد لقي من الخصم اللد ، والعدو الأزرق ما ليس وراءه زيادة ، فصبر صبرا جميلا .

٥ — اذاعة المحبة والسلام بين الناس منهج سمح :

يقول يسوع : « الحق أقول لكم : لا تقول الشريعة : أعبد ، بل تقول : أحب الرب الهك بكل نفسك ، وبكل قلبك ، وبكل عقلك » .

« ٥ »

مُحَمَّدٌ

صلى الله عليه وسلم
خيرة الله من خلقه

مولد محمد رسول الله

متى ولد :
أم أين : « أبشر يا عبد المطلب ، أبشر ، فقد جاءت آمنة بولد لأكهو الأولاد » .

لقد نظرت إليه وهو يخرج منها أن قد خرج منها نور رأيت به
قصور بصرى من أرض الشام .

عبد المطلب :
فأجاب عبد المطلب — وقد غمره الفرح — وأخذ منه كل مأخذ :
« أنها والله للرؤيا التى رأيت ، ألم أر فى منامى كان سلسلة من
فضة خرجت من ظهري ، لها طرف فى السماء ، وطرف فى الأرض ،
وطرف فى المشرق » وطرف فى المغرب ، ثم كأنها شجرة على كل
ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها ،
ويحمدونها » .

ابن عباس :
عن ابن عباس قال : ولد النبی صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين ، واستنبت يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً
من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع
الحجر الأسود يوم الاثنين .

حليمة وعراف هذيل

عراف « هذيل » :
عرضته حليمة مرضعته على عراف هذيل فى سوق عكاظ ،
فراى فيه النبى المنتظر ، فصاح : يا معشر هذيل ، يا معشر
العرب ، اقتلوا هذا الصبى ، فانسلت به حليمة من بينهم .
ولم يره أحد .

وقد رأت منه ماشرح صدرها ، وأسعد حالها : من البركة ،
والخير الكثير .

بحيرا الراهب

بحيرا « الراهب » :
وهذا بحيرا الراهب نظر الى تجار قريش مقبلين ، فراى غلاماً
بين القوم ، تظله غمامة لا تظل الا نبيا ، فدعاهم الى طعام ،
فاجتمعوا ، وتخلف الغلام محمد ، فدعاه بحيرا ، وتحدث اليه
بعيدا عن القوم ، ثم أقبل على عمه أبى طالب صائحاً : سيكون
لابن أخيك هذا شأن عظيم . فارجع به ، واحذر عليه من اليهود ،
فرجع به عمه ، ولم يمكث الا قليلا .
سيكون لابن أخيك
هذا شأن عظيم :

اعداد محمد للرسالة

اصطفى الله محمدا للرسالة ، فأعده لها أكرم اعداد :

أعد الله محمدا
للرسالة أكرم
اعداد :

أنشأه عريق النسب من ذؤابة قريش العليا ، حفيد اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما السلام ، وجده عبد المطالب سيد قريش ذو
الخلق القوى ، والايمان العميق ، والعقل الراجح ، فهو الذي
أجاب قائد الجيش — وقد قال له : أراك تسأل عن أهلك ، ولا تسأل
عن الكعبة — : أما الأبل فأنا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه .

حفيد اسماعيل
ابن ابراهيم
عبد المطالب :

وأبوه عبد الله وهو أصغر أولاد عبد المطالب ، وأحبهم إليه .
والذبيح الثاني المفدى بمائة من الأبل ، فيه الوسامة ، وفيه الحياء .

عبد الله :

لم يقيم مع السيد آمنة الا أياما معدودة ، سافر بعدها الى
الشام للتجارة ، ولم يعد ، فمات غريبا عن جنين كريم — محمد —
أعلى الناس نسبا ، وأشرفهم حسبا .

مات « عبد الله »
غريبا عن « جنين »
كريم :

عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
ان الله عز وجل اصطفى من ولد ابراهيم — اسماعيل — واصطفى
من بنى اسماعيل — كنانة — واصطفى من بنى كنانة — قريشا —
 واصطفى من قريش — بنى هاشم — واصطفاني من بنى هاشم .

« وائلة » بن
الأسقع :

« محمد »
المصطفى :

وقد خصه الله تعالى دون غيره من البشر بصفات . ومناقب
هيأته للرسالة ، كما هيأ المدينة والجزيرة ، والعالم كله لها ،

صفاته ومناقبه :

فقد انتشر الظلم ، والفساد ، واستشرى الفسق ، والضلال ،
وانحطت المدراك ، وساد الظلام ، وضاعت حقوق الانسان ،
وعمت الموبقات ، وسارت أمور الناس من سييء الى أسوأ :

انتشار الظلم ..
الخ ..

سارت الأمور من
سيء الى أسوأ :

فهو خير انسان من خير بيت في خير زمان لتلك الرسالة .

نشأته منذ صغره

وقد نشأ منذ صغره على حسن الأدب ، ولطف الأخلاق ، وصدق
اللسان ، ورجحان العقل ، فلم يمل في صباه الى ما تميل اليه
نفوس الصبيان : من اللعب ، والطمع ، والاشتغال بسفاسف
الأمور :

مكارم الأخلاق :

قالت : أم أيمن : كان — وهو في كفالة عمه — مثال القناعة .
والبعد عن السفاسف :

أم أيمن :

إذا جاء وقت الأكل أقبل الأولاد يختطفون ، وهو قانع بما
سييسره الله له .

القناعة :

شوق صدره

وقد شق صدره وهو عند حليمة ، وأخرج من قلبه علقة سوداء هي حظ الشيطان من ابن آدم .

علقة سوداء :

عن عتبة بن عبد السلمي : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : كانت حاضنتي من بني سعد بن كعب ، فانطلقت أنا وابن لها في بهم (١) لنا ، ولم نأخذ معنا زادا ، فقلت : يا أخي ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم ، وأقبل طيران أبيضان ، كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال : نعم . فأقبلا بيئدراني ، فأخذاني ، فبطحاني إلى القفا ، فشقنا بطنى . ثم استخرجا قلبي ، فشقاها ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : اثنتى بماء ثلج ، ففسلا به جوفى . ثم قال : اثنتى بماء برد ، ففسلا به قلبي ، ثم قال : اثنتى بالسكينة فذراها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : حصه ، فحاصه (٢) ، وختم عليه بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة ، وأجعل ألفا من أمته في كفة ، فاذا نظر إلى الألف فوثق أشفق أن يخر (٣) على بعضهم ، فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم . ثم انطلقا وتركاني ، وفرقت فرقا شديدا ، ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيته ، فأشفقت على أن يكون البس (٤) بي — (أو قال : فخفت أن يكون قد التبس بي) — قالت : أعيدك بالله ، فرحلت ببيعير لها ، فجعلتني — (وقال يزيد) : فحملتني — على الرحل ، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي ، فقالت : أو أدبت أمانتي وذمتي ؟ وحدثتها بالذي لقيت ، فلم يرى ذلك ، فقالت : اني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام .

عتبة بن عبد السلمي :

كانت حاضنتي من بني سعد بن كعب : أقبل طيران أبيضان :

استخرجا قلبي : أخرجا منه علقتين سوداوين : اثنتى بماء برد : حصه ، فحاصه : ختم عليه بخاتم النبوة :

انطلقا وتركاني : أشفقت أن يكون البس بي :

أو أدبت أمانتي وذمتي ؟ :

وفاة أمه

وأدركت أمه منيتها بالأبواء ، بين مكة والمدينة — وقد بلغ ست سنين ، وقالت في مرض موتها — والنبي عند رأسها — : كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كثير يفنى ، وأنا ميتة ، وذكرى باقى ، وقد تركت خيرا ، وولدت طهرا .

الأبواء :

كل حي ميت : وقد تركت خيرا : وولدت طهرا :

(١) البهم : جمع « بهمة » ، وهى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى ، وجمع « البهم » : « بهام » .
(٢) حاصه : خاطه خياطة متباعدة .
(٣) يخر : يسقط .
(٤) فأشفقت على أن يكون البس بي أو فخفت أن يكون قد التبس بي : خولطت من قولك : فى رأيه لبس ، أى اختلاط .

كفالة جده عبد المطلب

عمره ثمانى سنوات : فكفله جده عبد المطلب الى ان بلغ عمره ثمانى سنوات .

كفالة عمه ابي طالب

وصية من جده : فكفله عمه ابو طالب بوصية من جده .

عمله في صفرة

كان يرعى الغنم : وكان يرعى الغنم في صفرة :

الكباش : عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجتنى الكباش (١) ، فقال : عليكم بالأسود منه ، فإنه أطيبه . قال : قلنا : أوكننت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وهل من نبى الا قد رعاها .

الأمين : وقد أنبته الله نباتا حسنا ، فنشأ منذ حداثة سنه بما جبل عليه من الصدق ، والأمانة ، حتى سماه قومه الأمين .

تجارته بمال السيدة خديجة

سفر الى الشام : فرغبت اليه السيدة خديجة بنت خويلد — وهى من أوساط قريش حسبا ، وأوسعهم مالا — أن يسافر الى الشام بتجارة لها ، وتعطيه أفضل مما كانت تعطى غيره ، فخرج ومعه غلامها ميسرة .

غلامها : وأخبرها غلامها بما رأى من آثار كمالاته صلى الله عليه وسلم ، وأرهاصات نبوته .

زواجه بالسيدة خديجة

رغبتهما في الزواج : فأبدت رغبتهما في الزواج به ، فتزوجها بعد رجوعه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما .

(١) الكباش : كسحاب ، النضيج من تمر الأراك .

اختلاف قبائل قريش فيمن يضع الحجر الأسود

ووضع الحجر الأسود : ولما أريد وضع الحجر الأسود اختلفت قبائل قريش فيمن يضعه ، ودام الخلاف ثلاثة أيام حتى كادوا يقتتلون .

تحكيم الأمين المأمون

التحكيم : ثم حكموا بينهم الأمين المأمون صلوات الله وسلامه عليه ، فبسط رداءه ، ووضع فيه الحجر ، وأمر أن تأخذ كل قبيلة بطرف ، فرفعوه جميعا ، ووضعوه الرسول بيده الشريفة في موضعه .

الرؤيا الصادقة في النوم

الرؤيا الصادقة : وكان يرى الرؤيا الصادقة في النوم قبل أن يأتيه الوحي ، فكان لا يرى شيئا الا وجاء كما رأى .

الخلوة والعزلة : ثم حبيب اليه الخلوة ، والعزلة عن الخلق ، لمناجاة ربه .

غار حراء

موضع الرسالة ومهبط الوحي : جبل بالقرب من مكة ، اختاره محمد ليناجي ربه ، فهو منزله قبل أن يبعث ، وموضع رسالته ، ومهبط النور الالهي عليه .

انه علم الوحي ، وعلم الرسالة حتى تنتهي الدنيا . فما أسعد حراء و غار حراء بنزول جبريل بأول الوحي على محمد رسول الله وخيرته من خلقه وهو يتحنث فيه .

الرياضة الروحية : ولقد نعم حراء وغاره بمشهد تلك الرياضة الروحية العالية زمانا ، حتى أوحى اليه ، ليكون للناس بشيرا ، ونذيرا .

محمد يخرق مكة : هذا محمد يسير وحيدا ، مخترقا طرق مكة ، من دار خديجة الى حراء ، ويصعد ، ويستمر في تصعيده - ومعه زاده - حتى يبلغ قمته ، ثم يستمر حتى يبلغ مقامه ، ومثواه ، ويتأمل ، ويدكر كل ما رأى ، وما سمع ، ثم يجبل بصره في النجوم المتألقة ، المنتشرة في السماء اذا جن الليل مفكرا في خلقها ، وفي أمر هذا العالم كله .

يقضى الليل الا قليلا مقبلا في صحف ذهنه ما يقال في خلق العالم ، وفي الملائكة ، وفي الآلهة ، وفيما يعتبر من الأصنام ، حتى ينسى نفسه ، وطعامه ، ونومه ، ثم يستريح في الغار قليلا ، ويعود بعد الى التفكير ، والتأمل في حقيقة العالم ، والوجود ، والكون .

انه الوفي ، الصادق ، الأمين ■ مضرب المثل بين قومه لهذا ،
ولبره أبناءه ، وحبه زوجه ، وعطفه على الضعيف والفقير .

مضرب المثل بين
قومه :

وطالما شارك قريشا في سمرهم ، وحديثهم في دار الندوة
الى جوار الكعبة ، ورأى طائفة منهم يذهبون الى هبل ، يضربون
بالقداح عنده ، ليشير عليهم بما يصنعون اذا اختلفوا ، وطائفة
أخرى ذوى حكمة ورأى سديد ، ينظرون الى الأصنام نظرة ريبة
في ربوبيتها ، وعبادتها . وكثيرا ما سمع من خطبائهم بأن الله
دينا غير دين قومهم .

دار الندوة :
هبل :

الريبة في عبادة
الأصنام :
ان لله دينا غير
دين قومهم :

أما هو فقد صرفه الله منذ نشأ عن عبادة الأوثان ، وشغله
بالدأب على البحث عن معرفة الحق ، والتفكير فيه ، فانصرف
عن تجارة خديجة ، وأمعن في الانقطاع عن الناس ، ورأى في حراء
خير مقام روحى تعرض به الحقيقة أمام بصيرته في دقة ، وأناة .

معرفة الحق :
« حراء »
خير مقام روحى :

وفي شهر رمضان يستعين بالصوم ، والزهد على معرفة الحقيقة
ففيما يرى ، وفيما يسمع ، وفيما يحس ، وفيما وراء الرؤية
والحس .

في شهر
■ رمضان ■ :

وما زال يفكر ، ويتأمل حتى بدت له الحقيقة صافية ، يراها
في يقظته ، وفي رؤياه الصادقة وهو نائم ، كأنها وضح الصبح .

بدت الحقيقة
صافية :

انك من فوق جبل النور لترى مقاما يطالع الحياة ، وتطالعه ،
تشرق الشمس عليه حين تشرق ، وتنحدر عنه حين تغيب ، وتلمع
النجوم ، ويتلألأ البدر في السماء ، وتهوى الشهب ، وتنتطح
السحب ، وهو يرقب هذا كله .

جبل النور :

انها لرياضة عقلية وروحية ، تهذب النفس ، وتعلم الانسان
ما لم يعلم .

رياضة عقلية
روحية :

ليس اتصال الانسان بالكون خير مهذب لنفسه ، وأقدر مثقف
لعقله ، وأكبر سام بروحه ■

اتصال الانسان
بالكون :

انها لصورة رائعة أن تشاهد مقر الغار ومقام جبريل يتلو
على الرسول أول ما نزل من القرآن الكريم ، وقد بلغ الأربعين :
« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك
الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

صورة رائعة :
بدء البعثة :
علم الانسان ما لم
يعلم :

« حراء » و « الغار » و « الملك » و « محمد » و « اليوم الأول »
من الوحى :

مشاهد تفتح أبواب التفكير من كل صوب ، وحذب ، وتذكر المسلمين
برسولهم ، وبرسالته التى تقبين من خلال الظلمات المحيطة بها

أبواب التفكير :

انتشار الاسلام : ظلمات الوثنية والكفر والشرك كما يتبين الخيط الأبيض من ظلمات الليل البهيم ، حتى انتشر الاسلام فأضاء الدنيا بنوره .

يرجف فؤاده من الروح : رجع محمد الى خديجة يرجف فؤاده من الروح ، يقول : « زملوني ، زملوني » ، لتزول عنه القشعريرة ، فزملوه حتى زالت عنه . ثم قال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتصديق الحديث ، وتقرى الضيف ، وتعين على النوائب .

ورقة بن نوفل

هذا هو الناموس : ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فأخبره صلى الله عليه وسلم بها رأى ، فقال ورقة : هذا هو الناموس (١) الذى نزل الله على موسى ، وتمنى ورقة أن يكون وقت عداء قريش للرسول شابا ، قويا ، فينصره نظرا مؤزرا .

شوق الرسول الى الوحي

فتر الوحي : ثم فتر الوحي ، وقد اشتد شوق الرسول اليه . وحزن حزنا شديدا .

الملك جبريل

رعب منه : وبينما هو يمشى اذ سمع صوتا ، فرجع بصره ، فاذا الملك الذى جاءه ، فرعب منه ، ورجع الى خديجة يقول : « دثرونى » .

قم فأنذر : فأنزل الله عليه قوله تعالى : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر » .

بدء الدعوة سرا

بدأ يدعو سرا : فبدأ يدعو سرا من يثق به ، ويتوسم فيه الخير والقبول . فكان أسبق الناس الى الايمان به زوجته خديجة وابن عمه على الايمان به :

(١) الناموس : الوحي ، أو « جبريل » عليه السلام .

وحاضنته أم أيمن ، وعتيقه زيد بن حارثة ، وصديقه قبل النبوة أبو بكر بن أبي قحافة .

من أسلم بدعوة
أبي بكر :
من السابقين
الأولين :

وقد أسلم بدعوة أبي بكر جماعة ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص . ومن السابقين الأولين : الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، كانوا يجتمعون في داره ، ليرشداهم الرسول ، ويفقههم في الدين .

الجهر بالدعوة

وفي السنة الثالثة من النبوة نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر (١) » ، وأعرض عن المشركين فجهر الرسول بالدعوة ، وصدع بالحق (٢) .

جهر الرسول
بالدعوة :

وفاة السيدة خديجة

وفي رمضان في السنة العاشرة من النبوة ماتت زوجته خديجة رضي الله عنها ، بعد أن عاشت معه خمسا وعشرين سنة ، وولدت له ستة أولاد .

وفاة خديجة :

القاسم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وعبد الله . وهو الملقب بالطيب والظاهر .

أولاده :

أما إبراهيم فأمه مارية ، وهى التى أهداها حاكم مصر للنبي صلى الله عليه وسلم .

سودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر

ثم تزوج الرسول بعد سودة بنت زمعة ، وعقد على عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، ولم يتزوج بكرا غيرها .

سودة بنت زمعه :

الأسراء والمعراج

الأسراء :

المأثور عن الرواة الثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شق صدره الشريف ، وركب البراق وهو دابة دون البغل

(١) فاصدع بما تؤمر : اصدع بالأمر . أى أظهر دينك .
(٢) صدع بالحق : تكلم به جهارا .

وفوق الحمار ، أبيض ، وأسرى به ليلا يقظة من المسجد الحرام وهو مسجد مكة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس وقد ناهز الثانية والخمسين ، وفيه استقبله ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى كلمة الله في نفر من الأنبياء والمرسلين ، مرحبين به ، محتفين ، فصلى بهم ، وعند خروجه لقي من الحفاوة والتكريم ما لقي عند مقدمه .

المعراج :

ثم أتى بالمعراج وهو كما قال ابن الأثير : شبه السلم ، فأصعده فيه جبريل الأمين عليه السلام حتى انتهى به الى السماء السابعة ، ثم الى سدرة المنتهى ، فرأى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، ولمس من الرعاية الالهية به وبدعوته الناجحة ما لمس ، وقد أراه المولى جل وعلا من الملكوت العظيم ، وعجائب الصنع ، والفيض الربانى ما ملأ فؤاده نورا ، وصدره انشراحا ، ونفسه طمانينة .

فرض الصلاة :

وفرض الله عليه وعلى أمته خمس صلوات من أداهن ايمانا واحتسابا كان له أجر خمسين صلاة .

الرسول يحدث قومه بما رأى :

ثم رجع فى ليلته الى مكة ، وأصبح يحدث قومه بما رأى ، فصاروا بين مصفق استهزاء ، وواضع يده على رأسه تعجبا ، وارتد من المسلمين من ضعف ايمانهم ، وصدق أبو بكر ومن ثبت الله على الايمان قلوبهم .

يصف بيت المقدس :

واخذ الكفار يمتحنون رسول الله بنعت بيت المقدس ولم يكن رآه قبل ذلك ، فجلاه الله له ، فجعل ينظر اليه ، ويصفه كما هو .

الكفار يسألونه عن غير لهم :

ثم سألوه عن غير لهم فى الطريق فأخبرهم بها ، وبساعة مقدمها ، فكان كما قال ، وأنزل الله : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » .

رأى جمهور العلماء فى الاسراء والمعراج :

يرى جمهور العلماء أن الاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة .

وانهما كانا في اليقظة ، بجسده وروحه ، مستندين الى ما توارد على ذلك من الأخبار المتكاثرة ، والأحاديث الصحيحة .

رأى بعض العلماء :

ويرى بعض العلماء أن الاسراء والمعراج كانا بروحه ، ويروون في هذا عن السيدة عائشة أنها قالت : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن أسرى بروحه « ، وهو حديث قد ثبت ضعفه ، ويرده ما اتفق عليه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين بعائشة إلا بعد الهجرة ، وقد كان الاسراء والمعراج قبلها ، كما يروون عن معاوية مثل ذلك . وهو غير صحيح أيضا ، لأنه حين الاسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد — ويستدل هؤلاء بالآية الكريمة : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن » . وقالوا ان الآية تشير الى الاسراء والمعراج ، وان الرؤيا انما تطلق على المنامية . لا البصرية .

رد ابن عباس :

وقد رد ابن عباس ، رضى الله عنه هذا الاستدلال بقوله : « هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم » رواه « البخارى » في صحيحه ، و « الترمذى » و « النسائى » في سننهما — و « رؤيا العين » في رأى ابن عباس جميع ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من العجائب السماوية ، والأرضية .

والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية .

رأى بعض المفسرين :

على أن بعض المفسرين يرى أن الآية نزلت عام « الحديبية » بسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أنه دخل « المسجد الحرام » ، وعلى ذلك فليست الآية دليلا لهم ، والرأى الأول هو الصحيح ،

متى كان الاسراء والمعراج ؟ :

قيل : ان الاسراء والمعراج كانا قبل الهجرة بسنة ، وقيل كانا قبلها بسنتين ، وقيل بثلاث . ويرى الأكثرون أنها في شهر ربيع الأول وقيل في شهر ربيع الآخر ، وقيل في رجب وهو المعروف بين الناس الآن .

الاسراء والمعراج معجزتان :

وهل المعجزة الا امور خارقة للعادة ؟ وما موقف المفكرين مما صنعه الانسان من صواريخ جبارة . وطائرات نفاثة تقطع آلاف الاميال في زمن قليل ؟ فاذا كانت هذه قدرة الانسان فما بالناس بقدرة خالق الانسان ؟ نقول هذا لتقريب « الاسراء والمعراج » الى ما هو مشاهد ملموس .

فما يزال « الاسراء والمعراج » آيتين ظاهرتين لحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هجرة الرسول تفيض روعة وجلالا

موقف قومه منه : لقد ناله من اذى قومه ، واضطهادهم له ، وتضييقهم عليه ما ناله ، فرأى أنهم يقفون منه موقف المعاندين العتاة .

هجر « مكة » : وقد لبث فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الله وحده ، كما رأى أنه ليس هنالك من سبيل لرفع الصوت بدعوته ، ونجاحها الا أن يهجر « مكة » الى حيث يؤدي رسالته حرا آمنا .

وفود العرب : فاغتنم فرصة وفود العرب الى « موسم الحج » واجتمع بطائفة من أهل « يثرب » بالعقبة « الاولى » فعرض عليهم دعوته ، فبايعوه — وكانوا ستة رجال — على أن يراجعوا قومهم اذا رجعوا اليهم ، وكان القوم من قبيلتي « الأوس » و « الخزرج » ، وهم الذين سموا فيما بعد « بالأنصار » .

العقبة الثانية : وفي الموسم الثاني اجتمع الرسول باليثريين بالعقبة أيضا الثانية وكانوا اثني عشر رجلا ، اثنان من الأوس ، وعشرة من الخزرج ، فشرح الله صدورهم للإسلام ، فأسلموا ، وكتبوا اسلامهم .

العقبة الثالثة : ثم عادوا ثالثة الى « العقبة » الثالثة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ، وامرأتين ، وقد أسلموا جميعا ، ورضوا بما شرطه النبي — صلى الله عليه وسلم — من توحيد الله وطاعة الرسول .

ما شرطه الرسول عليهم : وقول الحق وترك المحرمات ، واحترام المرأة ، وعدم وأدها .

صمم النبي في الهجرة : ورجعوا الى المدينة فرحين بالإسلام مبشرين قومهم به ، وبمقدم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ، وبمقامه بين ظهرانهم .

ورجع الرسول الى « مكة » مصمما في الهجرة ، واستأذن ربه فيها ، فأذن له .

وقد بلغ « قريشا » عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ،
فأعدوا العدة لصدده عنها .

دار الندوة :

واجتمعوا في « دار الندوة » لذلك ، وطرحوا الآراء ، حتى قال
الحكيم بن هشام المعروف بأبى جهل : الرأي أن تأخذوا من كل
قبيلة شابا ، جلدا ، حسييا في قومه ، نسييا ، ثم يعطى كل منهم
سيفا صارما ، ثم يغدوا عليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه
فمنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على
حرب قومهم جميعا ، فيرضون فيه بالدية .

يضربونه ضربة رجل
واحد ، فيقتلونه :

أصوات : مرحى ، مرحى .

والرسول جاد في اعداد وسائل الهجرة ، وتهيئة أمرها .

الرسول جاد في
اعداد وسائل
الهجرة :

فكانت الهجرة ، وكان التشريع والتأديب ، وكانت الحروب ،
وكان النصر والفتح المبين .

وقد أوصى على بن أبى طالب أن يبيت على فراشه .

ثم خرج من بينهم — وقد غلبهم النعاس — فلم يشعروا بخروجه
ولا بالتراب عفر به رعوسهم ، وهو يقول : « وجعلنا من بين أيديهم
سدا ، ومن خلفهم سدا ، فأغشيناهم » فهم لا يبصرون .

خروج الرسول من
بينهم :

وخرج معه صاحبه أبو بكر والتفت الى « مكة » مودعا .

ثاني اثنين في
الفار :

وقال : « ما أطيبك من بلد ! وما أحبك الى ! ولولا أن قومك
أخرجوني ما خرجت » . ثم سارا حتى دخلا غارثور يعانيان آلام
القروح .

غار ثور :

غارثور

انى لأذكر ساعة الهجود قبيل الفجر ، ومحمد وصاحبه أبى بكر
يسريان متجهين الى أقرب مخرج من مخارج « مكة » نحو الجنوب ،
لا يحس مسراهما أحد ، فلست تسمع بمكة ركزا ، وقد صارا بمنجاة
من العيون حتى بلغا أسفل ثور ، فاندفعا اليه ، يصعدانه ، وما كانا
ليتخوفا مشقة التصعيد ، أو عنته وهما من أبناء الجبال .

ساعة الهجود :

لست تسمع بمكة
ركزا :

تلك صورة الايمان العميق ، يفر من العدوان الأثيم ، انهما يفران
بإيمانهما بالله الى الله ممن يأتهمون بمحمد ليقتلوه .

صورة الايمان
العميق :

صورة غاية في سمو الروح ، والاستهانة بالحياة ، ومتاعها ولما
بلغا الغار ، استبرا أبو بكر المكان مما حوله ، ثم استبرا الغار .

صورة روحية :
استبرا « أبو بكر »
المكان مما حوله :

وصليا شاكرين لله ، واحتفيا بالغار ليستريحا ، قد محت ظلمته
آية الزمن ، ومحمد متوجه الى ربه بقلبه ، مطمئن اليه ، واثق
بنصره ، وصاحبه مطمئن بطمأنينته ، وقريش حائرة ، ثائرة ،
باذلة للعثور به ، وعبد الله بن أبي بكر يقص على محمد وعلى أبيه
مارأى ، وما سمع اذا جن الليل ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر
ينطلق بأغنامة ، فينالان من ألبانها ولحومها طعام يومهما ، وأسماء
تحمل الزاد .

محمد وصاحبه :
قريش :
عبد الله بن أبي
بكر :
عامر بن فهيرة :

وفي سكون هذه الوحشة مزق أبو بكر رداءه ، ليتخذوا منه
ضمادات لجراحات قدم الرسول الذي توسد فخذه بعد « تلبيته
لرغبته » .

اتخذ « أبو بكر
من رداءه ضمادات
لجراحات قدم
الرسول » :

وأخذ أبو بكر يجالذ آلام لدغة أصابت عقبه ، ويقاوم حتى لا يقطع
على الرسول نومه .

ولما استيقظ سأل صاحبه عن ثوبه فأنبأه ، فمسح رسول الله
بلعابه على عقبه وساقه ، فسكتت آلامه ، وعادت قدمه الى حالتها
الأولى ، ثم قال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة .

مسح رسول الله
على عقب « أبي
بكر » و « ساقه » !

وسمع أبو بكر وقع أقدام على مقربة من الغار ، فنظر الى رسول
الله ثم التصق به ، وبكى ، فقال له الرسول : « مايبكيك يا أبا بكر » ؟
قال : « أخشى أن أرى فيك ما أكره يا رسول الله » ، فقال محمد :
« والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة ميفضك ولو كان عمله عمل
سبعين نبيا » .

وقع اقدم على
مقربة من الغار :

ثم استحالت مسام أبي بكر آذانا مرهفة ، ونضح جسمه بالعرق
الغزير ، وأيقن أن الموت جائم على باب الغار ، ودق قلبه دقات
عنيفة حين وثب أمام الغار — أمية بن أبي معيط — وتبعه آخرون .

خوف « أبي بكر » :
« أمية بن أبي
معيط وآخرون » :

ولكن أمية رأى شجرة قد امتدت جذورها بين الصخور
واستطالت غصونها حتى سدت « باب الغار » ، وشاهد عنكبوتا
نسج خيوطه بين الأغصان ، وأبصر « حمامة » وحشية قد وضعت
بيضا أو شك أن يتمخض عن صفار الحمام ، فعاد ، وعاد من
معه خاسرين .

على باب « الغار »
شجرة :
وعنكبوت :
وحمامة وحشية :

فكبر أبو بكر ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : والله يا رسول
الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فقال له الرسول :
لا تحزن إن الله معنا ، فإرد أبو بكر : ما كان حزني الا عليك يا رسول
الله ، فما أنا لو قتلت الأفرد ، أما أنت فأمة كاملة ، فيهدىء الرسول
من روعه قائلا : ما ظنك باثنين الله ثالثهما !

كبر « أبو بكر »
وحمد الله وأثنى
عليه !

وفي مكة كان عكرمة بن أبي جهل خائر القوى ، مبهور الأنفاس
يسر الى أبي سفيان ما كان من جرأة على بن أبي طالب وخدعته .

« عكرمة » بن « أبي
جهل » وأبو سفيان :
على بن أبي طالب :

اذ بات على فراش محمد وما كان من ضربه الضرب الموجه، ووضع
في الحديد ، وجبسه في المسجد .

تناقلت الشفاه هذه الانباء الى كل مكان ، ثم سمع الصحابان
الجلبة التي سمعاها من قبل ، فعرفا أنه الحديث بين عبد الله
ابن أبي بكر وأخته أسماء ، ومعهما عامر بن فهيرة وعبد الله
ابن أريقط . وكاد الليل أن ينتصف .

سمع الصحابان
الجلبة التي
سمعاها من قبل :
حملة الزاد
والاخبار :

فهب الرسول واقفا ، فعرفوا أنها ساعة الرحيل ، وقد لبثا
في الغار ثلاثا .

لبث الصحابان في
الغار ثلاث ليال :

وسار الصحابان عن طريق الساحل ، تضليلا لقريش ، ومعهما
عامر بن فهيرة مولى أبي بكر و عبد الله بن أريقط دليل الطريق .

دليل الطريق :

وقد لقيا في طريقهما الى المدينة ما له في نفوس سامعيه روعة
تبعث الذكريات الدينية ، وتنبه فيها الشعور بخطورة الهجرة ،
وعظم شأنها ، وجلال أثرها .

الذكريات الدينية :

ففى طريقهم أشرف رسول الله وصحبه على أم معبد ، فوزع
فكرها ، وذهل لبها بمهابة ذلك السيد الذي نزل بها ، وتركها
في دهشة من أمره الى المدينة المنورة .

أم معبد :

وبعد هنيهة قدم عليها زوجها ، فرآها مضطربة ، ورأى في نواحي
الخيمة آثار طعام ، وشراب ، فسألها عما رأى ، فأنبأته نبأ
القوم ، وأن أحدهم قام الى هذه النعجة العجفاء التي جف ضرعها
فحلبها ، فدرت لبنا غزيرا .

النعجة العجفاء :

فقال : يا أم معبد ، صفى هذا الرجل العظيم ، فقالت :
انه ظاهر الوضأة ، مليح الوجه ، حسن الخلق لم تبعه ثجلة (١) ،
ولم تزر به صعلة (٢) في عينيه دمع (٣) ، وفي أشفاره وطف (٤) .
أحور (٥) ، أكحل (٦) ، أزج (٧) .

« أم معبد » تصف
الرسول :

-
- (١) الثجلة : كبر البطن .
 - (٢) الصعلة : صغر الرأس .
 - (٣) الدمع : سواد العين مع سعتها .
 - (٤) الوطف : طول الأهداب .
 - (٥) أحور : الحور شدة بياض العين في شدة سوادها .
 - (٦) أكحل : رجل أكحل : بين الكحل ، وهو الذي يملو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتمال .
 - (٧) أزج : دقيق الحاجبين ، طويلهما .

أقرن (١) ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سبط (٢) ، وفي لحيته كثائة (٣) .

إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما ، وعلاه البهاء ، كأن : عليه الوقار :
منطقه خرزات نظمن ، ثم تحدثن ، حلو المنطق ، لا نزر (٤) ، : حلو المنطق :
ولا هذر (٥) ، أجهر الناس إذا تكلم ، وأجلهم من بعيد ، وأحلاهم ، : ريمة :
وأحسنهم من قريب ، ريمة (٦) لا تشنؤه (٧) العين من طول ولا تقتحمه (٨) من قصر ، غصن بين غصنين ، له رفقاء يحفون (٩) به ، إذا قال يستمعون لقوله ، وإذا أمر يتبادرون لأمره ، محفود (١٠) محشود (١١) لا هو عابس ، ولا مفند (١٢) . فلما سمع هذا الوصف : غمرته الدهشة :
قال - وقد غمرته الدهشة : ويحك يا أم معبد ، هذا هو صاحب : صاحب قريش :
قريش ، وهم ما زالوا يطلبونه ، وقد بذلوا جعلا لمن يرده إليهم : الجعل :

ثم تركها ، وأخذ يسرع في أثر الركب حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، ورجع إلى قبيلته يبشرهم بالاسلام . اسلام زوج أم معبد :

تقول أم معبد : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أقرن أى مقرون الحاجبين » .

وقد وصفه الصحابة بأنه كان أفرق أى مفروق الحاجبين ، وهو الصواب .

وأرى أن النسخ هم الذين حرفوا الكلمة ، وما أسهل وقوع التحريف بين أقرن وأفرق !

وقد تألفت المدينة ، وتأرجت ، وأخذ أهلها يفدون ، ويرحون ، حتى طلع عليهم الرسول الأجليل ، فاستقبلته جموع المسلمين ، وفى مقدمتهم أساطين الصحابة فى عدتهم وسلاحهم هاتفين ، مكبرين ، وعمر يقول : « ادخلوها بسلام آمنين » . اهل المدينة يستقبلون الرسول

ونزل ركب رسول الله بقاء لدى كلثوم بن هدم سيد بنى عمرو نزول الركب بقاء،

-
- (١) أقرن : مقرون الحاجبين .
 - (٢) فى عنقه سبط : طول .
 - (٣) فى لحيته كثائة : كثافة .
 - (٤) لا نزر : لا قليل الكلام .
 - (٥) ولا هذر : لا كثير الكلام .
 - (٦) ريمة : مربوع الخلق ، لا طويل ، ولا قصير .
 - (٧) لا تشنؤه العين : لا تكرهه . ولا تنفر منه .
 - (٨) لا تقتحمه : تحتقره .
 - (٩) يحفون به : يبالغون فى اكرامه ، واطهار الفرح به .
 - (١٠) محفود : المحفود : الذى يسارع الناس الى خدمته .
 - (١١) المحشود : الذى يحشد الناس حوله لاستماع كلامه .
 - (١٢) المفند : الذى يكثر لوم جلسائه .

ابن عوف ، فبنى مسجد قباء ، فنزلت فيه آية : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » . وبناء المسجد :

ثم ركب الرسول ناقته الى المدينة تسبح في أمواج من الخلائق : أمواج الخلائق :
قد أخذ منهم الفرح بمقدم النبي العظيم مأخذه ، وسيوفهم مشرعة بين مثار النقع كأنها نجوم متألثة في ظلام الليل ، يرددون .

الله أكبر هذا سيد العرب الله أكبر أوصانا بخير نبي
الله أكبر يابن مطلب خير الجدود وأعلاها ذرا نسب
وربات الخدور كالزهار في الشرفات يضربن بالدفوف ، ويغنين نشيد الهجرة :

طلع البدر علينا من ثييات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع
وترامى الرجال على ناقة النبي يتجاذبون زمامها ، ونادى الغلمان في طرقات المدينة : جاء محمد رسول الله ، الله أكبر ، جاء محمد رسول الله . الرجال يتجاذبون زمام الناقة :

ينوهون بقدره العظيم ، كل يرجو ، ويضرع الى النبي أن ينزل ضيفا عليه ، والناقة آخذة طريقها بين مظاهر الفرح ، والسرور ، ورسول الله مشرق البسمة ، يقول « خلوا سبيلها فاتها مأمرة » ، حتى بركت أمام دار أبي أيوب النجاري ، وحنث حنينا طويلا . الناقة آخذة طريقها بركت أمام دار « أبي أيوب » النجاري :

فنزل النبي عنها ، ودخل الدار ، وهو يقول : « رب أنزلى منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين » . الجويريات يغنين :

وأخذت جويريات من داخل البيت يغنين :

نحن جوارى بنى النجار يا حبذا محمد من جـار
ممنع بالليل والنهار بربه من عصبة الفجار
وبالسيف في يد الانتصار مصلحة تطيح بالأعمار
أنس خادم النبي : أنس خادم النبي :

يقول أنس خادم النبي : « اننى لم أر يوما في عمرى أحسن ، ولا أضوا من ذلك اليوم الذى دخل فيه النبي — المدينة — ونزل دار أبي أيوب » . يوم الهجرة : عمر بن الخطاب :

وان يوم الهجرة لهو أجمل أيام محمد ، لانه أدل على رسالته ، وهو يوم التقويم الذى اختاره الخليفة الملهم الفؤاد عمر بن الخطاب ،

وهو ابتداء التاريخ في الاسلام ، وليس هنالك يوم أحق بالتاريخ من ذلك اليوم الذي هجر فيه الرسول مسقط رأسه : « اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذهبا في الفار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه » وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » .

هجر فيه الرسول
مسقط رأسه :

جلس الصحابة على هيئة دائرة منتظمة فرحين ، مبتهجين ، واخذوا يتجادبون أطراف الحديث .

الصحابة يتحدثون :

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر به الحال في يثرب أرسل كتابا ، وخمرا (١) ، وبعيرين ، وخمسمائة درهم ، مع زيد بن حارثة ، وأبى رافع الى علي بن أبي طالب لاحضار الفواطم ، وهن : فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمة بنت حمزة ، وفاطمة بنت عتبة ، وفاطمة أم علي ومعهن سائر آل بيت محمد ، وأبى بكر .

رسول الله تستقر
به الحال في
« يثرب » :
أرسل الى « علي
ابن أبي طالب » :
الفواطم :

وبعد قليل كان علي بن أبي طالب أمام عبد الله بن أريقط دليل النبي ، وزيد بن حارثة خادمه ، فاحتضنها معا ، ودار بينهما حديث حبيب الى نفس علي ، ثم أعدوا العدة للسفر .

«علي بن أبي طالب»
أمام « عبد الله بن
أريقط وزيد بن
حارثة » :

وفي صباح اليوم العاشر من شهر ربيع الأول وصل علي ومن معه الى المدينة ، فسارع الرسول الى لقائه ، وأخذ يقبل منه كل ما تصل اليه شفته ، وعلى قد ألقى بنفسه بين أحضانه .

علي بن أبي طالب
ومن معه في المدينة :

وجعل الرسول يجفف دمه « ويضمّد جراحاته ، ويمسح عليها بريقه ، ثم ذلك ساقيه بيديه الكريمتين ، وهو يقول : « في سبيل الله ، ثم في سبيل رسوله » .

الرسول يخفف من
آلامه :

علي بن أبي طالب يتزوج فاطمة الزهراء

وبعد زهاء عامين زفت فاطمة الزهراء — وقد ناهزت الخامسة عشرة تزيّنها القسامة : مشرقة الوجه ، وطفاء الأهداب ، دعباء العين ، هيفاء العود — الى ابن أبي طالب كرم الله وجهه — وقد بلغ الثانية والعشرين — وهو ذلك الفتى المجدول العضل ، الفاره الطول ، الشديد المراس ، أكثر الصحابة علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما — في موكب قد ازدان بالجمال والجلال ، وباركها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

علي بن أبي طالب
 وفاطمة الزهراء :

فاطمة الزهراء :
علي بن أبي طالب :

(١) خمرا ! جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

أثر هجرة الرسول في ظهور أمره

ان الهجرة لأشد الأحداث تأثيرا في ظهور أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونقل دعوته من طور القول ، والعرض الى طور العمل ، والتنفيذ .

نقل الدعوة من طور القول الى طور العمل :

فبعد عشر سنوات استحال الضعف - قوة - ، والقلّة - كثرة لا يحصيها عد .

فلقد انتشر الاسلام في المدينة ، وأقبل عليه العرب زرافات ، ووحدانا راغبين .

انتشار الاسلام في المدينة :

قوة شوكة الاسلام

قويت شوكة الاسلام ، وامتشق السيوف محمد وأصحابه وقد باعوا أنفسهم في سبيله .

باع محمد وأصحابه أنفسهم في سبيل الاسلام :

لبثوا عشر سنين في حرب جهاد ، لم يستريحوا لحظة ، وهو يقودهم من نصر الى نصر .

وقد كان يقف وسط المعركة غير هباب ، ولا خشيان ، وكثيرا ما لاذ به أصحابه ، وبذلك استطاع أن ينشر دينه بين أبناء الصحراء .

غير هباب ولا خشيان :
نشر دينه بين أبناء الصحراء :

« بدر »

أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار — بعد أن استقر أمر المهاجرين بالمدينة — فأصبحوا بنعمة الله اخوانا متآلفين ، متعاونين يفكرون في نشر دينهم .

المواخاة بين المهاجرين والأنصار :

بيد أن المهاجرين يهيمنون بوطنهم مكة الذي جلوا عنه مضطرين مضطهدين .

فصمموا في التعرض لتجارة قريش ، ليشعروهم بقوتهم وبأسهم ، فيخافوا على تجارتهم أن تبور ، فيدفعهم ذلك الى حسن التفاهم ، فيصفو ما بينهم ، ويزول ، وبهذا يستطيع المسلمون أن ينشروا دينهم ، ويدعوا الى عقيدتهم .

التعرض لتجارة « قريش » :

في العام الثاني من الهجرة أرسل (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش مع جماعة من الهاجرين ، وأعطاه كتابا

إرسال رسول الله عبد الله بن جحش وجماعات من المهاجرين معه كتاب :

(١) هذه سرية « عبد الله بن جحش » .

لا ينظر فيه الا بعد يومين من منسيره ، فيمضى ، لما أمره الله به ■
ولا يستكره أحدا من أصحابه .

اندفع عبد الله في سبيله ، طوعا لإشارة رسول الله ، ثقة ،
واطمننا ، ثم فتح الكتاب بعد أن سار يومين ، فإذا فيه : ■ إذا
نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة موضع بين مكة
والطائف — فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم .

عبد الله يقرأ
الكتاب :

فقال لأصحابه : « أمرني رسول الله أن أمضي الى نخلة أرصد
بها قريشا حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره منكم أحدا ،
فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره
ذلك فليرجع ، فأما أنا فإمض لأمر رسول الله » ، فاستجابوا لهذا
الغرض الأسمى ، تدفعهم عناية الله ، وتحذوهم الثقة به وبرسوله .

نهاني الرسول أن
أستكره منكم أحدا
أنا ماض لأمر
رسول الله :

ولكن اثنين منهم تخلفا في طلب بعير ضل منهما كانا يتعقبانه (١)
فأسرتهما قريش .

تخلف اثنان منهم :

ومضى عبد الله وسائر أصحابه حتى نزلوا بنخلة ، وشاهدوا
عيرا (٢) لقريش تحمل تجارة لهم ، ففزعوا ، ودهشوا لتلك المفاجأة
فقال قتائل من أصحاب عبد الله : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة
ليدخلن المسجد الحرام فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهن لقتلنهم
في الشهر الحرام ولكنهم بعد ترددهم وهيبتهم أقدموا على الاشتباك
معهن .

نزل عبد الله
وأصحابه بنخلة :

ولما التقى الفريقان رمى واقد بن عبد التميمي — عمرو بن
الحضرمي — بسهم فقتله ، وأسر عثمان بن عبد الله والحكم
ابن كيسان ، وخلص للمسلمين ما حمل قريش ، من مال ،
وما جمعوا من تجارة .

التقاء الفريقين :

قدوم عبد الله بن جحش وأصحابه

قدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالخير وبالأسيرين على رسول
الله في المدينة ، فلما علم أن الفريقين قد التقيا ، وانتصر المسلمون
قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » ، وأبى أن يأخذ شيئا
حتى يقضى الله في العير والأسيرين بحكم ، وعنفهم أخوانهم من
المسلمين ، واشتد ندمهم ، وغارت (٣) فائرة قريش ، وقالوا : قد
استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ،
وأخذوا الأموال ، وأسروا الرجال .

ما أمرتكم بقتال في
الشهر الحرام :
عنفهم أخوانهم من
المسلمين :

(١) يتعقبانه : يركبانه ، واحدا بعد الآخر .

(٢) العير : الإبل التي كانت تحمل التجارة .

(٣) غارت فائرة « قريش » : ثاروا .

فأظل الله هؤلاء المجاهدين برعايته ■ وأنزل على رسوله :
« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصدد
عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام ، وأخرج أهله منه أكبر
عند الله ، والفتنة أكبر من القتل » ■ فسرى عن المجاهدين ،
وانقشعت سحب الحزن عنهم ، وأخذ الرسول العير والأسيرين ■

أظل الله هؤلاء
المجاهدين برعايته :

سرى عن
المجاهدين ■

ثم أرسلت قريش إلى رسول الله تطلب منه فداء أسيرها ،
ولكنه قال : لا فداء حتى يقدم صاحبانا ، فانا نخشاكم عليها ■
فان تقتلوهما نقتل صاحبكم ■ فردوا إليه أسيريه ، وأنجز للمسلمين
وعده ، اذ أيدهم بنصره ، فلما ذهب عن عبد الله بن جحش ■
وأصحابه الروح ، والغم تطلعو إلى الثواب ، فقالوا : « يا رسول
الله ، انطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فانزل
الله قوله : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم » ■

■ قريش تطلب
فداء أسيرها
أيد الله المسلمين
بنصره :
عبد الله بن جحش
وأصحابه يتطلعون
إلى الثواب ■

كانت هذه أول دعامة استقر بها نظام الاسلام ، فقد أجيب
فيها المشركون على قولهم عن القتال في الشهر الحرام بأنه كبير ■
ولكن هناك ما هو أكبر منه ، وهو الصدد عن سبيل الله ، ورد
المسلمين عن دينهم بالوعد والوعيد ■ والتخويف ، والتهديد ، والكفر
بالله ، وأخراج أهل المسجد الحرام منه ، وهو الذي ارتكبه
المشركون ، لهذا شرع بعد قتال من يصدون عن سبيل الله ■

أول دعامة استقر
بها نظام الاسلام :

شرع قتال من
يصدون عن سبيل
الله :

شعور « قريش » بالحط من كرامتها

شعرت قريش أن قتل ابنائها وأسر رجالها ، وأخذ أموالها قد
حط من كرامتها ، ونال من بأسها ، وقوتها ، فحاولوا أن يثيروا
شبه الجزيرة على محمد وأصحابه أن قاتلوا في الشهر الحرام ،
ولما يئس المسلمون من مصانعتهم والاتفاق معهم نذبهم الرسول
إلى غير لقريش أقبل بها أبو سفيان بن حرب من الشام ■ وقال لهم
هذه غير لقريش ، فأخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها (١) ، فخفف
بعضهم ، وثقل بعضهم ، لأنهم لم يظنوا أن رسول الله محارب ■

الحط من كرامة
« قريش » :

نذب رسول الله
المسلمين إلى « غير »
لقريش ■

أما أبو سفيان ، فقد أصاب خبرا من بعض الركبان : أن محمدا
قد استنفر (٢) أصحابه لك ولعيرك ، وكان يتحسس الأخبار ، حرصا
على تجارته ، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ■ ليستنفر
قريشا إلى أموالهم ، وينبئهم أن محمدا قد عرض له في أصحابه .

أبو سفيان :

ضمضم بن عمرو
الغفاري :

(١) أنفله إياه : أعطاه نفلا ■ وغنيا .
(٢) استنفر أصحابه : طلب منهم النصرة .

العباس بن عبد المطلب ■ والوليد بن عتبة

قال العباس بن عبد المطلب — وقد لقي الوليد بن عتبة بمكة — أن عاتكة قد رأت رؤيا أفزعته ، ولما قصتها تخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، قال الوليد : وماذا رأت ؟ قال : رأت راكبا أقبل على بعيرك حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا بالغدر (١) لمصارعكم في ثلاث ! ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه ، فبيناهم حوله مثل (٢) به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ : « ألا انفروا بالغدر في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس (٣) ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل (٤) ترفضت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلها منها فلقمة (٥) » ها هي ذى رؤياها ، فأنتم منى ما أحدثك به .

العباس بن عبد المطلب :
والوليد بن عتبة :
عاتكة :
وقف بالأبطح :
دخل المسجد :
مثل به بعيره :

هذه رؤياها :

وحدث الوليد أباه بها ، ففشا أمرها ، وأصبحت حديث قريش في أنديتها .

حدث « الوليد »
أباه بها :

ويتحدث رهط من قريش وفيهم أبو جهل برؤيا عاتكة أخت العباس — وكان يطوف بالبيت — فلما رآه أبو جهل قال : « يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا » .

أبو جهل :

فلما فرغ جلس معهم ، فقال له : « يا بنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ » قال العباس : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأتها عاتكة ، قال : ما رأت ؟ قال : أبو جهل : يا بنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم ، قد زعمت عاتكة في رؤياها أن راكبا قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول ، والا كنتم أكذب أهل بيت العرب .

متى حدثت فيكم هذه النبوة ■
عاتكة :

فأنكر العباس أن تكون قد رأت شيئا ، ثم افترقوا .

أنكر « العباس » :

ولما أقبل المساء لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتت العباس وصحن به ، فقلن له : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رحابكم ، ثم قد تناول نساءكم ، وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيره لشيء مما سمعت ، قال العباس : قد — والله — فعلت ، ما كان منى إليه من كبير ، وإيم الحق لأعرض له ■ فإن عاد لأكفيته .

لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب ■
إلا أتت « العباس » :
وإيم الحق لأعرض له :

(١) غدر : إذا نقض العهد ، ويقال : رجل غادر وغدر ، وأكثرها يستعمل هذا النداء في الشتم ، يقال : يا غدر ■ ويقال في الجمع : يا لغدر .
(٢) مثل به بعيره : قام منتصبا .
(٣) أبو قبيس : جبل بمكة .
(٤) ترفضت : تكسرت .
(٥) فلقمة : كسرة .

وفي اليوم الثالث من رؤيا عاتكة غدا الى المسجد حديثا (١) ،
مغضبا ، فمشى نحون أبي جهل يعترض له ، ليعود لبعض ما قال ،
فيقع به ، ولكن أبا جهل اتجه نحو باب المسجد ، فحسبه قد فرق (٢)
منه ، وكان قد سمع صوتا لم يسمعه من قبل ، وصدى لم يعهده ،
فشغل به ، وخرج اليه .

■ العباس « يغدو
الى المسجد
مغضبا :

ضمضم بن عمرو الغفاري يصل الى مكة

وصل الى مكة — ضمضم بن عمرو الغفاري — رسول أبي
سفيان — وقد جدع أنف بعيره ، ووقف على راحلته ، وحول رحله ،
وشق قميصه من قبل ، ومن دبر ، وصاح : يا معشر قريش
اللطيمة اللطيمة (٣) ، أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد
في أصحابه ، ولا أرى أن تدركوها ، الغوث ، الغوث ، فاجتمع الناس
يجيلون قداح الرأي ، ثم تجهزوا سراعا ، ومن لم يستطع الخروج
بعث مكانه رجلا ، فلم يتخلف من أشرافها أحد الا أبا لهب فقد
أرسل مكانه من أستاذجره بأربعة آلاف درهم كانت دينا عليه .

■ ضمضم « وصل
الى مكة :
حول رحله ، وشق
قميصه :
الغوث « الغوث :
أبو لهب :

ولكنهم ذكروا ما وقع بينهم وبين كنانة من حروب ، فخشوا أن
تأتيهم من خلفهم فكادوا يقتعدون ، ولا يخرجون ، فطأئهم سراقه
ابن مالك من أشراف كنانة وقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة
من خافكم بشيء تكرهون ، فخرجوا ولم يبق بمكة متخاف يستطيع
القتال .

كناة :
لم يبق بمكة متخلف
يستطيع القتال :

خروج محمد من المدينة وأمامه رايتان سوداوان

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أمامه على
ابن أبي طالب ، والأَنْصار ، يحمل كل راية سوداء ، وأصحابه
يتعاقبون (٤) في الأبل ، وواصلوا السير ، والسرى حتى قربوا من
الصفراء (٥) ، فبعث الرسول من يتحسس أخبار أبي سفيان ، ونزل
بذفران (٦) فأخبرته العيون : ان قريشا قد سارت الى أبي سفيان ،
ليمنعوا عيره .

رسول الله يخرج
من المدينة مع
أصحابه :
يتحسس أخبار أبي
سفيان :

تغير وجه الأمر ، وصار رسول الله أمام عدو لابد أن يلتحم معه
في قتال (وهذه هي بدر الكبرى) ، فاستشثار أصحابه ، فقام

تغير وجه الأمر :

(١) رجل حديد : ذو حدة في الذم ، والغضب ، واللسن .

(٢) فرق : خاف .

(٣) اللطيمة : المال والتجارة .

(٤) يتعاقبون في الأبل : يختلفون عليها ، أي يركبونها واحدا بعد واحد .

(٥) الصفراء : قرية بين جبليين .

(٦) ذفران : واد قرب الصفراء .

المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك (١) الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبى خيرا ، ودعا له .

المقداد بن عمرو :

أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون :

ثم قال : أشيروا على أيها الناس — وانما يريد الانصار — فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل . قال : « قد آمننا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا ، وموآثيقنا على السمع والطاعة » فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا فى الحرب ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا ، واستمد العون والتوفيق من الله .

أشيروا على :

سعد بن معاذ : شهدنا أن ما جئت به هو الحق :

ما تخلف منا رجل واحد :

استمد العون والتوفيق من الله :

فأشرق وجه الرسول ، ثم قال : « سيروا ، وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى (٢) الطائفتين ، والله لكأنى انظر الى مصارع القوم » .

أحدى الطائفتين :

وارتحلوا حتى نزلوا قريبا من « بدر »

وأرسل النبى بعض أصحابه الى ماء بدر (٣) يتحسسون أخبارهم ، فأتوا برجلين يستقيان لقريش ، وسألوهما : الى أين يذهبان ، وإلى أى قبيلة ينتسبان ؟ وأى غرض يقصدان ؟ فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نستقيهم من الماء ، فظنوا أنهما لم يصدقاهم ، فأوسعوهما ضربا فقتل الرجلان : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما .

ماء بدر :

نحن سقاة قريش :

فلما رأى النبى ذلك قال : اذا صدقاكم ضربتموهما ، وان كذباكم تركتموهما صدقا ، والله أنهما لقريش ، ثم التفت اليهما يقول : أخبرائى عن قريش ، قالا : « هم والله وراء هذا الكتيب الذى ترى بالعدوة (٤) القصوى » .

النبى صلى الله عليه وسلم :

فقال رسول الله : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعما ،

النبى يسأل الرجلين :

(١) برك الغماد : موضع باليمن أو اقصى معبور الأرض .

(٢) إحدى الطائفتين : العير ، أو « قريش » .

(٣) بدر : ماء على ثمانية وعشرين فرسخا من « المدينة » فى طريق « مكة » . وقد نزلته « قريش » بالعدوة القصوى من الوادى « خلف » المعتقل ، والقليب ببدر : هو فى العدوة الدنيا .

(٤) العدوة : شط الوادى .

ويوما عشرا ، فقال الرسول لأصحابه : القوم فيما بين التسعمائة والألف ، ثم أقبل على الناس فقال : هذه مكة « قد أقت اليكم أفلاذ أكبادها » .

هذه مكة قد أقت اليكم أفلاذ أكبادها :

أبو سفيان غير وجهة سيره

غير أبو سفيان وجهة سيره ، وجانب الطريق بعيره ، وترك بدرا يسارا ، لأن عيونه انضت اليه بمكان أصحاب محمد ، وانطلق حتى أفلت منهم ، ثم أرسل الى قريش : أن ارجعوا ، فقد نجوت بالغير والرجال ، والأموال ، وقد خرجتم لتمنعوها » .

علم « أبي سفيان » بمكان أصحاب « محمد » :

فقال أبو جهل ، والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم ثلاثا ، فننحر الجزر ، ونطعم ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، ويمسرتنا ، وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا » .

أبو جهل :

فعارض الأحنس بن شريق رايه . وقال لبني زهرة — وكان حليفا لهم : « يا بني زهرة قد نجت أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم ، وانما تفرقتم لتمنعوه وماله ، فارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة (١) ، لا ما يقول هذا » .

الأحنس بن شريق :
بنو زهرة :

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي .

« قريش » بالعدوة القصوى :

المسلمون قد عرفوا أن أبا سفيان فاتهم

وفي الصباح عرف المسلمون أن أبا سفيان قد فاتهم ، فأبدى بعضهم الرغبة في أن يعودوا الى المدينة ، ولا يلتوا من جاءوا من مكة لقتالهم ، فأنزل الله قوله : « واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير (٢) ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق (٣) الحق (٤) بكلماته ، ويقطع دابر (٥) الكافرين » ٧

« أبو سفيان » فاتهم المسلمين :
أبدى بعضهم الرغبة في العودة الى المدينة :

فأجمع المسلمون على أن يثبتوا للعدو في القتال ، وأسرعوا الى ماء بدر وبعث الله السماء (٦) . ونزل رسول الله بأدنى ماء من بدر .

أجمع المسلمون على أن يثبتوا للعدو في القتال :

- (١) الضيعة : العقار ، والأرض المفلة « وتجارة الرجل .
- (٢) غير ذات الشوكة : العمر ، والشوكة : كانت في النفر لعددهم « وعدتهم .
- (٣) يحق الحق : يثبت الحق .
- (٤) بكلماته : بكلماته الموحاة وهي كتابه .
- (٥) يقطع دابر الكافرين : الدابر هو الأصل ، وقطعه : استئصاله .
- (٦) السماء : المطر .

ولما استقر بهم المقام قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، رأيت هذا المنزل ، أمزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي ، والحرب ، والمكيدة ؟ قال النبي : بل هو الرأي والجهاد ، قال : يا رسول الله ، ليس هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فتنزله ، ثم نفور ما سواه من القلب (١) ، ثم نبني عليه حوضا ، فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله : لقد أشرت .

الحباب بن المنذر :

رسول الله :

لقد أشرت :

المسلمون نزلوا على أدنى ماء من القوم

فنزلوا على أدنى ماء من القوم ، ثم غورت القلب ، ثم بنى حوض وملئ ماء .

غورت القلب :

تقدم سعد بن معاذ قائلا : « الا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فالحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام — يا نبي الله — ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ، ويجاهدون معك » .

سعد بن معاذ :

من تخلف من المسلمين :

فأتى الرسول على سعد ، ودعا له بخير ، ثم بنى العريش للنبي حتى اذا لم يكن النصر له ولأصحابه استطاع اللحاق بأصحابه في يثرب ، يؤذن فيهم بدعوته ، وينشر دينه بين غيرهم من أبناء العرب .

ثناء الرسول على « سعد » :

رائد قريش

وبعثت قريش رائدا يقص عليهم أبناء المسلمين ، فعاد يصفهم بقوة الإيمان ، وصدق اليقين — على قلة عددهم الذي يبلغ زهاء الثلاثمائة ، فخاف بعض قريش أن يقتل المسلمون كثرتهم فتضيع بمكة مكانتهم .

قريش بعثت رائدا : قوة الإيمان، وصدق اليقين :

فقام عتبة بن ربيعة ، وقال : يا معشر قريش ، انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لأبزال الرجل ينظر في وجه رجل قتل ابن عمه ، أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجموا ، وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذي أردتم ، وان كان غير ذلك لم نتعرض لما تكرهون .

عتبة بن ربيعة :

خلوا بين محمد وسائر العرب :

(١) القلب : جمع « قلب » : البئر المعادية القديمة .

فاستشاط أبو جهل غيظا ، وذكر القوم بما بينهم وبين المسلمين
من عداوة ، فاعجل ذلك القتال ، والتقى الجمعان .

أبو جهل :
التقى الجمعان :

رسول الله يعدل صفوف أصحابه

وخرج رسول الله يعدل صفوف أصحابه ، ويشد على أيديهم ،
وينصح لهم ألا يحملوا عليهم حتى يأمرهم ، وقال لهم : « ان اكتنفكم
القوم فانضحوهم (١) عنكم بالنبل » ، وعاد الى العريش ، معه
أبو بكر وقد لجأ الى الله ، يستمد منه النصر ، ويستنجزه الوعد ،
ويضرع اليه قائلا : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها ، وفخرها (٢)
تجادل ، وتكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أن
تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، ومازال يدعو ربه بأسطايده ،
مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه ، وأخذ أبو بكر يرد رداءه على
منكبيه ، ويهيب به : « يا نبي الله ! بعض مناشدتك ربك ، فان
الله منجز لك ما وعدك من النصر . »

رسول الله يعدل
الصفوف :
العريش :
يستنجزه الوعد :

يدعو ربه :
أبو بكر :

وظل النبي صلى الله عليه وسلم يضرع الى الله حتى أخذته
سنة ، فرأى خلالها نصر الله ، فقد أوحى اليه : « يا أيها النبي
حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم
قوم لا يفقهون ٦٥ » .

أخذته سنة
يا أيها النبي حرض
المؤمنين على
القتال :
قوم لا يفقهون :

فخرج الى أصحابه يحرضهم على القتال ، فقال : « والذي نفس
محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا ، محتسبا ، مقبلا ،
غير مدبر الا أدخله الله الجنة » ، ثم أخذ حفنة من الحصباء ،
فرمى بها وجوه القوم ، وقال : « شأته الوجوه » ، ثم أمر أصحابه
فقال : « شدوا فازداد المسلمون قوة ، وصاحوا مهللين : أحد ، أحد »

أدخله الله الجنة :
شأته الوجوه :

وأمدهم الله بالملائكة يبشرونهم ، ويزداد بهم يقينهم ، وإيمانهم ،
ووقف النبي وسط المعركة ، يشد من أزرهم ، ويبشرهم بنصر
الله .

أمد الله المسلمين
بالملائكة :

كان لتحريض النبي لهم ، وإمداد الله بملائكته أقوى أثر في
نفوسهم ، فأكثرُوا في قريش القتل ، والسبى ورأى بلال — أمية
ابن خلف — فأقبل نحوه ، وقال : رأس الكفر أمية بن خلف ،
لأنجوت ان نجا ، وصرخ صرخة عالية ، وأقبل عليه بسيفه ، فأرداه
قتيلا .

تحريض النبي
وإمداد الله
بملائكته :
« بلال » و « أمية »
ابن خلف :

(١) انضحوهم بالنبل : ارموهم ، وأبعدوهم عنكم .
(٢) تحادك : تعاديك ، وتخالفك ، وتنازعك .

انجلاء المعركة

انجلاء معنائة : ثم انجلى المعركة عن انجلاء معنائة ، وجث هامدة ، وولت قريش الادبار كاسفة البال ، خاسرة .

وأمر رسول الله بالقتلى أن يطرحوا في القليب ، ثم قال : يا أهل القليب ، بئست العشرة كنتم لنبيكم ، كذبتُمونى ، وصددتُمونى ، وأخرجتمونى ، وآوانى الناس ، وقتلتُمونى ، ونصرنى الناس ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فانى وجدت ما وعدنى ربي حقا .

أصحاب الرسول : فقال له أصحابه : « يا رسول الله ، أنتادى قوما قد جيفوا (١) » ، فقال لهم : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى » .

أبو حذيفة بن عتبة : وبينما النبى فى حديثه اذا أبو حذيفة بن عتبة كئيب ، قد تغبر ، فقال : « يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبك شيء » : فقال : « لا ، والله يا رسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ولكنى كنت أعرف من أبى رايا ، وحلما ، وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام ، فلما رايت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوه له أحزننى ذلك » ، فطمأنه الرسول ، ودعا له بخير ، وجمع المسلمون الغنائم ، والأسلاب فرحين بما آتاهم الله من فضله .

يعاتب الله رسوله فى ايثار الفداء على القتل

يوم بدر : اشتبكت قريش مع رسول الله يوم بدر فتنازل الأبطال ، وذارت على قطبها رحاء الحرب ، وتجلى اليوم عن القتلى ، والأسرى ، وهم من رؤساء قريش وبها ليلها (٢) فغادوا — وقد أكل الحقد لفائف صدورهم ، وطأوا الذل رعووسهم .

كتب الله للمسلمين التوفيق : وكتب الله للمسلمين التوفيق ، واختار لهم النصر ، وأمر الرسول أن تلقى فى القليب أجساد القتلى ، مواراة بالتراب ، ووزع الغنائم :

الأسرى : ثم استشار أصحابه فى أمر الأسرى ، وكان ذلك شأنه فى كثير مما يعرض له — وان رجحهم عقلا ، ورأيا ، وعزما — لينهج لهم منهجا قديما يسلكونه فى حياتهم ، لينهضوا .

(١) جيفوا : أنتنوا .

(٢) البهاليل : جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير .

أبو بكر :

فقال أبو بكر : « يا رسول الله قومك ، وأهلك ، استبقيهم ، واستأن (١) بهم ، لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك » .

عمر :

وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك ، وكذبوك ، أضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، وإن الله أغناك عن الفداء »

سمع رسول الله رأيها وأصغى إلى غيرهما !

فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأييهما ، وأصغى إلى غيرهما ، ولم يتخذ حكما ، ثم طلع عليهم ، فقال : « ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى يكونوا ألين من اللبن ، وان الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حين قال : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم » ، وان مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى حين قال : « ان تعذبهم فإنهم عبادك ، وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، وان مثلك يا عمر كمثل نوح حين قال : « رب لا تنذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢) » ، وان مثلك يا عمر كمثل موسى حين قال : « ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » ، أنتم عالة ، فلا يبقين أحد الا بفداء ، أو ضربة عنق » .

فمن تبعني فإنه مني :

وان مثلك يا «عمر» كمثل نوح :
وان مثلك يا «عمر» كمثل موسى :
لا يبقين أحد الا بفداء :

وزاعت كلمة محمد في أرجاء مكة ، فخفوا سراعا وفكوا الأغلال عن أسراهم .

يعاتب رسوله في ايثار الفداء :

ثم أوحى إلى رسوله يعاتبه في ايثار الفداء على القتل ، فإن حاجة المسلمين إلى اذلال عدوهم بالقتل — وهم في مطلع دولتهم — أشد ، ليعظم سلطانهم ، وتضعف شوكة أعدائهم ، والمال بعد ذلك مرتبة .

سنة الله :

وقد اقتضت سنة الله ورحمته الا يعاقب المجتهد وان أخطأ ، فقال : « ما كان لنبي أن يسرى له أسرى حتى يثخن (٣) في الأرض ، تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ٦٧ لولا كتاب (٤) من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (٥) » ٦٨

والله عزيز حكيم :

(١) استأن بهم : استأنى به : لم يعجله .

(٢) ديارا : أحدا .

(٣) يثخن في الأرض : يقوى ، ويغلب .

(٤) كتاب : حكم .

(٥) روى أنه لما نزلت هذه الآية دخل « عمر » رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو و « أبو بكر » بيكان ، فقال : « يا رسول الله ، أخبرني فإن أجد بكاء بكيت والا تباكيت » ، فقال : أبك على أصحابك في أخذهم الفداء ، ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة .

في السنة الثانية من الهجرة أخذ عبد الله بن ربيعة وعكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية يحرضون رجالا من قريش — ممن أصيب أقرباؤهم ، وذوو عشيرتهم يوم بدر — على الأخذ بالثأر ، فينادون : يا معشر قريش أن محمدا قد وترككم ، وقتل خياركم ، فأعينونا على حربته ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا » .

التحريض على الأخذ بالثأر :
ان محمدا قد وترككم :

تبارت قريش في حشد الجنود ، وبذل الأموال : فهذا جبير بن مطعم يقول لغلامه : ان قتلت حمزة عم محمد بعمرى قتيل بدر فأنت طليق ، وهؤلاء غيره يقدمون أموالهم ، وعبيدهم ، وعتادهم للقاء هذا اليوم : « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ، ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون » ٣٦ ، ولقد صدق الله وعده يوم الفتح العظيم .

« قريش » تتبارى في حشد الجنود :
جبير بن مطعم :
وغلامه :
ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله :

هذه قريش يقودها أبو سفيان لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه طائفة من كنانة وأهل تهامة ، أقبلوا ينفرون المقاتلين لحرب الله : فهذا صفوان بن أمية يقول لأبي عزة طليق بدر : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فأخرج معنا ، فيقول أبو عزة : « ان محمدا قد من على ، فلا أريد أن أظاھر (١) عليه ، فيقول صفوان : « فأعنا بنفسك ، فلك على ان رجعت أن أغنيك ، وأن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، ويصيهن ما أصابهن من عسر ، ويسر » .

« أبو سفيان » يقود « قريشا » :
« صفوان » و « أبو عزة » :
ان « محمدا » قد من على :

وخرجت نساء قريش مع رجالهن : فهذه هند بنت عتبة زوج أبي سفيان في نساء من قريش تحمس الجند حتى يستقر بجبل أحد مقابل المدينة .

نساء « قريش » :
يستقر بجبل أحد :

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر ، ويجعل معهم أنواع التفكير ، فيقول : « فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم » ، فيحبذ عبد الله بن أبي بن سلول رأى الرسول ، ولكن نفرا ممن حبيب الله اليهم الاستشهاد في سبيله قالوا : « يا رسول الله ، أخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أننا جينا عنهم ، وضعفنا » .

رسول الله يشاور أصحابه :
عبد الله بن أبي ابن سلول :

فرد عبد الله بن أبي : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ، لا تخرج اليهم ، فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه .

أقم بالمدينة :

(١) أظاھر عليه : أمين عليه .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بعد صلاة الجمعة ■ فلبس لامته (١) ، وتهيأ للقتال ، فقال القوم يا رسول الله ، استكرهناك وليس لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل .

لبس رسول الله لامته :

خلف رسول الله بالمدينة ابن أم مكتوم يؤم الناس في الصلاة ، وخرج في ألف من أصحابه ، وقد انخزل عن الجيش — وهو بين المدينة و أحد — عبد الله بن أبي بن سلول بثلك الناس ، متعللاً بأن الرسول قد أطاع غيره ، وعصاه ، ثم قال : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس .

خلف رسول الله بالمدينة « ابن أم مكتوم » :
انخزل « عبد الله ابن أبي بن سلول » بثلك الناس :

فاتبعهم عبد الله بن عمرو يقول : يا قوم ، اذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم ، ولكنهم ولو الأدبار .

اتبعهم « عبد الله ابن عمرو » :

وكشف الله سرهم ، « فقال : وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم : « تعالوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا » ، قالوا : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » . هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ١٦٧ ، الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ما قتلوا ، « قل : « غادروا (٢) عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ١٦٨ » .

كشف الله سرهم :

يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم :

ومضى الرسول حتى نزل الشعب من « أحد » في عدوة الوادي الى الجبل ، ثم جعل ظهره وعسكره الى الجبل ، وقال : « لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال » .

اين نزل الرسول ■

وتهيأ رسول الله للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبات قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فارس ، وخالد ابن الوليد على يمنة الخيل ، و عكرمة بن أبي جهل « على ميسرتها .

تهيأ الرسول للقتال :

قام الرسول ممسكا سيفا . فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه فقال أبو دجانة : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « ان تضرب به العدو حتى ينحني ، قال : أنا أخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه آياه ، فعصب رأسه بعصابة ، وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال الرسول عليه السلام حينما رآه : انها لمشيئة ييغضها الله الا في مثل هذا الموطن » .

« الرسول » و « أبو دجانة » :

عصب « أبو دجانة » رأسه بعصابة :

(١) لامته الامة : الدرع .

(٢) ادرعوا : ادفعوا .

أبو سفيان يحرض على القتال

ويتقدم أبو سفيان إلى أصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال ، ويقول : « يا بني عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وانها يؤتى الناس من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا ، فلما أن تكفونا لواءنا ، واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فتوعده ، وقالوا : « نحن نسلم اليك لواءنا سنعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع ! »

تقدم « أبو سفيان » يحرض على القتال « أبو سفيان » يخاطب أصحاب اللواء من بني عبد الدار : توعده :

وهؤلاء نسوة قد احتشدين ، وفيهن هند بنت عتبة يحرضن على القتال ضاريات بالدفوف خلف الرجال .

النسوة يحرضن على قتال المسلمين

التحم الفريقان ، وحملت الحرب ، وأبو دجاجة يقاتل بسيف الرسول ، فيسمع من يحرضن الناس ، ويدفعهم دفعا شديدا إلى قتال المسلمين ، فيسل السيف على رأسه ، فيولول ، وينتحب ، فإذا هي هند بنت عتبة ، فأبى أبو دجاجة أن يضرب امرأة بسيف رسول الله .

التحم الفريقان :

هند بنت عتبة :

وهذا وحشى الحبشى يقدم على حمزة عم الرسول وهو صائح كالجمل الأورق (١) ، فيطعنه بحريته ، فيخر شهيدا في سبيل الله.

وحشى الحبشى :

جلس الرسول صلى الله عليه وسلم تحت راية « الأنصار » يربط (٢) على قلوب المسلمين ، ويحذرهم المخالفة ، فلا يتركون مراكزهم ، ولا يغتروا ببوادى النصر ، ولا يحرصون على جمع الغنائم .

الرسول يربط على قلوب المسلمين ويحذرهم المخالفة .

أزال المسلمون المشركين عن عسكرهم ، وكانت الهزيمة منهم قاب قوسين أو أدنى ، وولى الكفار مدبرين .

أزال المسلمون المشركين عن عسكرهم :

ولكن المسلمين نسوا نصيح نبيهم ، وانصرفوا عنه ، وعصوا أمره وانخدلوا عن مواقفهم ، وانكبوا على الغنائم ، ولم يتابعوا النصر حتى النهاية :

نسى المسلمون نصيح نبيهم : انخدلوا عن مواقفهم :

« ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » .

وقد قاتل « غلام أبى طلحة » — وكان لواء الكفار معه — حتى قطعت يداه ، فأخذ اللواء ب صدره ، وبرك عليه ، فرمته عمره بنت علقمة « الحارثية » ، فلاذت به قريش ، واجتمعت تحت ظلالة .

غلام أبى طلحة :

(١) الأورق : ما في لونه بياض إلى سواد .
(٢) يربط على قلوب المسلمين : يقويهم « ويصبرهم » .

خضدت (١) شوكة المسلمين

غشى المسلمين ما غشيه من الفتور والضعف ، والهزم ، حتى خلاص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصيبت رباعيته ، وشج وجهه ، وكلمت شفته ، واضطرب أمر المسلمين ، فقد ذاع أن محمدا قد قتل : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفأث مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزي الشاكرين ■

الفتور والضعف والهزم :

ذاع أن ■ محمدا ■ قد قتل :

سـيـجـزى الله الشاكـرين :

كعب بن مالك :

ثم نادى كعب بن مالك بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ■ أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فنهض المسلمون به ، ونهض معهم نحو الشعب ، ومعه أبو بكر وعمر وعلى وطلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام ، فادركه أبي بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت أن نجا ، فقال القوم : يارسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ ، فقال الرسول : دعوه ، فلما دنا تناول الرسول عليه السلام حربة ضرب بها عنقه ، فكانت سببا في موته .

نـهـض المسلمون ونهض الرسول معهم : أبي بن خلف :

تناول الرسول حربة ضرب بها عنقه :

ثم قدم على للرسول ماء ، فغسل دمه ، وكان يصلى من تعود ■ لما أصابه من ضعف .

هكذا ، قدر الله أن يهزم المسلمون ، ويستشهد منهم سبعون ■ من خيارهم -وقد لمسوا النصر بأيديهم- : ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم (٢) بأذنه ، حتى اذا فشلتم (٣) ، وتنازعتم في الأمر . وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة . ثم صرفكم عنهم ، ليبتليكم (٤) ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ١٥٢ ، اذ تصعدون (٥) ، ولا تلوون (٦) على أحد ، والرسول يدعوكم في أخراكم (٧) ، فأثابكم غما بغم (٨) ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، ولا ما أصابكم ، والله خير بما تعملون ١٥٣ ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة (٩) نعاسا ■ يغشى (١٠) طائفة منكم ■ وطائفة قد أهمتهم (١١) أنفسهم ، يظنون بالله

قدر الله أن يهزم المسلمون : منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة :

الرسول يدموكم في أخراكم :

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة :

(١) خضدت شوكة المسلمين : عجزوا عن النهوض ■ وضعفوا ■ وساءت حالهم .

(٢) تحسونهم : تقتلونهم .

(٣) فشلتم : جبنتم ■ وضعف رأيكم .

(٤) ليبتليكم : ليبتحنكم .

(٥) تصعدون : تذهبون وتبمدون .

(٦) لا تلوون على أحد : لا يقف أحدكم لصاحبه ■ وينتظره .

(٧) في أخراكم : في سائتكم ■ والمراد : سائقة الجبين ، أى مؤخره .

(٨) غما بغم : غما متصلا بغم ، أو فجازاكم غما بغم أدقنوه رسول الله بعصيانكم أمره .

(٩) أمانة : أمناء ■ واطمئنانا .

(١٠) يغشى : يأتى .

(١١) أهمتهم أنفسهم : أوقعتهم في الهموم ، أولا يهيمهم الا أنفسهم ■ لتخليصها .

غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل : ان الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . قل : لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما في صدوركم ، وليحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات (١) الصدور ١٢٤ » .

هل لنا من الأمر من شيء ؟ :
ليحص ما في قلوبكم :

انتهت الحرب

انتهت الحرب ، فأشرف أبو سفيان بن حرب على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : ان الحرب سجال ، يوم بيوم . فقال الرسول : قم يا عمر فأجبه ، فقال : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلنا في الجنة ، وقتلاكم في النار . فقال أبو سفيان : هلم الى يا عمر . فقال الرسول لعمر : أئنه فانظر ما شأنه . فجاءه ، فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وانه ليسمع كلامك الآن .

أشرف «أبوسفيان» على الجبل :
قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار :
أقتلنا « محمدا » ؟

ولما انصرف أبو سفيان بعث الرسول عليا : أن أخرج في آثار القوم ، فإن جنبوا الخيل ، وامطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الابل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ، ثم لأناجزئهم .

ارسل الرسول « عليا » في آثار القوم :

ولكن المشركين رجعوا الى مكة بعد أن مثلوا بكثير من قتلى المسلمين ، فقد جدع نساؤهم الأنوف ، وقطعن الأذان ، واتخذن منها قلائد ، وبقرت (٢) هند بطن حمزة عم الرسول عليه السلام ، ثم أخذت تلوك كبده ، فلم تسفها ، فلفظتها .

المشركون رجعوا الى « مكة » :
مثلوا بكثير من قتلى المسلمين :

وأمر رسول الله بحمزة فسجى ببردة ، وصلى عليه ، ثم نقل القتلى الى جانب حمزة ، فصلى عليهم اثنين وسبعون صلاة ثم أمر بدفنهم جميعا .

أمر رسول الله بحمزة فسجى ببردة ثم أمر بدفنهم :

وخرج عليه السلام في أثر العدو ، واللواء معقود لم يحل ، حتى وصل حمراء الأسد — على ثمانية أميال من المدينة — ليخيف قريشا فيعلموا أن قوة الله لا تغلب ، ولا تقبل .

حمراء الأسد :

فمضى أبو سفيان وأصحابه سراعا الى مكة حين علموا بذلك . منتظرين بطش محمد في كل وقت .

مضى «أبو سفيان» وأصحابه سراعا :

(١) ذات الصدور : خفياتها .
(٢) بقرت شقت « شجى ببردة : غطى بثوب .

اشترى الكفر
بالإيمان :

« ان الذين اشترىوا الكفر بالإيمان لن يضرهم الله شيئا » ولهم عذاب اليم ١٧٧ ، ولا يحسبن الذين كفروا انهم نملى (١) لهم خير لانفسهم . انما نملى لهم ، ليزدادوا اثما . ولهم عذاب مهين ١٧٨ .

اجلاء بنى النضير

بنو النضير :

قال عمرو بن أمية الضمري فانك الجاهلية ، وفارس الاسلام : صادفت في طريقي الى المدينة غرة من رجلين من بنى عامر فقتلتهم ، ورويت الثرى بدمائهما ، ولعلى اكون قد أطفأت وقدة غيظ تتسعر في صدور المسلمين مما أصاب فينا بنو عامر يوم « بئر معونة » (٢) .

عمرو بن أمية
الضمري :

بنو عامر :
بئر معونة :

قال محدثه : انك ركبت مركبا حراما ، وفعلت شرا قد حسبته خيرا ، فاوطأت المسلمين العشوة (٣) ، واوردتهم على الصعاب ، ذاتك العامريان معهما من رسول الله عهد وجوار ، ولهما حرمة ، وذمام .

أردت المسلمين
على الصعاب :

فخشى عمرو عاقبة أمره ، وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خائفا يترقب . قال : يا رسول الله ، لقد قتلت العامريين اللذين صادفاني في طريقي الى المدينة ، وحسبت انى أصبت فيهما من بنى عامر ثارا . فتردد وجه الرسول ، وبان لهم بين عينيه ، وقال : لقد قتلت قتيلين لأدينهما .

خشى عاقبة أمره
وذهب الى رسول
الله :
« عمرو » يذكر
للرسول ما كان
منه :
رد الرسول عليه :

وهذا دم فائر لا ينفع في تسكينه التسوية . ورسول الله في ضنك من العيش والمال .

ان بنى النضير حلفاؤه ، وحلفاء بنى عامر ، فلماذا لا يستعين بهم على دفع دية القتيلين ؟

بنو النضير

ذهب رسول الله في نفر من صحابته الى اطراف المدينة حيث يقيم بنو النضير ، فهشوا به ، وبشوا ، وأسرؤا المكر ، والحنق .

رسول الله عند
بنى النضير :

قال الرسول : « لقد قتل واحد من المسلمين اثنين من بنى عامر ، حسب انه أصاب فيهما عدوا ، وأدرك ثارا ، ولكنهما كانا معنا في حلف ، ولهما ذمام ، وقد جئناكم نستعين بمالككم على دية هذين القتيلين ، بما بيننا من حلف وعهد .

يحدثهم :

(١) نملى لهم : مهلهم .

(٢) بئر معونة : في طريق المصعد من المدينة الى « مكة » .

(٣) العشوة : ركوب الامر على بيان .

(٤) لا دينهما : لاندفع ديتهما .

حيى بن أخطب : قال حيى بن أخطب زعيم بنى النضير : « لك ما تريد يا محمد ، وهونا ما أردت ، استرح الى هذا المكان ، وأنظرنا قليلا حتى نجمع المال ، ونأتى بما تريد » .

بنو النضير .. : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جدار ، ومعه صحبه ، واقبلوا يأترون بمحمد ، ويتشاورون فيه ، يريدون الفتك به ، ليستريحوا ، وتستريح العرب .

عمرو بن جحاش : فقال عمرو بن جحاش : « دعونى أقتله ، فأنا بذلك زعيم » ، وتسلق الجدار ، وأعد صخرة ليرضخه (١) بها ، ثم نظر فإذا برسول الله قد انصرف .

اعلن رسول الله : ثم أعلن رسول الله في أصحابه : أن بنى النضير قد غدروا به ، ونكثوا ، فقد أرادوا قتله ، فأوحى الله اليه بما دبروا ، ولا جناح على المسلمين بعد ذلك في حربهم » .

محمد بن سلمة : وبعث الرسول محمد بن سلمة ، لينذرهم الجلاء عن ديارهم ، فنادى فيهم : يا بنى النضير ، قد علمنا مكركم ، وغدركم ، وأطلع الله رسوله على مؤامرتكم ، ولأنامنكم على رجالنا ، فاردلوا عن هذه الديار سالين بأنفسكم ، موفورين في حياتكم ، ولكم أسوة في أخوانكم بنى قينقاع .

ادرك بنو النضير .. : سمع بنو النضير هذا النداء ، فأدركوا عاقبة فعلتهم ، وكادوا يتهيثون للخروج لولا أن عبد الله (٢) بن أبى قال لهم : « لا تخرجوا من دياركم ، وأياكم والجلاء عن أوطانكم ، واننا سنكون في حزبكم ، ومن أنصاركم . » « لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وان قوتلتهم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون » .

المسلمون يستعدون للحرب : ونهض الرسول لقتالهم ، وحاصرهم ، فلم يلقوا اليه يدا ، ولما رأوا المسلمين يستعدون للحرب انخذلت قواهم ، والتجئوا الى الرسول يسألونه أن يجليهم ، على الا يأخذوا من أموالهم الا ما حملت ابلهم ، فأجابهم الرسول الى ما طلبوا ، فتركوا أوطانهم : « فمن نكث فأنما ينكث على نفسه » - « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب :

(١) يررضه : يرميه .

(٢) عبد الله بن أبى بن سلول : رأس المنافقين بالدينة .

الأحزاب وهى الخندق

أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير عن المدينة، وبين أيديهم زعيمهم حى بن أخطب ، لما أرتكبوه من نكث فى العهد ، وحنت فى اليمين .

حى بن أخطب :

ومنذ أجلى الرسول هذا الزعيم عن المدينة لا يزال يترصد به الدوائر ، ويود أن ينتصر الكافرون ، ويخذل المسلمون ، وأن يهلك الرسول بالمدينة ، ليعود هو الى وطنه ، فتعود اليه سابق زعامته ، ولكنه لا يسمع الا ما ييفضه من نصرة المسلمين ، وهزيمة الكافرين ، فيتسمر فى غيظه ، ويأكل الحقد والحسد قلبه .

يترصد بالرسول الدوائر :
موقفه من «محمد» وأصحابه :

زين له الشيطان أن يجمع اليه نفرا من قومه ، ويؤلبوا على محمد القبائل والأعداء كافة .

مازينه له الشيطان

وانطاق الى قريش ومعه سلام بن الحقيق الذى قتله عبد الله ابن عتيق بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و « كنانة ابن الربيع » وكلاهما من بنى النضير ، وهودة بن قيس ، وأبو عمارة : من وائل ، وغيرهم ممن رأى رأيهم .

انطلق الى «قريش» ومعه نفر ممن رأى رأيه :

قالت لهم قريش : « يا معشر يهود ، دعونا مما جئتم فيه الآن ، وأخبرونا عما نسألكم عنه » انكم أهل الكتاب الأول ، واليكم ينتهى علم ما تختلف فيه ، وقد أصبحنا فى أمرنا مع محمد على ريبة ، ومن ديننا فى شك ، فماذا ترون ؟ أديننا خير أم دينه ؟ وآلهتنا حق أم الهه ؟ »

ماذا قالت «قريش»

قالوا لهم : « أنتم فى شك من دينكم ، وفى ريب من عقائدكم ؟

ردهم على «قريش»

تالله ان دينكم للحق ، وان دين محمد للخرافة ، وان آلهتكم لى التى تضر وتنفع ، وتعطى وتمنع ، وان الهه لا يدفع شرا ، ولا يجلب خيرا ، فحذار أن يدخل الشك الى نفوسكم ، أو يجرى الظن الى عقائدكم « فلا تتقاعسوا (١) عن مناهضته ، ولا تعدلوا عن محاربته ، وسنجمع عليه معكم القبائل ، ندعو العرب : سنحرض غطفان ، ونهيب بأشجع ، ندعو بنى قريظة .

تالله ان دينكم للحق :

حذار ان يدخل الشك الى نفوسكم سنجمع عليه معكم القبائل :

وباتحادكم مع هؤلاء وهؤلاء لا تدعون شأن محمد يرتفع أبدا .

(١) لا تتقاعسوا : لا تناخروا .

ذهبوا الى غطفان ، وأشجع فوجدوا لقاء كريما ، وصدرا
رحيبا . فأكرمهم .

بنو قريظة : ولما انطلقوا الى بنى قريظة التى تسكن الرسول على عهد
بينه وبينهم : ألا يحاربهم ، ولا يحاربوه ، وأن يكونوا أخلافا على
سواهم ، وظلوا حافظين للعهد حتى وفد عليهم حبي بن أخطب
وصحبه قال رئيسهم كعب بن أسد القرظى : « لم يقصدكم هؤلاء
الا لشر » غلقوا أبوابكم ، وصموا آذانكم ، فوالله ما يدفعونكم
لخير أبدا .

«حبي» و «كعب»: فطلقوا الأبواب ، وجاء حبي وقال : « ويحك يا كعب ، افتح
لى ، فانا ابن عمك ، وعلى عقيدتك ، ولقد جئتكم فيما أرجو أن
يكون فيه صلاحك » صلاح قومك جميعا .

كعب : قال كعب : « انك لاشأم الطلعة ، متهمم النصيحة ، مزور
فى الكلام ، لقد عاهدت محمدا فلم أر منه الا سلبا ، وأما ،
والا صدقا » ووفاء ، ونحن — بنى قريظة — نعيش اليوم فى
سلم من الأحقاد ، والأضغان ، وفى مأمن من المكائد ، والحروب .

حبي : قال حبي : « ان محمدا — وان عاهدك — ليس على دينك .
وان صانعك فهو على بغض من جوارك ، ويود لو أجلاك .
ولقد جئتكم بعز الدهر ، وبهزيمة محمد على الأيام ، هذه قریش
بقاتلتها ، وسادتها ، مازلت بها حتى أتت تحارب محمدا ، وهى
الآن بمجتمع الأسىال فى طريقها الى المدينة .

جئتكم بعز الدهر
وبهزيمة « محمد »
على الأيام :
قریش :
مجتمع الأسىال :
غطفان وأشجع :

وهذه غطفان ، وهؤلاء أشجع فى طريقهم الى المدينة وانهم
فى حملتهم لصادقون ، وانهم من نصرتهم لواقفون .

كعب : قال كعب : « جئتنى والله بذل الدهر ، وخيبة الرجاء ،
وبجهام (١) قد هراق (٢) ماءه ، فهو يرعد ، ويبرق ليس فيه شيء .
دعنى من حرب محمد ، فما أنا بناقض العهد ، ولا حاث فى
الميثاق .

دعنى من حرب
« محمد »

« حبي » يزور
لكعب الفدر :

ولكن حبيما مازال بكعب يزور له الفدر ، ويزخرف الفجور حتى
لانت عريكته . ونقض العهد ، وخرج بقومه لقتال المسلمين .

الرسول يأمر بحفر خندق

عرف رسول الله أن قریشا وغطفان وأشجع قد خرجوا لغزو
المسلمين بالمدينة ، فأمر المسلمين بحفر خندق حول المدينة .

الرسول أمر
المسلمين بحفر
« خندق » حول
المدينة :

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

(٢) هراق : لفة فى أراق .

وبينما المسلمون يستعدون لصد قريش وحلفائها اذ بوافد نبيء رسول الله أن بنى قريظة قد نقضت وعودها ، ونكثت عهودها ، وانحازت الى قريش ، ومن معها ، لغزو المسلمين .

علم الرسول والمؤمنون بما وقعوا فيه : من احاطة الأعداء بهم : من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، فزاغت أبصارهم ، واضطربت أفئدتهم ، وظنوا بالله الظنون .

المؤمنون : أما المؤمنون فقد عرفوا أن الله يمتحنهم ، ويبتليهم ، فهم لا يخشون ضعف الاحتمال .

المنافقون : وأما المنافقون فقد قالت طائفة منهم : « لقد كان محمد يعدنا أن نستولى على كنوز كسرى وقيصر ، ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » .

هبت طائفة بالفرار : وهبت طائفة بالفرار ، يوقعون الضعف في صفوف المسلمين ، وجاءت تستأذن رسول الله كذبا ، ونفاقا ، يقولون : « ان بيوتنا عورة (١) ، وما هي بعورة ، ان يريدون الا فرارا » .

موقف الرسول : ووقف الرسول بين أعداء احاطوا به من الأمام ومن الخلف ، وأعداء في الصفوف .

وفي هذا الخوف والهلع ، والتفرق والفرع طلع عليهم نعيم بن مسعود ، وهو من رجال غطفان ، وقال : يا رسول الله ، انى قد أسلمت : وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة » ذهب نعيم لا يحمل سيفاً ، ولكنه كان يحمل عزيمة أمضى من السيف ، الى بنى قريظة ، وقال لهم : يا بنى قريظة لقد عرفتم ودى اياكم وحبى لخاصتكم وعامتكم قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم » ، قال : ان قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم ، وأبناؤكم ، ونسأؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتهم عليه ، وبلدهم ، وأموالهم ، ونسأؤهم بغيره ، فان رأوها (٢) نهزة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ، ولا طاقة لكم به اذا خلا بكم » ، قالوا : وما الراى وقد عاهدناهم على أن نحارب معهم ، ونسلك في عداوة محمد سبيلهم ؟ وقال : « ان تأخذوا رهنا من اشرافهم ، يكونون بأيديكم حتى تتأجزوه ، وبذلك تكفلون صدقهم ونصرتهم » ، قالوا : « لقد أشرت بالراى ، وتركهم نعيم وذهب الى قريش فقال لهم : لقد علمتم ودى لكم ، وبغضى محمداً ، وقد بلغنى أمر قد رأيت

(١) العورة في الثغر والحرب : امر يخاف منه .

(٢) نهزة : غرصة .

ثم ذهب الى « قريش » :
انا قد ندمنا على ما فعلنا :
فأرسل اليهم :
أن نعم :
حقا أن أبلغكم آياه ، نصحا لكم وخشية عليكم ، فاكتموه عني ،
تعلموا أن بنى قريظة ، قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد ،
وقد أرسلوا اليه : « انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن
نأخذ لك من القبيلتين : قريش و غطفان رجالا من أشرافهم ،
فنعطيكهم ، فنضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى
نستأصلهم » ، فأرسل اليهم : أن نعم ، فان بعثوا اليكم يلتمسون
رهننا من رجالكم فلاتدفعوا اليهم أحدا » .

ذهب الى غطفان :
ثم تركهم وذهب الى غطفان ، وحدثهم بمثل ما حدث قريشا «
وانخدعوا له كما انخدعت قريش ، وترك نعيم الجمع ينظر
ما يكون .

عكرمة بن أبى جهل رسول الى بنى قريظة

عكرمة بن أبى جهل
ثم ان قريشا و غطفان أوفدنا ليلة السبت — عكرمة بن أبى جهل —
في نفر منهما الى بنى قريظة ، يستنفرونهم للقتال .

قال عكرمة لرؤسائهم : انا لسنا بدار مقام « قد هلك الخف
والحافز ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا
وبينه ، فقالوا له : « ان اليوم يوم سبت لا نعمل فيه شيئا ، ولو
فعلنا لعاد الخزي والخذلان علينا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل
معكم محمدا حتى تعطونا رهننا من رجالكم يكونون بأيدينا حتى
نناجز محمدا ، فاننا نخشى أن ضرستكم الحرب ، وأشدت عليكم
القتال أن تتشمروا لبلادكم » وتتركونا ومحمدا ، ولا طاقة لنا
بقتاله » .

وذهب الى قريش و غطفان ، وحدثهم بما قالت بنو قريظة ،
فقالوا : والله ان ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وعادت
الرسل الى بنى قريظة ، وقالوا لهم : « والله لا ندفع اليكم من
رجالنا أحدا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا ، وقاتلوا » ،
فقال بنو قريظة — وقد انتهت اليها الرسل بما انتهت به والله ان
ما ذكره نعيم لحق ، ووقع الرعب في قلوب الأحزاب ، ودب التخاذل
في صفوفهم .

بعث الله الريح في ليل شات على قريش ، فكفأت قدورهم
وآنيتهم ، وزادتهم تخاذلا ، ففعلوا الى مكة فزعين .
« قريش » :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله
المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .
« قريش » :

وعاد رسول الله الى الذين ظاهروا قريشا وغطفان من بنى قريظة فوجد الرعب قد حاق بهم ، فأنزلهم من صباصيمهم (١) ، ثم قتل رجالهم ، وسبى نساءهم ، وأورث الله المؤمنين أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وكان الله على كل شيء قديرا .

أنزلهم من صباصيمهم

مشاهد شتى حول الرسول

١ - بلال بن رباح

حدث أمية بن خلف أحد خلصائه في مجلسه بنادى قريش .
« لقد شهدت عبدك بلالا في قافلة النهار حيناً ، وفي ظلام الليل أحيانا يذهب الى محمد خائفا ، يترقب وقد بدا عليه الحرص والحذر ، وانى لاتوسم أنه قد أسلم . فأنفض عليك خبره ، وأفضى اليك بأمره ، عسى أن تخمد نار هذه الفتنة وهى ماتزال فى مهدها » .

أمية بن خلف :
يذهب الى «محمد» خائفا :
عسى أن تخمد نار الفتنة فى مهدها :

فلمح الشر فى عيني أمية ، وكاد الغيظ يحرق قلبه ، وقام من فوراً الى داره .

كاد الغيظ يحرق قلب « أمية » :

هذا بلال يبصر أمية حنيقا مغيظا ، وهو يوجه اليه قائلته : «لقد ترامى الى أنك آمنت بمحمد ، وأنك تختلف اليه مظهرا (٢) انى، وفى جنح الليل (٣) آناء ، أحق ما سمعت » .

ترامى الى أنك آمنت بمحمد :

قال بلال « انى لا اكتمك — وقد انتهى اليك أمرى — انى آمنت برسالتك » وصدقت دعوته .

انى لا اكتمك :

قال أمية : « لقد خرجت على دين سيدك ، فتجاوزت بذلك حدك ، وأنت عبدى قد اشتريت روحك ، وملكت عقلك، وجوارحك »

خرجت على دين سيدك :

قال بلال : انى لا أنكر انى عبدك ومولاك ، أما عقلى ، وروحي فليس لك عليهما سلطان » .

لا أنكر انى عبدك ومولاك :

هاج هائج أمية ، وصاح : « سأستل من قلبك هذا الضلال ، وانتزع من عقلك هذه الأوهام ، وسأنكل بك ، وأذيبك الوان العذاب » .

هاج هائج «أمية» :

ثم هجم عليه غليظ الكبد ، وشد وثاقه ، ودفع به الى الصبية يلعبون به كما يلعبون بالكرة ، ويقتذفون به ، كما يقتذفون بالحجارة .

شد وثاقه ، ودفعه الى الصبية يلعبون به :

(١) الصياصى : جمع صيصة ، وهى الحصن .

(٢) مظهرا : فى وقت الظهيرة .

(٣) آناء الليل : ساعاته . المفرد « انى » .

ولكن حلاوة الايمان التى ذاقها ، ونعمة الاسلام التى نعم بها
قد ملكت عليه روحه ، وقلبه وعقله جميعا ، وهان فى سبيلها كل
تعذيب ، وجعلته ينظر الى أمية نظرة احتقار ، وازدراء ۞ لما يوقعه
به ، ثم قال : أحد ، أحد ، يؤكد استمساكه بالتوحيد ، والايمان ،
والعقيدة ، والاذعان مهما يستقبله من ضروب المحن والبلاء .

قد ملك الايمان
عليه روحه :
أحد ، أحد :

وفى اليوم الثانى — وقد بسطت الشمس أشعتها قوية ، ملتبهة
على الصحراء — أضجع أمية — بلالا — على الرمضاء ووضع على
صدره صخرة ثقيلة ، قاسية ، وبلال يردد شعاره ۞ وعقيدته
أحد ، أحد .

أضجع « أمية »
— بلالا — على
الرمضاء :
عقيدته : أحد ۞
أحد :

أحد ، أحد : لا أعبد غيره ، ولا أتوجه الى سواه ، أحد ۞ أحد :
هو ملجئ فى ضيقتى ، وبلائى .

فما يزداد بلال على الأيام الا صبرا ، وبقينا . وبينما كان
أبو بكر ماشيا فى شعب من شعاب مكة اذ سمع بلالا يئن ۞ ويتلوى
مما به ، وأمّية ينظر اليه كأنه أطفاً بذلك نار غيظه ۞ وأرضى نفسه
الظالمة العاتية ، فتحرّكت فى نفس أبى بكر الرحمة ، وأمره
العطف ، فقال لأمية : الام تجعل هذا المسكين هدفا لعذابك ،
وغرضا لتتكيك ؟ ۞

ما يزداد « بلال »
على الأيام الا صبرا
« أبو بكر » :
الام تجعل هذا
المسكين هدفا
لعذابك ؟ :

قال أمية — وقد غمره غروره وخيلاؤه — انه عدى أصنع به
ما أشاء ، وما أوقعه فى هذا الا أنت وصاحبك ، فإذا كنت رحيما
به ، فاشتره ، ونجه مما هو فيه .

انه عدى أصنعه
ما أشاء :

فاشتراه أبو بكر ، ليرفع عنه عذاب أمية ، ثم اعتقه ابتغاء
رضوان الله ، وكان بلال بعد المؤذن بالصلاة .

اشتراه « أبو
بكر » :
وكان « بلال » بعد
المؤذن بالصلاة :

وهل يستوى المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ۞

لقد كتب الله عاقبتهم ، وحكم فى أمرهما :

فأنذرتكم نارا تلظى ١٤ ، لا يصلاها الا الأشقى ١٥ ، الذى
كذب ، وتولى ١٦ ، وسيجنبها الأتقى ١٧ ، الذى يؤتى ماله يتزكى
١٨ ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ١٩ ، الا ابتغاء وجه ربه
الأعلى ٢٠ ، ولسوف يرضى ٢١ ۞ .

لا يصلاها الا
الأشقى :
الذى يؤتى ماله
يتزكى :
ولسوف يرضى :

٢ — الذين نافقوا

ذاعت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فغزت القلوب
والنفوس ، بيد أن ثلاثة من صنوف الأعداء أخذوا أخذوا يكيدون

غزت رسالة «محمد»
القلوب :

لها ، حرصا على الرياسة ، والزعامة ، أو حسدا من عند أنفسهم .

أخذ الأعداء يكيدون لها :
ثلاثة من صنوف الأعداء :

- (١) مشركو قريش بمكة .
- (ب) واليهود بالمدينة .
- (ح) والمنافقون بين الاسلام ، والكفر .

أما المشركون بمكة ، واليهود بالمدينة : فقد نفسوا (١) على رسول الله رسالته ، وأبدوا عداوتهم ، فكان الرسول بين هؤلاء ، وأولئك على العداوة الواضحة : حرب تارة ، ومعهدة تارة أخرى .

المشركون واليهود :

وأما المنافقون فكانوا من الأنصار أبناء عمومة أضمرُوا الكفر ، وأعلنوا الاسلام ، والمحبة ، والإخاء .

المنافقون :

وما في قلوبهم غير الغدر والمكر والحقد ، سيوفهم مع المسلمين ، ولكن قلوبهم مع الكفار .

سيوفهم مع المسلمين ولكن قلوبهم مع الكفار :

« وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : أنا معكم ، إنما نحن مستهزئون » .

هم مذبذبون بين الاسلام والكفر ، لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، وما كان الرسول ليستطيع إلا أن يكتفى بما يبدو من ظاهرهم ، فهم قذى في عيون المسلمين ، وشوكة في جنوبهم حتى هتك الله أستارهم ، وكشف ماخبأته ضمائرهم يوم بنى المصطلق ، وعلى ماء الريسيع (٢) .

مذبذبون بين الاسلام والكفر :

هم قذى في عيون المسلمين :
يوم « بنى المصطلق »
« جهجاه » بن مسعود الغفارى :

وقع بين جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وسنان بن مسعود الجهنى ، حليف بنى عوف من الخزرج مهاج الشر ، وأضرَم البغضاء ، فدعوا إلى جاهلية قضى عليها الاسلام ، إذ نادى الغفارى : يا للمهاجرين ، ونادى الجهنى : يا للأنصار . — وقد أصبح المهاجرون والأنصار أخوانا بنعمة الله — يد على من سواهم ، وأمرهم على من عداهم .

وسنان بن مسعود الجهنى :

يا للمهاجرين :
يا للأنصار :

فما سمع ذلك زعيم المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول حتى جمع طائفة من قومه ممن هم على شاكلته ، وقال لهم — معننا نكون حقه وغيبه — ما رأيت كالليوم مذلة : أو قد فعلوها : نأفرونا في ديارنا ، وكأثرونا في بلادنا ، ما نحن والمهاجرون إلا كما

عبد الله بن أبى ابن سلول :
نأفرونا في ديارنا :

(١) نفس عليه : حسده .
(٢) الريسيع : ماء لبنى خزاعة .

قال الأول : « سمن كليك يأكلك » ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، هذا ما فعلتم بأنفسكم ، وصنعتنم لأقوامكم !

ليخرجن الأعز منها الأذل :

أما والله لو امسكتنم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير دياركم ، ونزحوا لغير بلادكم ، أو لا ترون الى أنفسكم ، جعلتم منكم دون محمد أغراضاً للمنايا ، وأهدافاً للرزايا ، وطلائع للخيول ، ثم عدتم بالولد اليتيم ، والطفل اللطيم (١) !

جعلتم منكم دون محمد أغراضاً للمنايا :

يا قوم ، لو أردتم الخير لأنفسكم لا تنفقوا على هؤلاء المهاجرين حتى ينفضوا ، ولا تلاقوهم بوجه حتى يظعنوا » .

لا تنفقوا على هؤلاء المهاجرين :

وقد سمع الحديث فتى حديث السن ، شديد الحب للرسول ، حسن الاسلام ، شديد الفيرة على جمع كلمة المسلمين ، هو زيد بن أرقم فقال : أنت والله الذليل ، القليل ، المبغض في قومك ، المشنوء (٢) في عشيرتك ومحمد إنما هو في عز من الرحمن ، وقوة من المسلمين .

زيد بن أرقم :

ثم ذهب من فوره الى رسول الله ، وقص عليه ما قال عبد الله ، فتألم الرسول أن رأى نار الفتنة تسرى .

قص على رسول الله ما قال عبد الله :

قال الحاضرون من شيوخ الخزرج : « يا رسول الله ، شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام ، عسى أن يكون قد وهم » ، فتلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زيد بن أرقم ، وقال له : لعلك غضبت عليه ! قال : لا ، قال : فلعله أخطأ سمعك ، قال : لا ، قال : فلعله شبه عليك ، قال : لا ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ، وقال له : « أنت صاحب الكلام الذي بلغني ؟ » فقال — غير مستحي : « والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك ، وإن زيدا لكاذب ، وهكذا اتخذ يمين الله جنة » والله يعلم انه لكاذب .

شيوخ الخزرج :

تلفت رسول الله الى زيد بن أرقم :

دعا الرسول عبد الله بن أبي :

اتخذ يمين الله جنة :

وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، مر بقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! ولكن أذن بالرحيل .

عمر بن الخطاب :

وارتحل الناس مبكرين ، ليشغلوا عن الفتنة ، ويصدوا عن دعوى الجاهلية .

ارتحل الناس مبكرين :

وقد لقي أسيد بن الحضير في طريقه رسول الله ، فعجب أن رأى القوم قد ارتحلوا في ساعة مبكرة ، وقال : يا نبي الله ، والله لقد رحلت في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها » .

أسيد بن الحضير :

(١) اللطيم : الغلام اذا مات أبواه .

(٢) المشنوء : المبغض .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو ما بلغك ما قال صاحبكم » ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله ابن أبي ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل ، قال أسيد : « فأنت يا رسول الله — والله — تخرجه منها ان شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز » ، ثم قال : أرفق به يا رسول الله ، فوالله لقد جاعنا الله بك وان قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، وانه الآن ليرى أنك قد استلبت منه ملكا ، ونزعت منه رئاسة ، وهو أبدا من الحسد في هم ناصب ، وقلب حائق » :

رسول الله وأسيد
ابن الحضير :

هو والله الذليل
وأنت العزيز :

هو أبدا من
« الحسد » في هم
ناصب :

وما انتهى رسول الله الى المدينة حتى نزل عليه :

اذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد أنك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة (١) قصودا (٢) عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع (٣) على قلوبهم ، فهم لا يفقهون ٣ ، واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون (٥) . واذا قيل لهم : « تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رعوسهم ، ورأيهم يصدون (٦) وهم مستكبرون ٥ ، سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله لهم ، ان الله لا يهدي القوم الفاسقين (٧) ٦ ، هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، والله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون ٧ . يقولون . لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، والله العزة لرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون ٨ »

والله يعلم أنك
لرسوله :

ذلك بأنهم آمنوا
ثم كفروا :
كأنهم خشب
مسندة :

لووا رعوسهم :

ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين :

ليخرجن الأعز منها
الأذل :

ثم تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين ، وعرك أذن زيد ، وقال له : وقت أذنك يا غلام ، ان الله قد صدقك ، وكذب المنافقين .

عرك الرسول أذن
« زيد » :

أما عبد الله فقد اعترضه ابنه خارج المدينة — وكان حسن الاسلام وقال له : وراعا ! والله لا تدخلها حتى تشهد على نفسك بالدلة ، وبالعزة لله وللرسول ، والمؤمنين .

عبد الله وابنه :

- (١) جنة : ستر .
- (٢) صدوا : منعوا .
- (٣) طبع على قلوبهم : غاظت قلوبهم عن الفهم .
- (٤) كأنهم خشب مسندة : كأنهم خشب مسندة الى الحائط لا تنفعه قولا شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر .
- (٥) أنى يؤفكون : كيف يصرفون عن الحق !
- (٦) يصدون : يعرضون .
- (٧) الفاسقين : الخارجين عن الطاعة .

ولكن رسول الله قال جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا . وأمره أن يتركه لعله أن يتوب .

رسول الله قال له :
جزاك الله عن
رسوله وعن
المؤمنين خيرا :

٣ - قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها

كانت خولة بنت ثعلب الخزرجية زوج أوس بن الصامت شابة رائعة الجمال ، حسنة القوام ، صبيحة الوجه ، وقد احتفظت بشيء من هذه الفتنة ، وذاك الجمال حين تقدمت بها السن .

خولة بنت ثعلب :
وزوجها :

رأها زوجها صلى معتدلة ، خاشعة ، فتأقت نفسه اليها ، فلما فرغت من صلاتها داعبها فنفرت فتملكته الدهشة ، واستحوذ عليه الغضب ، وحرمها على نفسه ، كما حرمت عليه أمه ، قائلا لها : أنت على كظهر أمي .

رأها زوجها صلى
معتدلة خاشعة :
استحوذ عليه
الغضب :

فلما علمت أنها قد حرمت عليه سقط في يدها ، وعز عليها أن تفارقه ، وهو من سكنت اليه ، وسكن اليها ، وأبو ولدها .

سقط في يدها :

فذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم تفضي اليه بأمرها . وهي ترجو أن تجد لديه مخرجا من مأزقها ، فقالت : يا رسول الله ، أن أوسا قد تزوجني وأنا شابة مرغوب في ، فبعد أن كبرت سنني ، وكثر أولادي جعلني كأمه . وإن لي منه صبية صفارا ، أن ضممتهم اليه ضاعوا ، وإن ضممتهم الى جاعوا .

ذهبت الى النبي :

بعد أن كبرت سنني
وكثر أولادي جعلني
كأمه :

ثم توسلت اليه أن يعيد اليهما حياتهما ، ويصلح شأنهما ، فقال لها : ما عندي في أمرك شيء ، فاشتد لها ، وقالت : يا رسول الله ، ما ذكر طلاقا ، وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس الى .

تتوسل اليه :
ما عندي في أمرك
شيء !

ماذا يفعل الرسول وهو لم يتلق في أمرهما وحيا ، وما ينطق عن الهوى .

ماذا يفعل
الرسول :

فالتجأت الى الله ، وتفرغت اليه قائلة : أشكو الى الله فاقتي ، ووجدى .

التجأت الى الله

كثر تضرعها ، وطال وقوفها ، فسمع الله شكايتها ، وفرج كربتها .

كثر تضرعها :

وبينما هي حائرة ، مضطربة غشى النبي ما كان يغشاه حين نزول الوحي ، ثم أنبأها : بأن الله قد سمع محاورتها ، واستجاب لدعائها ، وأنه ليس على المظاهر بعد الآن إذا أراد التحلة من إيمانه إلا أن يعتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا .

أنبأها بأن الله قد
سمع محاورتها
واستجاب لدعائها :
العتق ، فالصيام
فالإطعام :

عاد اليها سكونها ، فقد أجاب الله سؤالها .

ثم بعث رسول الله الى اوس ، وقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : ان الشيطان لعب بعقلي ، واضاع صوابي ، فركبت متن الشطط ، وابعدت في الغي فهل من وسيلة استرجع بها شريكة حياتي ، ومنية نفسي ؟

بعث رسول الله الى « اوس » : هل من وسيلة استرجع بها شريكة حياتي :

قال النبي نعم ، وقرأ عليه قوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير ، الذين يظاهرون (١) منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول ، وزورا ، وان الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكاافرين عذاب أليم » .

قال النبي : « نعم » :

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم :

تحرير رقبة من قبل ان يتماسا :

ثم قال له النبي : هل تستطيع عتق رقبة ؟ فقال : لا والله . فقال : هل تستطيع الصوم ؟ فقال : لا والله ، لولا أني أكل في اليوم مرة ، أو مرتين لكل بصرى ، ولظننت أني أموت .

هل تستطيع عتق رقبة ؟

فقال له : هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ فقال : لا ، الا أن تعينني منك بصدقة .

هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا :

فمد النبي اليه يد المساعدة حتى استطاع أن يطعم ستين مسكينا ، فصارت بذلك زوجه حلالا له .

مد النبي اليه يد المساعدة :

وقد أثار الله بالاسلام تلك الأرجاء المظلمة ، وبدد سحبها ، وقامت على مبادئه صروح العزة ، والحياة الكريمة .

وبالاسلام أثار الله تلك الأرجاء المظلمة :

الذين اتخذوا مسجدا ضارا (٢)

شكا معتب بن قشير لمن ذهب مذهبه من المنافقين : ان الغيظ لتشتعل بين جواتحي ، وان الهم ليسرى في أحشائي ، اذا أبصرت مسجد قباء الذي زعم بنو عمرو بن عوف أن محمدا وضع أساسه ومقيم قواعده ، وكلما هتف من في المدينة ببني عمرو بن عوف

معتب بن قشير يشكو : مسجد قباء :

(١) كان من عادة العرب أنه اذا غضب أحدهم من زوجته قال لها : « أنت على كظهر أمي » فتحرم عليه ، وهذا هو الظهار .
(٢) ضاررا : مضارة للمؤمنين وهو مصدر ضاربه أى أضربه .

الحسد : اغضيت طرفي على القذى ، وان الحسد ليتسعر في نفسى ، ولست واجدا دواء ناجعا غير أن أرى هذا المسجد مقوضا .

ثعلبة بن حاطب : فقال ثعلبة بن حاطب : ان خطبك ليسير ، وان همك لهين ، وان الخطب الفادح لهو ذاك الدين الذى يذيع أمره ، ولا ينقطع دخول الناس فيه ، أو ما رأيتمهم — وقد أذن بلال بالصلاة يسرعون الى المسجد ، فتزكو بينهم المودة ، وتقوى شوكتهم ، ويزيد عديدهم ؟

وديعة بن عامر : فقام وديعة بن عامر ، وقال : لقد جاعنى اليوم كتاب من أبى عامر الراهب (١) ، يذكر أنه من يوم أن ترك المدينة ما زال يسير ، ويكمن ، وينجد (٢) ، ويتهم (٣) حتى انتهى به المطاف الى هرقل ملك الروم ، فألفاه متعصبا للنصرانية ، محنقا من أمر محمد ، وأنه قد استنفره ، فوعده النفر ، وعما قريب سيعود الى المدينة فبماذا تشيرون ؟ وقد علمتم أننا لا نستطيع القيام في وجه محمد ، لقوة سلطانه ، ولولا ما تظهره من ملق ونفاق ما استطعنا أن نساكنه في المدينة وهو في ريبة منا أبدا ، وأرى أن نبني مسجدا ، ونتوهمه مصلى ، ونختار له اماما من بيننا . ونذهب الى محمد ، ندعوه للصلاة فيه مDAHنين ، وفي الظلام يتخذهُ أبو عامر ملجأ لما يريد ، وهذا مجمع بن جارية قارئ القرآن ، عارف بالفرائض ، ندعوه اماما لنا ، فأمن كلهم بهذا الرأي ، ثم بنوا المسجد ، وزين لهم الشيطان الآمال الخادعة .

ذهبوا الى رسول الله يدعونه للصلاة فيه : ثم ذهبوا الى رسول الله فألفوه متهيئا لغزو الروم ، فقالوا يا رسول الله ، انا بنينا مسجدا لتقام فيه الصلاة ، وتؤدى شعيرة الله ، وقد وقع اختيارنا على مجمع بن جارية ، ليكون اماما ، وهو حافظ للقرآن ، عالم بالفرائض ، بصير بما في كتاب الله ، ونحن ندعوك للصلاة فيه ، لننال الخير ، وتحف بنا البركة .

انا على جناح سفر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا على جناح سفر ، واكن اذا رجعنا ان شاء الله .

جبريل : ولما عاد رسول الله من غزو الروم حتى لم يبق بينه وبين المدينة الا يومان ، نزل عليه جبريل الأمين مبلغا عن الله : « والذين

(١) أبو عامر الراهب : خزرجى كان قد تنصر في الجاهلية ، وقرا علم أهل الكتاب . ولما قدم رسول الله الى المدينة بارز بالمداوة . ولما انتصر المسلمون يوم « بدر » ذهب الى « مكة » فارا واللب المشركين على رسول الله ، حتى كان يوم « أحد » وفيه أمتحن المسلمون ، ولما رأى صبرهم وإيمانهم ذهب الى « هرقل » ملك الروم .

(٢) ينجذ : من « النجد » وهو المكان المرتفع من الأرض .

(٣) يتهم : يأتى « تهامة » وهى المنخفض من الأرض .

اتخذوا مسجدا ضاررا ، وكفرا ، وتفريقا بين المؤمنين ، وأرصادا (١) لمن حارب الله ورسوله من قبل :
والله يشهد انهم لكاذبون ١٠٧ ، لا تقم فيه أبدا ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ١٠٨ ، آمن أسس بنيانه على تقوى يتطهروا ، والله يحب المطهرين
من الله ، ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا (٢) جرف (٣) هار (٤) ، فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ١٠٩ ، لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة (٥) في قلوبهم ، الا أن تقطع قلوبهم ، والله عليم حكيم ١١٠ .

وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل :

والله يحب المطهرين

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم :

فعرف الرسول قصتهم ، ولما وصل الى المدينة بعث رجلين ، فأحرقا المسجد ، وقوضاه ، وهدماه .

عرف الرسول قصتهم :
أحرقا المسجد :

ولما أصبحوا علموا أن الله قد فضح أمرهم « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

علموا أن الله قد فضح أمرهم :

■ — ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

هؤلاء بنو المصطلق غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل منهم من قتل ، ثم أصهر بهم ، وأسلموا .

غزا رسول الله بنى المصطلق :

ولما عاد الرسول الى المدينة بعث اليهم الوليد بن عقبة ، ليأخذ من أغنيائهم الصدقات ، فيعطيها لفقرائهم ، فخرجوا لاستقباله ، والاحتفاء به ، وكان بينه وبينهم عداة قديم ، فظنهم يبعون به شرا ، فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زاعما أن بنى المصطلق قد ارتدوا عن الاسلام ، ومنعوا الزكاة .

الوليد بن عقبة :
الصدقات :
خرجوا للاحتفاء به :
ظنهم يبعون به شرا :

فتهاى الرسول لغزوهم ، ولما بلغ ذلك القوم ذهب وفد منهم الى رسول الله ، وقالوا : « يا رسول الله ، خرجنا الى رسولك » لنحتفى به ، ونكرمه ، ونؤدى ما لدينا من الصدقات ، فأسرع اليك يزعم أنا قد ارتدنا عن الاسلام ، ومنعنا الزكاة » وخرجنا لنقتله ، ونحن مانزال على إيماننا ، وما أردنا به سوءا » فوقف رسول الله بين خبر الوليد وخبرهم ، لا يقضى بحكم ، حتى نزل عليه : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (٦) ان

تهاى الرسول لغزوهم :
وفد « بنى المصطلق » !
الوليد بن عقبة يزعم :
خبر الوليد وخبرهم :
فتبينوا :

(١) أرصادا : ترقيا .

(٢) على شفا : على حرف .

(٣) جرف : الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، كل حين يسقط شيء منه .

(٤) هار : ضعيف .

(٥) ريبة في قلوبهم : شكا ، ونفاقا .

(٦) فتبينوا : تعرفوا حقيقته .

تصيبوا (١) قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٦ ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر (٢) لعنتم ، ولكن الله حبيب اليكم الايمان ، وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون ٧ » .

لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم : أولئك هم الراشدون :

٦ - لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للجهاد : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم ، وأنفسكم في سبيل الله » .

دعا رسول الله المسلمين الى الجهاد :

ومن استطاع منكم الاتفاق عن سعة ، وفضل فلينفق ، ومن استطاع أن يحمل غيره فليحمل ، واعلموا أن وجهتنا غزو الروم فلا يتخلف أحد منكم ما استطاع الى الجهاد سبيلا » .

وجهتنا غزو الروم :

تسائل المسلمون : « ما بال الرسول يدعونا للجهاد والحر لافح ، ونحن في ضيق من العيش ، وعسرة من المال ، لم نجن الثمر ، ولم نحصد الزرع ، وكنا نرقب اليسر ، ونسرى عن نفوسنا بخير آت ، وبرزق مقبل » .

الحر لافح :

نسرى عن نفوسنا بخير آت :

وسرعان ما استعدوا للجهاد حين علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد العدة لصد بني الأصفر (٣) الذين أعدوا الجيوش لغز المسلمين ، وقد أثر ايذائهم ليهيئوا الشقة طويلة .

بنو الأصفر :

وقد تلقى المسلمون هذه الدعوة وهم غيما هم فيه من سوء الحال ، كل بحسب ما كتب له من التوفيق ، والهداية ، واليقين ، فالطامع الى الجنة ، الراجى رضوان الله لا يبالي الحر ، والقر (٤) ، والعسر ، واليسر ، والثناء والصيف ، والقوة ، والضعف ، فقد علموا أنه « لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ، ولا مخصصة (٥) في سبيل الله ، ولا يطئون (٦) موطننا يغيظ الكفار ، ولا ينالون (٧) من عدو نيل الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ١٢٠ ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ، ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ، ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ١٢١ » .

كل بحسب ما كتب له :

علموا أنهم لا يصيبهم ظمأ :

ان الله لا يضيع أجر المحسنين :

أما ذوو النفوس الحائرة بين الايمان والكفر ، واليقين والشك فانهم يميقتون الجهاد ، ويخشون سوء المصير .

ذو النفوس الحائرة :

- (١) أن تصيبوا : كرامة أن تصيبوا .
- (٢) لعنتم : لو تعنتم في « العنت » وهو المشقة والهلاك .
- (٣) بنو الأصفر : الروم .
- (٤) القر : البرد ، غزوة « تبوك » .
- (٥) مخصصة : جوع .
- (٦) لا يطئون موطننا : لا يدوسون مكانا .
- (٧) ولا ينالون من عدو نيل : ولا يصيبون منه شيئا كالقتل أو الأسر ، أو الغنم .

ولقد أسرع المسلمون فتطوعوا بأنفسهم ، وأموالهم ، وأعدوا غزوة « تبوك » :
عدتهم لغزوة تبوك ، ولم ينجح المنافقون في تخذيل المسلمين وثنيهم عن الخروج للجهاد .

أربعة لم ينتظموا :
ولكن أربعة لم ينتظموا في صفوف الغزاة الذين ماجت بهم الصحراء ، ولم يأخذوا أمكنتهم بينهم ، وهم من ذوى الغنى والإيمان ، وهم : أبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف .

وكعب بن مالك أخو سلمة .

ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف .

أبو خيثمة :
وهلال بن أمية أخو بنى واقف أما أبو خيثمة فقد ذهب إلى أهله في يوم حار بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما ، فوجد امرأته في عريشين لهما في حائطه (١) قد هيات كل منهما عريشها ، نظافة ، وماء ، وطعاما ، فوجد شرابا باردا ، ولحما غريضا (٢) وظلا وارغا ، وامرأتين تعملان على استعاده ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه في الحرب والبلاء ، لا يجدون الماء ، ولا يظفرون بالطعام :
قد هيات كل منهما عريشها :
لا يظفرون بالطعام :

هيا راحلته ولحق برسول الله :
فقال لامرأته : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ، وهيا راحلته ولحق به .

وأما الثلاثة : كعب ومرارة وهلال فقد قعدت بهم همتهم أول الأمر ، ثم سقط في أيديهم ، وثناهم الحياء عن اللحاق بالرسول ، ثم صرفهم التردد والحيرة ، وقضوا بالمدينة أياما نحسات ، وليالي نابغيات (٣) ، لا يرون فيها الا ضعيفا عذره الله ، أو مغموصا (٤) عليه بالنفاق ، فتقيض شئونهم .
قضوا بالمدينة أياما نحسات :

أقضت مضاجعهم :
وكلما اقتربت عودة الرسول أقضت مضاجعهم ، وضائق عليهم أنفسهم ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من الجهاد ، وذهب إلى المسجد كعادته يصلى ركعتين ثم يستقبل الناس .
عاد الرسول من الجهاد :

جاء قوم مخلفون :
وجاء قوم مخلفون أقسموا بالله جهد أيمانهم ، وبسطوا معاذيرهم ، فقبل علانيتهم ، وبايعهم ، ووكل إلى الله سرائرهم .

أقبل « كعب » مضطربا :
ثم أقبل كعب مضطربا ، متعثرا ، فقال له الرسول : « ما خلفك ؟ ألم تكن قد اتبعت ظهرك ؟ » ، فقال : « بلى يارسول الله ، والله

(١) حائطه : بستانه .

(٢) غريضا : طريا .

(٣) نابضات : طويلة من قول النابغة :

كليتى لهم يا أميرة ناحب

(٤) مغموص عليه : مطعون عليه .

لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت انى سأخرج من سخطه
بعذر ، ولقد اعطيت جدلا ، ولكنى والله لقد علمت انى لئن حدثتك
حديثا فيه كذب ترضى به عنى ليوثكن الله ان يسخطك على ، ولئن
حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو عفو الله ، والله
ما كان لى من عذر ، والله ما كنت أقوى ، ولا أيسر منى حين
تخلفت عنك » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا
فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك » .

ولقد اعطيت جدلا :

انى لأرجو عفو
الله :

قم حتى يقضى الله
فيك :

وجاء مرارة ، وجاء هلال ، فتحدثا بمثل ما تحدث به كعب ،
وتركهما رسول الله لقضاء الله كما ترك كعبا .

مرارة ، وهلال :
تركهما رسول الله
لقضاء الله :

ونهى رسول الله المسلمين عن كلامهم ، أو الاختلاط بهم حتى
يفصل الله فى أمرهم ، ان شاء عذبهم ، وان شاء تاب عليهم .
وأحسوا من جفوة رسول الله الجهد والبلاء ، ومن عزلة أصحابه
العنت ، والعناء ، وحاقت بهم الهموم .

جفوة رسول الله
وعزلة أصحابه :

وقد استكان مرارة بن الربيع وهلال بن مرة الى بيتهما يبيكان ،
وينتحبان ، ينتظران قضاء الله .

مرارة بن الربيع
وهلال بن مرة :

وأما كعب فقد اضطرب فيما يضطرب فيه الناس ، يغشى
الطرقات ، ويشهد الصلوات ، لا ينظر اليه أحد ، ولا يحدثه أحد ،
ومضى فى الطريق موزع الفكر ، فدفع اليه بنط من أبناط أهل الشام
كتابا من ملك غسان ، فاذا فيه : « أما بعد فقد بلغنى أن صاحبك
قد جفاك ، ولم يجعك الله بدار هوان ، ولا مضيقه ، فالحق بنا
نواسك ... » .

اضطرب « كعب »
فيما يضطرب فيه
الناس :

نبطى من أبناط أهل
الشام :

ولما قرأ هذا الكتاب بكى : أن كان كعب قد هان أمره ، وانحط
قدره ، وأصبح ممن يطمع فى دينه ، ويرجى تنصره ، ثم دفع بالكتاب
الى التنور .

بكى « كعب » :

وبعد أربعين يوما أرسل اليهم الرسول : « أن اعتزلوا أهلکم
حتى يقضى الله بالأمر فيکم » ، وظل أمرهم معلقا ، والحديث معهم
محظور حتى مضى عليهم خمسون يوما ، ثم أطرق الرسول بعد
صلاة الصبح رأسه ، وغاب عما حوله بروحه ، ثم أقبل على
صاحبه منشرح الصدر ، وأعلن فيهم : أن الله قد قبل توبة كعب
ومرارة وهلال ، « فاذهبوا اليهم مهئين مبشرين » .

بعد أربعين يوما
أرسل اليهم
الرسول أن
اعتزلوا أهلکم :
أقبل الرسول بعد
صلاة الصبح :

فخف الناس اليهم مسرعين مهئين ، وجرى كعب الى رسول
الله ، فوجده جالسا ، وحوله الناس فى المسجد ، فقال : « أبشر
بخير يوم عليك منذ ولدتك أمك » ، ثم أقبل هلال وأقبل مرارة
فهنأهما ، وتلا عليهما جميعا : « لقد تاب الله على النبی ،

خف الناس اليهم
مسرعين :

والمهاجرين ، والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ (١) قلوب فريق (٢) منهم ، ثم تاب عليهم ، انه بهم رعوف رحيم ١١٧

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار .. :
انه بهم رعوف رحيم :

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ، ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم ١١٨ .

ضاقت عليهم الأرض بما رحبت :
ظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه :
انه هو التواب الرحيم :

« الفتح »

استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه راضى النفس ، متهلل الوجه ، فدعا اليه صاحبه فراوه مستبشرا ، مسرورا ، فقالوا : « لعل هناك نبا سارا ! » .

الرسول راضى النفس متهلل الوجه :

ولما اكتمل جمعهم أفضى اليهم برؤيا شرح الله بها صدورهم ، وطيب نفوسهم « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رءوسكم ومقصرين » ، فتأهبوا للسفر ، واجعلوا غايئكم العمرة والطواف ، ولتشعروا (٣) الهدى (٤) ، تعظيما للبيت العتيق ، وذاعت الرؤيا في كل واد ، وان رؤيا رسول الله لتجى مثل ثلق النصبح ، لقد أصبحوا قاب قوسين ، أو أدنى من وطنهم الحبيب ، سيطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفا والمروة .

الرؤيا :
المسجد الحرام :
العمرة والطواف :
وطنهم الحبيب :

ولعل كلمة التوحيد تغلو مكة والمسجد الحرام .

كلمة التوحيد :

وفي الصباح نشطوا ، ونشطت آمالهم ، وأشرقت تباشير يومهم ، ساروا مطمئنين ، وفي منتصف الطريق سمعوا بشرا الخزاعى ، يقول : « أى رسول الله ، لقد دلفت — كما أمرتنى — الى قريش أتندس (٥) أسرارها ، وأتعرف أخبارها ، وما راعنى الا أن خبر مسيرك قد ترامى اليهم ، وحديث رؤياك قد هبط عليهم ، ولا أدرى كيف وقع عليهم الخبر ، ولا كيف استنشوا حديث الرؤيا ! فقال رسول الله : هيه يا بشر ، وبماذا قابلوا هذا الخبر ؟

« بشر » الخزاعى :
أتندس أسرارها :
هيه يا « بشر » :

وماذأ أعدوا للقاء ؟

قال بشر : انهم يا رسول اله قد خرجوا ومعهم العوذ المكافيل (٦) ولبسوا جلود النمر ، وعاهدوا أنفسهم الا تدخل عليهم مكة أبدا ،

العوذ المطافيل :

- (١) يزيغ : يميل عن الحق .
- (٢) فريق منهم : المراد : المتخلفون عن الخروج مع الرسول ، ومكثوا بالمدينة .
- (٣) أشعر الهدى ، وهو أن يشق جلده ، أو يطعنه حتى يظهر الدم .
- (٤) الهدى : ما يهذى الى البيت من النعم .
- (٥) أتندس : أتسقط الأسرار .
- (٦) العوذ المطافيل : النياق معها أولادها .

وهذا خالد بن الوليد ، وهو من يعدونه بهتهم (١) وفارس حليتهم ،
قد خرج يستقبلك بخيله ، ولعله الآن في كراع الغميم (٢) .

خالد بن الوليد :
كراع الغميم :

فزفر رسول الله زفرة مرسله من قرارة نفسه ، ثم قال :
يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، وماذا عليهم لو خلوا بني وبين
سائر العرب ، فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وان
أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام واقرين ! ، وان لم يفعلوا
قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ ، والله لا أزال أجاهد على هذا
الذي بعثنى الله به حتى يظهرني الله ، أو تنفرد عني هذه
السالفة (٣) .

مريح « قريش » :
ماذا عليهم لو خلوا
بيني وبين سائر
العرب :
فما تظن « قريش » ؟

وماذا يريد خالد ؟ نحن ما خرجنا مقاتلين ، ولا محاربين ، بل
خرجنا مسلمين ، موادعين ، وماذا لك يوم اشتباك القنا ، ولا تقابل
الأقران ، من يخرج بنا الى طريق غير طريقهم ، ويدفع بنا الى مكان
بعيد عن عيونهم ، وطلائعهم ؟ .

وماذا يريد « خالد » ؟
وماذا لك يوم
اشتباك القنا :
من يخرج بنا الى
طريق غير طريقهم ؟

رجل من أسلم

فتقدم رجل من أسلم — وكان بصيرا بالطرق : مستدقاتها ،
ومنعرجاتها — فأمسك بخطام القصواء (٤) ، فأضنى القوم وأجهدهم
في الطريق الوعر حتى انتهى بها وبهم الى سهل فسيح .

كان بصيرا بالطرق :
أجهدهم في الطريق
الوعر :

ساروا يحدهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء ، ولكن ناقة الرسول
وقفت في عرض الطريق ، فاستنهضها الرسول للسير فتمتنع ،
فقال : « لقد حبسها حابس الفيل عن مكة » وان وراء ذلك لشينا ،
وان في وقوفها لسرا ، والذي نفسى بيده لا تسألني قريش خطة
يعظمون فيها حرمان الله الا أعطيتهم اياها .

لكن ناقة الرسول
وقفت في عرض
الطريق :
ان في وقوفها
لسرا :

وأدرك الرسول أنه مصروف عن السير ، فأمر القوم أن يلتبسوا
مكانا فسيحا ، فكانت الحديبية ، وفيها أناخوا جمالهم ، ونصبوا
خيامهم ، وأقاموا الصوى (٥) ، والأعلام .

أدرك الرسول أنه
مصروف عن السير :

هذا بديل بن ورقاء ، قادم الينا ، انه من خزاعة
الصادقة ، الوفية ، سيصدقنا خبر قريش ، وأمرها ان كان قادما
من مكة ، ثم تهافتوا عليه ، وألقيت الأسئلة من كل ناحية .

بديل بن ورقاء :
تهافتوا عليه :

قال بديل : لست مطارحا بكلام حتى ينتهي مقامي عند محمد ،
ثم جلس الى الرسول ينفذ خبره ، فقال : يا محمد ، لقد جئتكم

جلس الى الرسول
ينفذ خبره :

- (١) البهمة : الشجاع الذي لا يعرف من أين أتى .
- (٢) كراع الغميم : موضع على ثلاثة أميال من « عسفان » .
- (٣) السالفة : صفحة العنق ، وانفرادها كناية عن القتل .
- (٤) القصواء : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٥) الصوى : جمع « صوة » ، وهي حجر يكون علامة في الطريق .

هذه الساعة وقريش لا تعلم من أمرى شيئا ، ولكنى سمعت تولا خشيت عليك من عاقبته ، ورايت شرا وددت عنك دفعه ، لقد غدوت بالأمس كدأبى على قريش فى متحدثهم ، فوجدتهم جلوسا يخوضون فى حديثك ، ويعيدون ، حديث كله غيظ ، وسخط ، وكله حق ، وحقد ، وان أنوفهم لترقع (١) ، وان قلوبهم لتكاد تتمزج أن علموا انك مقبل وصحبك الى مكة تطا حصاها ، وتجاوز حواها .

حديث ■ كله غيظ
وسخط :

وانتهى بهم الحديث أن أخذوا للحرب عدتهم ، وشدوا أوتارهم ، وراشوا سهامهم ، وأقسموا جهد أيمانهم الا تدخل عليهم مكة أبدا ، ثم أشهدوا على أنفسهم اللات والعزى ، وهبلم الأعلى ، وقد خشيت أن تؤخذ منهم على غرة ، أو ينالوك على غفلة ، فخذ لنفسك ، ولقومك ما تريد .

أخذوا للحرب
عدتهم :

خشيت أن تؤخذ
منهم على غرة :

قال الرسول : انما يا بديل ما جئنا نتحرف (٢) لقتال ، أو نقصد الى حرب ، ولكننا جئنا للبيت زائرين ، ولحزماته معظمين .

انما ما جئنا نتحرف
لقتال :

وهأنف ترى السيوف فى أغمادها ، والبدن مشعرة ، والقوم معتمرين ، ان شئت يا بديل فاحمل اليهم نبأنا ، وافصح لهم عن وجوه مقاصدنا ، لعل الله يحقن بك الدماء ، ويذيب ضغائن الصدور .

ان شئت فاحمل
اليهم نبأنا :

ثم عاد بديل الى مكة ، والقوم يخوضون فى حديث محمد : لقد أقسموا أن يمنعوا محمدا ، وودوا لو كفوا الحرب والكفاح ، ولما رأوا بديلا ، وعلموا أنه جاء من عند محمد هرعوا اليه ، قائلين : « ألم يكن محمدا ما كان من قتل صناديدنا ، وان ذكرياتهم لأمانا ، ويريد أن يغزونا فى دارنا ، وينال من عزتنا ! فما عندك ؟ » قال بديل : لقد جئت محمدا واستنبتته عن رأيه ، وتحدث الى عن عزمه ، ونيته ، انه لا يريد بكم حربا ، ولا يبغي عليكم عدوانا ، وانما جاء معتمرا ، وللبيت طائفا ومعظما ، ولقد أمضى الى برأى ارتاح اليه طبعى ، ووافق هوى عندى ، وفيه — لوحفظتموه — صلاح ذات البين ، واطفاء لوقدة الأحقاد ، وسل لسخائم النفوس : أن تخلوا طريقه للبيت يطوف ، ويعود ، ثم تهادئوه ويهادنكم ، وتتركوا شأنه مع العرب ، يظهر عليهم ، أو يظهرهم عليه ، وانتم بعد ذلك بالخيار ، تدخلون فيما يدخل فيه الناس ، أو تكونون بنجوة عن قتاله ، وعافية من معاداته ، وانى لكم فيما أقول مخلص السريرة ، أمين المغيب .

عاد « بديل » الى
مكة :
هرعوا الى «بديل» :
الم كيف « محمدا »
ما كان من قتل
صناديدنا ؟ :
بديل يتحدث :

انما جاء معتمرا
ولللبيت طائفا :

ثم تهادئوه ويهادنكم :

وانى لكم فيما أقول
مخلص السريرة :
هذا رأى فائل :

فقالوا : هذا الرأى فائل ، ومذهب خادع ، فاسد ، أن بديلا يريد أن يوطننا (٣) العشوة ، ويشبه علينا وجوه الرشد ، ويلبس صور

أن بديلا يريد أن
يوطننا العشوة :

(١) توقع : تتحرك من الغضب .

(٢) نتحرف : المراد : نستعد .

(٣) أوطأ العشوة : جعله على أمر غير رشيد .

السداد ، تنصحننا يا بديل أن نغمد سيوفنا ، ونطأطأء رعويسنا ،
وندع السبيل الى محمد يدخل مكة ونحن صاغرون ، أذلة !

ان في نصحك لريق
الحبة :

ان في نصحك لريق الحية ، وسم الأسود ، الست من خزاعة ،
وشأنك مع محمد اليوم معروف ، وشأن آبائك مع آبائه مشهور .

ليخرس لسانك ، واياك أن تخوض بعدها في هذا الحديث .

ليخرس لسانك :

قال بديل : « شأنكم وما تفعلون ، وغدا تعلمون » .

أبو سفيان :

قال أبو سفيان : « هذا الحليس بن علقمة ، سيد الأحابيش (١)
حاضر جمعنا ، وهو حليفنا ، وعليه حق جوارنا ، وفوق ذلك فان
له رأيا يمزق ظلمات الاشكال ، ويطبق مفاصل الصواب ، ليذهب
الى محمد رسولا أمينا ، ومبلغا كريما ، لعله يصده عن عزمه ،
ويحوله عن قصده ، ولننظر بعد ذلك ما يكون .

يطبق مفاصل
الصواب :

ورأى رسول الله الحليس مقبلا من بعيد ، فقال : هذا الحليس
مقبلا ، يظهر أن قريشا قد أرسلته سفيرا ، وهو من قوم يتألهون (٢) ،
فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه .

رأى رسول الله
الحليس :
ابعثوا الهدى في
وجهه حتى يراه :

وقد راع الحليس الابل قد أكلت اوبارها من طول ما حبست
فعاد الى قريش مغيظا ، يقول : « أيها القوم ، بشس والله ما طاش
سهمكم ، وقال رأيكم ، أتصدون عن البيت قوما أتوا معتمرين ،
وله معظمين ؟ أتجج الى البيت جذام ، وحمير ويمنع عن البيت
ابن عبد المطلب ، وله فيكم شرف ينطع النجوم ، ولأجداده عز يعلو
أجنحة النسور ! هلك قريش ورب الكعبة ان القوم أتوا معتمرين ،
والله ما على البغي عاهدناكم ، ولا على العدوان حالفناكم ، لكن
صددتم محمدا عن البيت لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد .

بشس والله ما طاش
سهمكم :

يمنع عن البيت « ابن
عبد المطلب » :

ان القوم أتوا
معتمرين :

قالوا مهلا يا ابن علقمة ، وأنظرنا نصنع لأمرنا ، ووجم القوم ،
وحاروا ، وأداروا حديثا حزينا ، مرا .

مهلا يا ابن علقمة :

ذلك محمد واقف على ثنيات (٣) مكة ، ويوشك أن يدخلها ، حقا
لقد تعاهدنا على الحرب ، وشحذنا عزائمتنا للدفاع ، ولكن ما غدا
الحرب ؟ وما فائدة الدفاع ؟

« محمد » واقف
على ثنيات « مكة »
ويوشك أن يدخلها :

ان محمدا يقدم علينا اليوم في قوم حاربناهم ، واشتبكت القنا
فيها بيننا وبينهم ، فوجدنا فيهم صبورا على القتال ، وجلدا على
الاستبسال ، ما فيهم الا ابن كريمة (٤) . ومانع حريم ، لقد اخترقت
النية أبطالنا ، وطوحت الحرب بفتياننا .

وجدنا فيهم صبورا
على القتال :

(١) الأحابيش : أحابيش « قريش » تحالفوا بالله انهم ليد « على غيرهم
ماسجاليل » ، ووضح نهار ومارسا « حبشى » - و « حبشى » بالضم : جبل
باسفل مكة .

(٢) يتألهون : يتمبدون . ويتنسلون .

(٣) الثنيات : جمع ثنية وهي الطريق . أو الجبل .

(٤) الكريمة : الحرب .

ولقد لقيناها يوم بدر فكان يوما منحوسا ، أغبر ۝ وحسبنا أننا هزمناهم يوم أحد ، وخضدنا منهم الشوكة ، ولكن ما أسرع ما اندملت القروح ، والتأمت الصفوف ، وعادوا يوم الخندق أشد ما يكونون منعة ، وأعظم ما أوتوا نصرا !

لقد لقيناها يوم
» بدر ۝ :
يوم « الخندق »

وهاهم أولاء يعنون اليوم طالبين بعد أن كانوا مطلوبين ، ومهاجمين بعد أن كانوا مدافعين ، انما لو دافعناهم فأكبر الظن أن الدائرة علينا ، والهزيمة تأخذ سبيلها إلينا ، وإن خيلناهم يدخلون البيت فانها هو عار نعصب به رعوينا ، ومسبة نخدش بها وجوه أحسابنا ، لا يكون لنا شأن بعدها ، انه لراى مضطرب ، وحيرة جائلة ، وأمر لا ندرى أثر آخره أم أوله ؟

يعودون اليوم
طالبين :
مسبة نخدش بها
وجوه أحسابنا :
أمر لا ندرى أثر
آخره أم أوله ۝ :

أراد نعيم بن مسعود — وقد لمس حيرتهم ، واضطرابهم — أن يدلى برأى ، فقال : أى قریش ، لقد علمتمونى من أشرف العرب نسبا ، وأبعدهم محتدا ، وأكرمهم أرومة ، ونجارا ، ولى فى ثقيف رئاسة ، وفى الطائف مك ، ثم انى — وإن كنت بعيدا فى الوطن عنكم — من صميمكم وأجرى على عروق فى أنسابكم ، وقد استبطنت سوادكم ، وتعرفت دخائلكم ، وفطنت إلى أموركم ، ولقد جربت منى من قبل فما اتهمتمونى فى نصيحة ولا تعلقتم على بكذبة ، وتذكرون انى استنفرت لكم أهل عكاظ من قبل ، فلما بلحوا (١) على جئتم بأهلى وولدى ، ومن أطاعنى ، وإن لى عليكم مشورة ، ورأيا ، وعندى لكم نصحا ، وبيانا ، دعونى أذهب اليه سفيرا عنكم ، ورسولا منكم ، أنافته (٢) ، وأناقله ، وأجمله ، وأصاوله ، فإن جئت اليكم من عنده بخطة فاقبلوا ، واعلموا انى سأرمى عن قوسكم ، وأصدر عن رأيكم ، وأرجو أن أكون موفقا مجدودا .

لقد علمتمونى من
أشرف العرب
نسبا :
قد استبطنت
سوادكم :
استنفرت لكم أهل
» عكاظ « :
دعونى أذهب سفيرا
عنكم :
وأرجو أن أكون
موفقا مجدودا :

فقالوا : انما يا أخا ثقيف ، ما اغتمرنا فيك رأيا ، ولا عهدنا عليك كذبا ، فإذهب حافظا للأمانة ، مفوضا فيما ترى .

إذهب حافظا
للأمانة :

ولما رأى نعيم بن مسعود أن المسلمين قد حاطوا الرسول بسياج من نفوسهم ، وملكوه عرش قلوبهم ، وقد وقرت مهابته ، وارتفعت مكانته فى الصدور والعيون تردد فى رسالته ، ثم جمع نفسه ، وشق الصفوف حتى وصل إلى الرسول ثم قال : يا محمد ما هذا الذى جمعت إليه جمعك ، وحشدت إليه جنسك ؟ أراك قد جمعت أوساب (٣) الناس ، وزمر القبائل ، ثم غدوت بهم على قومك من قریش ، تحاول أن تذلمهم ، وتنتهك حرمتهم ، أنها والله لقریش ، قد علم الناس صدقها عند اللقاء ، وصبرها على اللأواء (٤) ،

جمع نفسه :
ما هذا الذى جمعت
إليه جمعك ۝ :
أنها والله لقریش :

- (١) بلحوا : أبوا .
(٢) المنافة : المناطة ، والمناشة .
(٣) أوساب الناس : أخلاطهم .
(٤) اللأواء : الشدة ، والمحنة .

وكفاحها في البأساء ، هم مساعر (١) حرب ، واحتلاس (٢) خيول ، ولقد ترامي اليهم انك جئت غازيا ديارهم ، قاصدا الكيد بهم ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا وبقيت وحدك ، فلا أنت تحوط لنفسك ، ولا احتفظت بقومك ، فتدبر أي شر أنت قادم عليه ، وإي أمر أنت متصد له .

لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا:

قال الرسول : « لقد تحدثت الى بديل ، وتحدثت الى الحليس : اني ما جئت أبغى حربا ، أو أريد قتالا » وانما جئنا معتمرين ، وللبيت الحرام طائفين ، ومعظمين ، فان شاءوا خلوا لنا الطريق ، والا فان لنا معهم شأنا نترقب فيه أمر الله » .

لقد تحدثت الى « بديل » وتحدثت الى « الحليس » :

ثم عاد ابن مسعود الى قريش ، فقال لهم : « اسمعوا يا قوم لقد وفدت على الماوك ، وفدت على قيصر في ملكه ، وعلى كسرى في عزه ، وعلى النجاشي في عرشه ، فوالله ما رأيت رجلا يعظم قومه كما يعظم محمدا قومه .

عاد « ابن مسعود » الى « قريش » :

وقد اتوا اليه بمقاليدهم ، وأمكنوه من قيادهم ، وانهم لا يرجعون له قولا ، ولا يردون عليه رأيا ، فرووا رأيكم ، واقتدحوا زناد عقولكم ، والأمر نهايته بين أيديكم » .

أتوا اليه بمقاليدهم :

فقالوا — وقد أدركتهم الحمية : ان قريشا جسر لا يعبر ، وكف لا يوطأ ، وعقبة لا ترتقى ، ودون ما يبغى محمد شيب الغراب ومخ النعام .

ان « قريشا » جسر لا يعبر :

الصلح

قالت قريش : يظهر أن محمدا صادق العزم ، ماضى العزيمة ، وهؤلاء السفراء لم يستطيعوا أن يميلوه عن قصده ، أو يصرفوه عن عزمه ، أو يخذلوه في رأيه ، فقم يا بن مكرز بما عهدناه فيك : من شجاعة ، وحزم ، وما بلوناه فيك من قوة ، وبأس ، واختبر لنفسك نفرا ممن تراه ثبت الجنان ، صادق اللقاء ، رابط الجأش ، وطف بعسكر محمد ، فلعك تكسر سهامهم ، وتلقى الرعب في صدورهم ، فينكثوا ما أمروا (٢) ، وينقضوا ما غزلوا .

« محمد » صادق العزم : ابن مكرز :

طف بعسكر محمد :

فلما جن الليل طاف حفص بن مكرز بعسكر المسلمين ، فذعر فجأة ، ثم قال لمن معه : « قفوا يا رفاق ، من هذا الذي يخفر أصحاب محمد ؟ تبينوه معي ، كأني به محمد بن مسلمة ، انه هو ، أعرفه والله بقاتمه ، وسمته ، وبشيتته وعلاماته » وبخذه ، ويقظته ، فاحذروه ، فوالله ما هو الا ليث غاب ، ومسرعر حروب ، ليث غاب :

جن الليل : قفوا يا رفاق : احذروه : فوالله ما هو الا ليث غاب :

(١) مساعر : جمع مسعر « وهو موقد النار .
(٢) احتلاس الخيول : الملازمون لها « والجلس : كساء رقيق تحت «السر» .
(٣) أمر الحبل : شد قنطله .

انه لكاذب ينال باحدى مقلتيه ، وكالاسد الخادر (١) ، اذا كثر
عن نايه فان فتكه لا يصد ، وعزمه لا يرد ، فلما عرفوه مشيت
الرعدة في مفاصلهم ، وارهب ابن مسلمة أذنه ، فسمع همس كلام ،
ووقع أقدام : ترى من هؤلاء ؟ انهم قريش ، أبدأوا العدوان ،
يريدون حربا ، أيها القوم ، سلوا السيوف من أغمادها ، وابعثوا
العزائم من رقادها ، فهذه قريش قد برزت بطلائعها .

مشيت الرعدة في
مفاصلهم :

سلو السيوف من
أغمادها :

القوم يتعون أسرى : وبعد نزال ساعة أسرهم المسلمون .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاق سراحهم ، وفك
أصفادهم ، وتركهم ليرجعوا الى أوطانهم ، وأن يذهب خراش بعد
في أثرهم ، ليتعرف ما بنفس قريش بعد اطلاق أسراهم ، والتجاوز
عن مساعتهم .

أمر الرسول باطلاق
سراحهم :

ذهب خراش ، وعاد ، فقال : يا رسول الله ، ان قريشا مازالت
على مكرها ، وحنقها ، ومازالت الحفيظة تملا قلوب عامتها ،
انهم اذلوا وفادتي ، وعقروا ناقتي ، ولولا اجابيش لأطلوا (٢) دمي .

خراش :
مازالت على مكرها :

فأطرق الرسول ثم قال : « سنصابر القوم بالحلم ، ونعالجهم
بالصفح ، فلعلنا بهذا نستل سخائم (٣) صدورهم ، وننزع الغل من
قلوبهم » وربما كان قد هان عليهم أمر خراش واستخفوا بالسفير
من خزاعة .

سنصابر القوم
بالحلم :

فقم يا ابن الخطاب ، فان فيك رأيا ، وعقلا ، ولك في قريش
منزلة ، ومقاما ، اذهب اليهم ، وناضل عن قصدنا ، واشرح ما غم
عليهم من أمرنا ، وما لبس من مسالمتنا .

ان فيك رأيا وعقلا :

قال عمر : « أي رسول الله ، سمعا لقولك وطاعة لأمرك ،
ولكني أخاف هؤلاء القوم على نفسي ، ولا آمنهم على حياتي ، وليس
فيهم الا من يضمر لي حسيكة (٤) ، أو يخفي ضغنا ، وغلا ، وقد
نزع عن مكة من كان يشد ظهري من بني عدي (٥) ، فليس من
يحميني ، أو يدفع الشر عني ، ولكن هذا عثمان بن عفان لا يزال
له في مكة من أمية رحم ، ولا يعدم أن يصادف عندهم حاميا ،
فهناك معاوية وأبو سفيان ، وهناك عقبة وأبان (٦) ، وحسبه منهم
حماة .

سمعا لقولك
وطاعة لأمرك :

قد نزع من « مكة »
من كان يشد ظهري :
هذا عثمان بن
عفان لا يزال له
في مكة من
« أمية » رحم :

(١) الخادر : المستكن .

(٢) أطلوا دمي : سفكوا دمي .

(٣) سخائم : جمع سخيبة ، وهي الضفينة .

(٤) الحسيكة : الحقد ، والعداوة .

(٥) بنو عدي : قوم عمر .

(٦) أبان : هو أبان بن سعيد بن العاص .

عثمان بن عفان يذهب الى مكة سفيرا

ذهب عثمان بن عفان الى مكة ، وقرع باب أبان بن سعيد ، فخرج ، فقال : مرحبا بك يا ابن عمي ، كيف جئت في هذه الساعة ، وخلفت صاحبك محمدا ؟ قال : لقد قدمت سفيرا عنه ، ورسولا من عنده الى قريش ، أبين لهم ما خفى عليهم من أمره ، واكشف القناع عن قصده ، فاعل الأفعام تتقارب ، والأرواح تتعارف ، ولكنني أخاف على نفسي الإيذاء ، وأتوقع من قريش المكروه ، فاقبلني في جوارك ، وأدخلني في حماك ، بما بيننا من عصب مشيتك ، ورحم ماسة » .

قرع « عثمان » باب
« أبان بن سعيد » :
لقد قدمت سفيرا
عنه :
لعل الأفعام
تتقارب :
فاقبلني في جوارك :

فغدا به أبان على رؤساء قريش ، وقال هذا ابن عمي عثمان ابن عفان ورسول محمد ، وهو في جوارى وحماي ، فقبلوا جواره على كره ، ثم قالوا : أما أن يدخل محمد ويطوف بالبيت فدون ذلك عزة تملأ نفوسنا ، ونخوة تدوى في جوانحنا ، ولكنك ان أردت أنت الطواف فدونك وما تريد » .

غدا به « أبان » على
رؤساء قريش :
قبلوا جواره على
كره :

فأقسم عثمان ألا يطوف ما دام محمد ممنوعا .

أقسم « عثمان »
ألا يطوف ما دام
« محمد » ممنوعا :

وهمس في آذان المستضعفين من المسلمين الذين منعوا الهجرة : « ان يوم الفتح قريب ، وساعة الخلاص آتية ، وبلغ ذلك قريشا ، فحبسوا عثمان ، واستطار خبر قتل عثمان في المسلمين ، فذهلوا ، ثم سخطوا ، وثاروا ، واستعدوا للقتال .

ان يوم الفتح قريب :
استطار خبر قتل
« عثمان » :

وأعلن الرسول للمسلمين — وكادت تقطع أمام عينيه خيوط الرجاء — أن لأبراح من مكانه حتى يناجز القوم الحرب ، فجاء أبو سنان الأسدي ، وقال : أمدد يدك أبايعك يا رسول الله ، قال : علام تباعني يا أبا سنان ؟ قال : على ما في نفسك يا رسول الله : من تفدية للنفس ، وبذل للأرواح ، وما شئت من صبر ، واستبسال ، وجلاد ، وكفاح ... »

مناجزة القوم
الحرب :
« أبو سنان »
الأسدي :
البيعة :

وتابع المسلمون — أبا سنان — وعلم الله ما في قلوبهم ، فرضى عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، ووعدهم فتحا قريبا .

تابع المسلمون
« أبا سنان » :

وبينما المسلمون قد شهوروا سيوفهم للقتال اذ راوا سهيل ابن عمرو فجلس الى الرسول ، وقال يا محمد ، انه قد بلغنا خبر البيعة ، جعلتها ، وتفاريقها ، وان قريشا قد استقبلوا (١) عاقبة أمرهم ، وندموا على ما وقع بأيدي أشرارهم ، وعثمان لم يقتل ، ولكنه حبس ، وما حبس الا عن حلم طائش ، وراي فائل .

سهيل بن عمرو :
« قريش » قد ندموا
على ما وقع بأيدي
أشرارهم :
« عثمان » لم يقتل ،
ولكنه حبس :

(١) استوبل الشيء : لم يوافقه .

رسول موادة : وقد جنئت رسولا من قريش ، رسول موادة ، وسلام ، واصلح ، ووئام ، علنا نضيق مسافة الخلف ، ونسكن فورة النفوس ، وعثمان بعد ذلك بين يديك .

هدف رسول الله السلام : وهدف رسول الله السلام ، وتجنب ما يريق الدماء ، وقد أرسل لقريش بديلا ، وخراشا وعثمان يبغي هذا الصلح ، وحدث نعيما بما لا يدع مجالا للشك .

« قريش » قد ثابت الى رشدتها : وهذه قريش قد ثابت الى رشدتها ، ومدت يدها للصلح . وهذا سهيل رسولها يمكث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجاذبان الحديث ، ثم يطلعان على المسلمين بما اتفقا عليه : سهيل :

يرجع المسلمون بغير عمرة هذا العام : ١ — أن يرجع المسلمون بغير عمرة هذا العام ، فاذا كان العام المقبل جاء النبي وأصحابه الى مكة — وقد خلقتها قريش — فيقيمون فيها ثلاثا يعتَمرون ، وليس معهم من السلاح الا السيوف في القرب (١) .

ان تضع الحرب اوزارها : ٢ — وأن تضع الحرب بين الفريقين اوزارها عشر سنين . ٣ — ومن جاء الى المسلمين من قريش يرد عليهم ، ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون رده .

٤ — ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد دخل فيه .

حصرت بهذا العهد صدور المسلمين : فحصرت (٢) بهذا العهد صدور المسلمين .

وغيض « عمر » غضبا شديدا : أما عمر فقد غضب غضبا شديدا ، وأخذ منه الغيظ مأخذه .

« عمر » و«أبو بكر» الزم غرضه : ثم وقف على أبي بكر ، وقال : نشدتك الله يا أبا بكر : اليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى قال : فعلام نعطي الدنيا في ديننا ؟ فقال أبو بكر يا عمر الزم غرضه (٣) ، فاني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ولكني أشهدك أيضا : اني منذ الساعة التي رأيتني فيها مسلما بدار الأرقم ما شككت الا الساعة ، ولا اضطربت في قلبي العقيدة الا الآن ، وقد تخالجنى الريب ، وأخذت تدب في صدري عقارب الظنون .

ما شككت الا الساعة : ان تبسط خوالج نفسك بين يدي رسول الله :

ان تبسط خوالج نفسك بين يدي رسول الله : قال أبو بكر لا دواء لما قام بنفسك ، ولا مهدى لمورة غضبك الا أن تبسط خوالج نفسك بين يدي رسول الله ، فدونك هو ، كلمه وما بينك وبينه حجاب .

(١) القرب : جمع قراب .
(٢) حصرت صدورهم : ضاقت .
(٣) الزم غرضه : الزم أمره ، ونهيه .

اتسم « عمر »
بسلامة الفطرة :
وقد اتسم عمر بسلامة فطرته ، وطهارة سريرته ، ونقاء
ضميره ، بجهر بما يعتقد ، ويعلن ما يراه ، لا يخشى في الحق
لومة لائم ، وان خالف — فيما يظنه الحق — رسول الله .

بهذه النفس الكريمة
حدث رسول الله :
وبهذه النفس الكريمة ، وهذا الايمان الصادق حادث رسول
الله ، فقال : الست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : او لسنا
بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : او ليسوا بالمشركون ؟ قال : بلى ،
قال : « فعلام نعطي الدنيا في ديننا ؟ » قال رسول الله : « أنا
عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني » قال عمر :
او لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ،
فأخبرتك أنا نأتيه هذا العالم ؟

فانك آتية ومطوف
به :
قال : لا ، قال : فانك آتية ، ومطوف به ، فوجدت هذه الكلمات
سيبلها الى ثائرة عمر فسكنتها ، والى ما في نفسه من ريب
فاحتها .

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا : ليكتب العهد
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : ليكتب باسمك اللهم
فرفع على القلم يستوحى عبارة العهد من رسول الله ، فقال :
اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله — سهيل بن عمرو —
فأمسك سهيل بقلم على ، وقال : لا تفعل ثم التفت الى رسول
الله وقال : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن أكتب
اسمك واسم أبيك .

يكف بعضهم عن
بعض :
فقال رسول الله : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله —
سهيل بن عمرو ، اصطالحنا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن
فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا
من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع
محمد لم يردوه عليه .

بيننا عيبة مكفوفة :
وأنه بيننا عيبة (١) مكفوفة ، وأنه لا اسلال (٢) ، ولا اغلال (٣) ،
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب
أن يدخل في قريش وعهدهم دخل فيه .

« محمد » لا يدخل
« مكة » عامه
هذا :
وان محمدا يرجع عامه هذا ، فلا يدخل مكة ، فاذا كان عام
قابل خرجت منها قريش ، ودخلها بأصحابه ، فاقام بها ثلاثا ،
سلاح الراكب السيف في القرب .

شهد على الكتاب
رجال من الفريقين :
وفرغ على من الكتاب ، وشهد عليه رجال من الفريقين .

(١) عيبة مكفوفة : صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة .
(٢) الاسلال : السرقة .
(٣) الاغلال : الخيانة .

وقراه المسلمون وكأنها دفعوا به الى امر عظيم ليس لاحد منهم فيه يدان .

وبينما هم في هذه الحيرة اذ راوا ابا جندل بن سهيل يرسف في الحديد صارخا ، مستجيرا برسول الله ، وقال : يا رسول الله : « لقد وصلت الى دعوتك فأسلمت ، وبلغنى قرآنك فأمنت ، ولكن ما عرفت قریش » أتى صبات عن دينهم ، ومزقت عن آلهتهم حتى أوسعوني كيدا ، وتعذيبا ، وزادوني رهقا ، وتنكيلا ، وكم حاولت أن أهاجر اليك فسدوا في وجهي المسالك ، وكم حاولت أن أرحل عن مكثهم فحالوا بيني وبين ما أريد حتى خفت أن أفتن في ديني ، وأوذى في نفسي ، وأنت ترانى الآن مقيدا ، مغلولا ، فخذنى اليك مهاجرا ، مسلما ، مجاهدا في سبيل الله ، مقاتلا » .

ابوجندل بن سهيل :

بلغنى قرآنك فأمنت :

زادوني رهقا وتنكيلا :

خفت أن أفتن فى دينى :

ورأى سهيل ابنه ، وسمع قوله ، فسهم ، ووجم ولكنه قال : يا محمد ، لقد انتهينا من العقد قبل أن يأتيك هذا .

« سهيل » وابنه :

واذا فليس هناك ما يحول دون أن اردہ الى مكة راضيا ، أو ساخطا ، طائعا ، أو مكرها » .

قال رسول الله : صدقت ولك ما تريد ، ودفع سهيل ابنه الى مكة فأخذ يصيح : « يا معشر المسلمين ، أأرد الى المشركين يفتنوننى في دينى » ، فلمست صيحته أعماق القلوب ، وماذا يفعل المسلمون أمام قضاء الله ، ورسول الله انما يصدر عن امر الله وقد طمان الرسول ابا جندل ، وقال يا ابا جندل اصبر ، واحتسب ، فان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، انا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم ، وأعطونا عهدا أنا لا نغفر بهم .

صدقت ولك ما تريد :

رسول الله انما يصدر عن امر الله : طمان رسول الله ابا جندل » :

ثم نادى مناد في احياء مكة : من أراد أن يدخل فى عهد أحد الفريقين فليدخل ، فتواثبت بكر ، ودخلت في عهد قریش ، وتواثبت خزاعة ، ودخلت في عهد المسلمين .

المنادى ينادى فى احياء « مكة » :

ثم نادى المنادى عن رسول الله : « لقد قضى الأمر ، وعة العهد ، فتحالوا من احرامكم ، وانحسروا بعنكم ، واحلقوا ، أو قصروا شعوركهم ، ثم شدوا ابلکم للرحيل » .

نادى المنادى عن رسول الله :

والناس حائرة قلوبهم ، مضطربة نفوسهم ، زائفة عيونهم ، فلم يجيبوا ، ودعا الثالثة فلم يلبوا ، فبكر ذلك على الرسول ، ودخل على أم مسلمة مطرقا ، مهتما ! قالت : ما خطبك يا رسول الله ؟ قال : « هلك القوم ، دعوتهم للاحلال ، والحق ، والنحر فلم يجيبوا » ، قالت : « يا رسول الله : ان لهم فيك لاسوة حسنة ، وقدوة كريمة ، فاخرج اليهم ، وانحر ، واحلق ، وما أظن الا أنهم سيسيرون فى نهجك ، ويقتلدونك فى فعلك » .

الناس حائرة قلوبهم : أم مسلمة :

ان لهم فيك لاسوة حسنة :

خرج رسول الله الى الناس يقول : « اما ما أهمكم من العهد فان من ذهب اليهم منا فلا حاجة لنا به ، ومن جاعنا منهم فسيجعل الله له فرجا ، واما البيت فانكم ان شاء الله مطوفون به في قابل » .

خرج رسول الله الى الناس :

وما فعلت ما فعلت عن امرى ، وانما عن امر الله ، وهو نصيرى ، ولن يضيعنى » .

وما فعلت عن امرى :

ثم دعا الحلاق فطلق ، وعمد الى البدن فنحر ، وتحلل من الاعتمار فلانت عريكة القوم ، وطابت نفوسهم ، وأقبلوا محلقين ، ومقصرين ، ثم نحروا البدن وتحلوا من الاحرام ، ورجعوا الى المدينة لم يمسسهم سوء ، عطاشا الى البيت ، والى مكة منتظرين قضاء الله .

لانت عريكة القوم وطابت نفوسهم : ورجعوا الى المدينة :

نقض العهد

وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم — ان شاء الله — مطوفون في قابل ، وما ينطق عن الهوى ، وقد كانوا قبل اليوم أعز شأننا ، وأقوى سلطانا ، ولقد نسوا أبا جندل ، أو كادوا ، ولكن حادثا جديدا جدد الأسى ، وأعاد الهم .

وعد الرسول : وما ينطق عن الهوى : حادث جديد :

هذا أبو بصير واجف الفؤاد ، مضطربا ، للقيد والغل في رجليه وبديه آثار تبعث الآلام ، قال — وقد اطمأنت نفسه وسكنت : لقد هاجر محمد من مكة ، وما كان أبغض الى من دعوته ، ولا أثقل على نفسى من رسالته ، وكنت أحسبه خارجا عن قومه ، متجنيا على عشيرته ، حتى أتيت لى مرة في احدى سبحاتى بالليل أن سمعت رجلا يذلو شيئا من الكتاب الذى جاء به ، فوجدت في طبعى له ارتياحا ، وله في نفسى قبولا . فأسلمت ، وأزمنت الهجرة اليه ، ولكنى ما جهرت باعلان ما اعتقدت ، وما عرفوا ما اعتزمت حتى وضعوا في رجلى القيود ، وصفدوني تحت أعين الرقباء ، ولقيت من صنوف البلاء والأذى ما ينوء به كاهل الشجاع ، ولكنى في ساعة ، من غفلتهم ، واشتغالهم بشئونهم حطمت قيدي ، وفككت أسرى ، وفررت بنفسى ودينى ، لأشرككم في الخطوة : ولاكون معكم في الجهاد .

أبو بصير : ما كان أبغض الى من دعوته ! :

وجدت في طبعى له ارتياحا :

وضعوا في رجلى القيود :

فررت بنفسى ودينى :

ثم سار يريد الرسول ، وقبل أن يحدثه وجد اثنين من قريش اديه ، يذكرانه بالعهد .

وجد اثنين من « قريش » يذكرانه بالعهد :

قال أحدهما : يا محمد ، ما عرفناك غادرا ، صغيرا ، فكيف بك كبيرا .

قد أبق عن ديننا : هذا أبو بصير قد أبق (١) عن ديننا ، وانسلخ عن جمعنا ، وجاءك فاراً ، مسلماً ، وقد عاهدناك أن ترد من جاءك منا مسلماً ، وتدفع إلينا من القجأ فاراً . وقد أوفدتنا قريش ؟ لنرى مقدار قيسامك على العهد ، ورعايتك للميثاق .

دونكنا الرجل : قال رسول الله : ما نقضت العهد ، ولا حنثت في اليمين ، فدونكنا الرجل ، فخذاه ، ولعل الله يجعل له من أمره يسرا . وفى دينه مخرجاً .

شيع المسلمون : شيع المسلمون — أبا بصير — يغمرهم الأسى ، وينال منهم الحزن العميق . « أبا بصير » يغمرهم الأسى

لقد قتلت أحدهما : ولقد قتلت أحدهما . وألجأت ثانيهما إلى الفرار ، وقد وغيت بذمة الرسول ، وبررت بما قام به من عهد ، ولا على أن أقيم بينكم »

ويل أمه : فلما بلغ الرسول ما صنع أبو بصير قال : ويل أمه ، مسعرحرب لو كان معه رجال ، ولكن لابقاء له في المدينة ، فأى أرض يذهب يجد مراغماً (٢) ، وفى أى كان يصل يلقى الله .

مضطرب الفؤاد : وخرج أبو بصير مضطرب الفؤاد حزينا ، وألم المسلمون لما شديدا .

ثم هبط على المسلمين في المدينة — قرشى — جديد ، فظنوه مسلماً مستجيراً ، وقال له أحدهم : أمسلما جئت ؟ أنك لتعلم أن بينكم وبين الرسول — عهدا — ألا يحى مسلم — قرشياً — وأنه

لأمين على العهد ، وإن قریشاً لتوشك أن ترسل فى أثرك ، فمن الخير أن تطلب حى غير المدينة ، وأنا لفرجو لك فرجاً قريباً .

فضحك الرجل ثم قال : انكم حرزتم (٣) ، وتوهمتم فأخطأتم ، وما صدقتم ، لست مسلماً ، ولا فاراً ، وما اتخذت ديناً غير دين قومى ، ولكنى جئت محمداً فى أمر .

ثم دخل المسجد ، وتحدث إلى الرسول قائلاً : لقد أرسلتني قريش ، فيما حزبها من أمر أبى بصير ، وما يترصد لها من النكال ، لم يكفه أن قتل غيلة ، وغدرا رجلاً من خير رجالنا ، وفتى من أشجع فرساننا ، حتى وثب إلى سيف البحر ، فاتخذة مقراً يلجأ إليه كل هارب من قريش ، ويقيم عنده كل مسلم لم تتسع لدينه جنابات مكة ، وما كان يهمننا أمرهم ، أو نعبأ بجمعهم لولا أنهم أقاموا جنابات مكة : أرسلتني قريش ، فيما حزبها من أمر أبى بصير : قتل غيلة وغدرا رجلاً من خير رجالنا : لم تتسع لدينه جنابات مكة :

(١) أبق : فر .

(٢) المراغم : المذهب ، والمهرب .

(٣) الحزر : التقدير .

علينا حربا ، وسلوا دوننا سيفا ، وهم لا يسمعون بقافلة منا تذهب الى الشام ، أو ترجع الى مكة حتى يناوئوها في سيرها ، ويبدلوا أمنها خوفا ، ويوسعوا رجالها رعبا ، وفزعا ، ولسنا نرى — دفعا لشركهم ، أو ردا لجماعتهم — الا أن تعفينا من شرط أخذناه على أنفسنا ، وحسبناه خيرا لجماعتنا ، فإذا هو بلاء ، وشر ، وإذا هو محنة ، وعناء ، فلتضم اليك من جاء منا مسلما ، أو خرج عنا فارا .

ويبدلوا أمنها خوفا :
أن تعفينا من شرط أخذناه على أنفسنا :
فلتضم اليك من جاء منا مسلما أو خرج عنا فارا :

فلما سمع المسلمون هذا العرض من قريش ارتاحت — هونا ما — نفوسهم .

ثم أن قريشا وفّت بعهدهما ، فأخلت مكة للمسلمين أيام الحج ، فدخلوها معتمرين ، وطاقوا بالبيت ، ولكنها زورة خائف ، وطواف حذر ، والتجأ فريق منهم بعد صلاة العشاء الى سقيفة لهم يتحدثون ، حتى انتهوا الى ما كان بين خزاعة وبكر من عداة :

قريش أخلت «مكة» للمسلمين أيام الحج :
انتهوا الى ما كان بين خزاعة و «بكر» من عداة :

قال أحدهم : لقد حدثني أبى فيما كان يحدثنا به في ليالى سيره أنه لم يكن بين خزاعة وبكر قديما الا صلات موثقة العرا ، وطالما تحالفوا على غيرهما ، وكانوا نصراء على من يعتدى على أحد منهما ، حتى خرج مالك بن عباد حليف بكر تاجرا في أرض خزاعة فاعتدى عليه سقيط (١) فارداه قتيلا ، فاستطار شرر العداة ، ورنق صافي الود ، ويبس الثرى بينهما ، حتى ظهر محمد رسول الله بمكة فشغل به الناس .

طالما تحالفوا على غيرهما :
يبس الثرى بينهما :

ولما وقع صلح الحديبية ، ودخلت خزاعة في عهد المسلمين ، وبكر في عهد قريش عادت العداوة الى الظهور ، واتخذت سيرتها الأولى .

صلح الحديبية :

ثم هموا بالانصراف ، فسمعوا الكلب ينبح طارقا غريبا ، فذهب رجل ، وعاد ومعه « عمرو بن سالم » الخزاعى .

« عمرو بن سالم » الخزاعى :
أخذ « عمرو » مجلسه :

أخذ عمرو مجلسه ، ثم قال : ان ما جئت فيه الليلة ليس بعيدا عن هذه الحرب . وويلاتها ، وليس قصيا عن هذه العداوة ومايجرى في سبيلها :

لقد بدأ لنا في العداوة خطب جديد ، واضافنا هم طريف ، أصابت بكر فينا غرة مصبح يوم عند الوثير (٢) ، فأسالت دما ، ومزقت أشلاء ، وهمنا أن نأخذ لثارتنا ، وننتقم لقتلانا . لولا أن قريشا نقضت العهد ورفدت بكر بالسلاح ، وأمدتها بالرجال ، والكراع (٣) ، فكثر الجمع ، وغلب العدو ، واستمر فينا القتال .

بدأ في العداوة خطب جديد :
لولا أن « قريشا » نقضت العهد :

(١) السقيط : الاحيق .

(٢) الوثير : ما بين عرفة الى ادم .

(٣) الكراع : جباة الخيل .

لقد التجأنا الى
الحرم ■ :
دار « بديل » :

ولقد التجأنا الى الحرم نستجير بحرمه ، ونحتفى الى جواره ،
ولكنهم مارعوا له مقابا ، ولا حفظوا فيه جوارا ، ولولا من التجأ
الى دار بديل بن ورقاء لفنى من بمكة من خزاعة أجمعين .

ذاع النبأ ان
قريشا « نعقت
المهد :
عمرو بن سالم
ينشد بين يدي
الرسول :

وذاع النبأ : ان قريشا نعقت العهد ، وأعانت بكرا على
خزاعة ، ونصرت حليفا على حليف ، وهرع الناس الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو جالس و عمرو بن سالم ينشد
بين يديه بصوت متوجع :

يا رب انى ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا (١) ، وكنا والدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا
ودع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردوا
ان سيم خسفا وجهه تربدا
في غيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
وتقضوا ميثاقتك المؤكدا
وجعلوا لي في « كداء رصدا (٢)
وزعموا ان لست أدعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير (٣) هجدا
وقتلونا ركما وسجدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا .

ان قريشا أخلفوك
الموعد :
وهم أذل وأقل
عددا :

فقال الرسول : نصرت يا عمرو بن سالم ، ثم توجه الى الله
قائلا : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في
في بلادها .

نصرت يا « عمرو
ابن سالم » :

نصر مدين

أدركت قريش خطأها ، وشعروا بسوء المصير ، وأخذوا يقبلون
الرأى ، ثم انتهوا الى أن يذهب أبو سفيان الى المدينة فيوتق
العهد ، ويزيد في المدة .

أدركت « قريش »
خطأها :

سافر أبو سفيان ، فرأى حديث بكر و خزاعة قد اضطربت به
الأسنة ، فوجم ، وتوقع الخطب .

رأى حديث « بكر »
و « خزاعة » قد
اضطربت به
الأسنة :

يذهب أبو سفيان الى بيت الرسول موزع الفؤاد ، ثم يتحدث
الى بنته أم حبيبة (٤) أم المؤمنين « فترده ردا غير كريم » ثم يلتقى

ترده ردا غير كريم :

(١) يشير الى أن « عيد منافع » أمه من خزاعة .

(٢) كداء : موضع بأعلى « مكة » .

(٣) الوتير : الموضع الذي وقع فيه غدر « قريش » بخزاعة .

(٤) أم حبيبة : اسمها « رمة » تزوجها رسول الله ، وقد زوجه اياها « خالد
ابن سعيد بن العاص » وهما بأرض « الحبشة » وأصدقها « النجاشي » من رسول
الله « أربعمئة دينار » .

بعد برسول الله ، ثم بأبي بكر ثم بعمر ، فما يصيب الا صدا ، وسخطا ، وامتعاضا ، فيعود الى مكة يائسا ، منذرا أهلها ماكشف عنه هذا اللقاء الساخط .

ما يصيب الا صدا وسخطا :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتهيب ، وأعلن فيهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليشهد رمضان في المدينة . التأم جيش المسلمين في جمع لم يؤلف من قبل ، ورأى الرسول أن يضمن المسلمون بأسرارهم ، فيصيبوا قريشا على غير استعداد ، فلا تثار حرب ، ولا تزهق روح ، ولا يسفك في البلد الحرام دم .

أمر رسول الله بالتهيب :

رأى الرسول أن يضمن المسلمون بأسرارهم :

ساروا ترغرف فوثهم العقاب (١) ، وتحرسهم رعاية الله ، ويطلع عليهم في الطريق العباس بن عبد المطلب مهيبا ، جليلا ، فارعا ، بادنا في نفر من الناس فيقول : يا رسول الله ، لقد علمت أني أسلمت من عهد ، ولكنني ما استطعت أن أجهر بالإيمان ، وما استطعت أن أصبر بعد ذلك على الكتمان ، وقد خرجت مهاجرا الى الله ، واليك بنفسى ، وهاهم أولاء زوجى وولدى .

ساروا ترغرف فوثهم العقاب :

ما استطعت أن أصبر بعد ذلك على الكتمان :

قال رسول الله : مرحبا بك يا عم ، ليهنتك الاسلام ، وليبارك لك الله في الإيمان ، أرسل الى المدينة أهلك ، وولدك ، وأرجع معنا الى مكة حتى تشهد ما يكون بيننا وبين قريش .

ليبارك لك الله في الإيمان :

وأبصر العباس جيش المسلمين ، فقال : وارحمة لقريش ! ان دخل هذا الجيش مكة عنوة فانه سوف لا يبقى في قريش طفلا ، ولا كهلا ، ولا امرأة ، ولا رجلا ، وخرج الى الصحراء لعله يلقي أحدا فيحمله رسالته الى قريش أن يحضر كبراؤها ، ورؤساؤها الى محمد يؤمنونه على نفوسهم ، ويعاهدونه على تسليم حرمهم ، فيكون هذا أحقن لدمائهم وأبقى لحياتهم .

أبصر العباس جيش المسلمين :

وخرج الى الصحراء لعله يلقي أحدا فيحمله رسالة الى قريش :

ثم رأى أبا سفيان ، فقال عجا ! أنت أبو سفيان ! ما جاء بك في هذا الظلام يا أبا حنظلة ؟ قال هم العشرة ، وأمداح القبيلة ، ورزء الزمان ... لقد خرجت أتحسس خبر ابن أخيك . واطلعت على المسلمين ، وقد حذرت قريش الحرب ، وتوقعت الشر من يوم أن انتقض العهد ، وفجرنا في اليمين .

رأى «أبا سفيان» :

لقد خرجت أتحسس خبر ابن أخيك :

قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ان هذا محمدا رسول الله قريب منك ، في جند كعديد الرمل ، ولئن ظفر بك لأخشين أن تضرب عنقك ، وشديد على أن أرى رأس قريش مجذلا ، وشيخها مقتولا ، أركب معى هذه البغلة ، لعلنى أتى بك رسول الله أطلب لك الأمان ، واستوهب منه الحياة .

ويحك يا «أبا سفيان»

أركب معى :

(١) العقاب : اسم راية الرسول صلى الله عليه وسلم .

شاهد الناس أبا سفيان رديفا للعباس ، وراه عمر بن الخطاب ،
فوثب على قدميه ، وقال : أبا سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى
أمكن منك من غير عقد ، ولا عهد .

أبو سفيان رديف
للعباس :

وانطلق يعدو الى رسول الله ، قال : يا رسول الله ، هذا
أبو سفيان قد أمكن الله منه من غير عقد ، ولا عهد ، فدعنى
أضرب عنقه ، ليخبوا ضرام غيظى ، وتهدا شجرة ضلوعى .

انطلق يعدو الى
رسول الله :

قال العباس : يا رسول الله ، انى قد أجرت أبا سفيان . وأعطيته
الأمان ، وهيهات للرسول الأمين ، الكريم ، الحليم أن يرد جوارى ،
ويرجعنى فى أمانى .

انى قد أجرت
أبا سفيان :

قال عمر : ذاك يا رسول الله شيخ قريش يوم بدر ، ومحرضها
يوم أحد ، وزعيمها يوم الأحزاب ، وقد أمكن الله منه بعد عهد
نقضوه ، وحلف ضيعوه ، وان فى قتله لراحة للمسلمين ، وشفاء
لما فى الصدور .

ذاك يا رسول الله
شيخ قريش :

قال العباس : على رسلك يا عمر ، فوالله لو كان من قومك
من بنى عدى ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال
عبد مناف .

على رسلك
يا عمر :

قال عمر : لقد جاوزت الحد يا عباس ، فوالله لساعة اسلامك
يوم أسلمت أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى الا أن
عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله من اسلام الخطاب
لو أسلم .

وهم العباس بالكلام ، ولكن رسول الله حجز بينهما ، وفصل .
كريما ، حكيما ، ثم قال : يا عباس ، اذهب به الى رحلك ، ودعه
يقضى عندك هذا المساء ، ثم اثنتى به الغداة .

هم العباس
بالكلام :

فانطلق العباس بأبى سفيان ، راجيا أن يطعمه فى الاسلام ،
ولما غدوا ذهبا حتى جلسا بين يدى الرسول ، فقال الرسول : ويحك
يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله ؟ قال : بأبى
أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك ، وأوصلك ! والله لقد ظننت أن
لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيئا .

انطلق العباس بأبى
سفيان :

ألم يأن لك أن تعلم
أن لا اله الا الله ؟

قال : ويحك يا أبا سفيان ! « ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول
الله » ؟ قال : « بأبى أنت وأمى ، وما أحلمك ، وأوصلك ! أما
هذه والله فان فى النفس حتى الآن منها شيئا ! » .

ألم يأن لك أن تعلم
أنى رسول الله !

قال العباس : يا أبا سفيان ، لقد وضح الصبح لذى عينين ،
فإن كان على عينيك غمامة فارفعها ، وإن كان على قلبك غشاوة

لقد وضح الصبح
لذى عينين :

فمزقها ، وأسلم ، أبقاء على حياتك ، وحرصا على دنياك
وأخرك « .

اضطرب أبو سفيان ، وتردد ، ثم قال : « شهدت أن لا اله
إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » ، فسر بذلك الرسول والعباس ؛
ثم أخذ العباس بيد أبي سفيان ، وعلمه الوضوء والصلاة وبصره
بمبادئ الاسلام .

اضطرب
أبو سفيان
الوضوء والصلاة :

ثم رجع العباس إلى الرسول يقول : « يا رسول الله ، ان
أبا سفيان — كما أعلمه — رجل يحب الفخر ، ، وتميل به الخيلاء ،
وأنه حتى هذه الساعة لا يزال الاسلام غريبا في قلبه ، والعقيدة
غير مستقرة في نفسه ، فاجعل له شيئا يقضى به حاجة نفسه من
الزهو ، والمخيلة ، ويجعله في الاسلام أثبت قدما ، وأكبر يقينا .

أبو سفيان رجل
يحب الفخر :
أجعل له شيئا يقضى
به حاجة نفسه :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ! من دخل دار
أبي سفيان من مكة فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ،
ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن .

من دخل دار أبي
سفيان فهو آمن :

ويسمع أبو سفيان قول رسول الله ، فيصيح في عرسات
مكة : « يا معشر قريش قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به ، ومن
دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، فقامت إليه زوجته هند وقالت :
« اقتلوا الحميت (١) الذسم ، الأحبس (٢) ، قبحت من طليعة قوم ! » ،
قال : « يا قوم ، لا تفرنكم عن أنفسكم ! وقد نصحتكم ، وما أردت
إلا حقن دماءكم ، وحفظ أرواحكم ، ولقد جاءكم محمد بما لا قبل
لكم به » ، ففرز القوم وقالوا : « ويلك : وما تغنى عنا دارك ؟ »

قد جاءكم محمد
بما لا قبل لكم به :
لا تفرنكم هذه عن
أنفسكم :
لقد جاءكم «محمد»
بما لا قبل لكم به :

قال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » ، « ومن دخل المسجد
الحرام ، فهو آمن » .

فهرع الناس إلى المسجد والدور .

فهرع الناس إلى
« المسجد » و
« الدور » :

دخول رسول الله مكة

ودخل رسول الله مكة حائيا ظهره ، غاضا طرفه ، شكرا لله ،
وحمدا ، لابسا عمامته السوداء ، معتجرا (٣) شقة برد حمراء ،
لم يجد أمامه صاددا ، ولا شاكيا ، وهو يتلو :

دخل الرسول
مكة حائيا
ظهره غاضا
طرفه :

- (١) الحميت : السنين .
(٢) الأحبس : من لا خير فيه .
(٣) الاعتجار : لف العمامة .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطا مستقيما (٢) وينصرك الله نصرا عزيزا (٣) هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليهما حكيما ٤ ، ليدخل المؤمنين ، والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ٥ ، ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ، عليهم دائرة السوء ، وغضب الله عليهم ، ولعنهم ، وأعد لهم جهنم ، وساءت مصيرا ٦ ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عزيزا حكيما (٧) » .

ويهديك صراطا مستقيما :

ويكفر عنهم سيئاتهم :
عليهم دائرة السوء :
ولله جنود السموات والأرض :

ثم طاف بالبيت ، واستلم الركن ، واجتمع الناس فى المسجد ، ينظرون ما يقول محمد ، وما يصنع .

طاف بالبيت ، واستلم الركن :

ووقف الرسول على شرف المسجد ، وقال :

وقف الرسول على شرف المسجد :

« يا معشر قريش ، ما تظنون انى فاعل بكم ؟ »

ما تظنون انى فاعل بكم ؟ :

قالوا : « خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم » .

قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

اذهبوا فأنتم الطلقاء :

ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

يوم حنين

ها هو ذا دريد بن الصمة الخبير بأساليب القتال ، شب فيها ، واكتهل ، فهو — وان تهدم اليوم ، وفنى ، وليس فيه لقومه من بنى جشم من عون ، ولا عليه من معقول — فيصل فى الأحكام ، ومرجع فى المشكلات .

دريد بن الصمة :

بنو جشم !
فيصل فى الأحكام :

قال لقومه — وقد حملوه فى هودجه — « بأى واد أنتم ؟ » قالوا له : نحن بأوطاس (١) قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ، ضرس (٢) ، ولا سهل دهس (٣) ، ولكن مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصفير ، ويعار (٤) الشاء !

نعم مجال الخيل :

(١) أوطاس : مكان .

(٢) ضرس : صعب .

(٣) دهس : سهل .

(٤) يعار : الشديد من أصوات الشاء .

لقد ساق مالك بن عوف الناس للحرب : قالوا : لقد ساق مالك بن عوف الناس للحرب ، وحشد وراءهم أموالهم ، ونساءهم ، وأبناءهم .

دلونى عليه : قال دريد : دلونى عليه ■ فوالله ما أراه الا دبرى (١) الراى ، أفيل (٢) الفكرة ، أهكذا تكون الحرب ■

أمسك غلامه بخطام جملة حتى وقف به على مالك .

قال دريد : يا مالك ، لقد أصبحت بعدى رئيس القوم ، وزعيم الجماعة ، فحدثنى عن هذا الحشد .

قال مالك : هؤلاء قومى وقومك ، دفعت بهم الى لقاء محمد ، لقد علمت أنه قد دخل مكة فى جيش لم تر العرب مثله ، ولم يلق فيها صاداً ، ولا راداً ، ولم يصادف عقبة ، ولا عثرة ، فذلت له قریش ، ولم تعد لهم بعد فى مكة كلمة ، وأنه ليوشك — ان لم تغره — أن يغزونا ، وما يبعد — ان لم نستعد له — أن تذل له هوازن ، وتخضع نصر وجشم ، وتدين ثقيف ، ويصبح محمد ملك العرب جميعاً .

ولكننى — كما ترى — أعددت له قبل أن يعد لنا ، وأزمعت المسير اليه قبل أن يسير إلينا .

قال دريد : هؤلاء الرجال ، وهؤلاء الفرسان ■ ولكن ما هذا الذى أسمع : من رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، وبعار الشاء ■

قال مالك — وحسب أنه أصاب الراى — لقد خشيت هزيمة القوم وهم قلة بجانب أصحاب محمد ، ولهذا سقت وراءهم أموالهم . وأبناءهم ، ونساءهم ، وليقاتلوا ، ولعلمهم بهذا يكونون أصدق لقاء ، وأثبت أقداماً .

فهز دريد رأسه ، وقال : راعى ضأن (٣) والله ، وهل يرد المنهزم شيء ؟ أنها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ، ورمحه ، وان كانت عليك فضحت أهلك ومالك .

يا مالك أنك لم تصنع بتقديم البيضة : بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً ، أرفعهم الى متمنع بلادهم ، وعلياً قومهم ، ثم الو الصباة (٤) على متون الخيل ، فان كانت لك لحق بك من وراءك .

(١) الراى الدبرى : هو الذى يسبح بعد فوات الفرصة .

(٢) أفيل الفكرة : ضعيفها — وفى المحيط : مؤفل كمعظم .

(٣) راعى ضأن والله : قصد بذلك تجهيله .

(٤) الصباة : التاركون دينهم ■ وبهذا كان الكفار يسمون المسلمين .

أحرزت أهلك
ومالك :
اترك من سيخوض
غمارها :
وان كانت عليك أهلك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال مالك :
يا دريد ، لقد كبرت في السن ، وكبر علمك ، فدعها لمن يعرفها :
واترك من سيخوض غمارها ، ويدبر خطتها .

يا معشر هوازن :
ثم عاد الى القوم ، وقال : يا معشر هوازن لتطيعننى ، أو لاتكن
على سيفى فيخرج من ظهري .

عرفاء القوم :
قال عرفاء القوم : دونك يا مالك وما تريد .

الرسول يتهيأ
للمدينة :
مالك بن عوف :
وبينما الرسول يتهيأ للعودة الى المدينة اذا بالخبر يطير اليه :
أن مالك بن عوف يوشك أن يشتبك مع المؤمنين في قتال ، ومعه
هوازن وثقيف ونصر وجشم .

وجه الرسول دعوته
الى المسلمين للقاء
مالك :
فوجه رسول الله دعوته الى المسلمين للقاء مالك فلبوا دعوته
في جيش لم يعد من قبل .

عماية الصبح :
ارتاع المسلمون :
وخرج المسلمون في عماية (١) الصبح منحدرين الى وادى حنين (٢)
وقد سبقهم المشركون اليه ، وكمنوا في شعبه ، ثم خرجوا عليهم
فجأة ، فارتاع المسلمون لذلك ، ورجعوا متقهقرين ، وغزا الرعب
قلوبهم .

والرسول قد انحاز
الى ذات اليمين :
أنا محمد بن
عبد الله :
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد انحاز الى ذات اليمين
راكبا بغلته البيضاء ، وهو يصيح : « أين أيها الناس ؟ ، هلموا
الى أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » .

« أبو سفيان »
يكشف ما خفى من
حقده :
ثم يلتفت حوله فلا يجد الا أبا بكر وعمر وعليا والعباس ،
وقليلا من خاصته ، وأهل بيته ، وأبو سفيان يكشف ما خفى من
حقده ، ويقول : « ان هزيمتهم لا تنتهى الا الى البحر » .

كلدة بن حنبل :
ويصيح كلدة بن حنبل : الآن قد بطل السحر .

العباس :
يصل صوته الى
القلوب والنفوس :
ثم يدعو الرسول — العباس — ويأمره أن يهتف بالانصار ،
وكان العباس فارعا ، جهر الصوت « فنادى : « يا معشر
الانصار يا أصحاب السمره (٣) ، هذا رسول الله يدعوكم ،
ويستنصر بكم على عدوكم ، واذا بصوته يصل الى القلوب ،
والنفوس .

ويلبى الانصار ، قائلين : « لبيك يا رسول الله ، لبيك ... »

(١) عماية الصبح : ظلته .

(٢) حنين : بين الطائف ومكة .

(٣) السمره : الشجرة ، والمقصود : شجرة البيعة .

درس للمسلمين : لقد ارى الله المسلمين بذلك عاقبة غرورهم ، واطمئنأنهم الى كثرتهم ، وألقى عليهم درسا يفيدون منه في حياتهم .

رحمة الله قد وسعتهم : على أن رحمته قد وسعتهم ، فثبت أقدامهم ، وربط على قلوبهم ، وأمدهم بجنود لم يروها ، فانتصروا على المشركين ، والعاقبة للمتقين . النصر للمسلمين من رب العالمين :

قال الله تعالى في سورة « التوبة » :

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتمكم كثرتكم مواطن كثيرة : فلم تغن عنكم شيئا ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ٢٥ ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ٢٦ ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ، والله غفور رحيم « ٢٧ » :

أسس الرياسة عند الرسول

يكره أن يتميز على غيره : لقد كان أصغر أتباعه عنده كنفه ، يكره أن يتميز على غيره . اعداد « الشاة » في السفر :

روى أنه أمر أصحابه باصلاح شاة — وقد كان في سفر — فقال واحد منهم : على ذبحها ، وقال الثاني : على سلقها وقال الثالث : على طبخها . وعلى جمع الحطب :

فقال عليه السلام : وعلى جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله ، نكفيك العمل ، قال : « علمت أنكم تكفونني ، ولكن اكره أن أتميز عليكم ، ان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » .

حفر « الخندق » : ولم يرض الا أن يعمل بيديه مع المسلمين في حفر الخندق حول المدينة . حول « المدينة » :

قضاء حوائج الناس : ويرى أن في قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله ، فيقول : « ان لله تعالى عبادا اختصهم بحوائج الناس ، يفزع اليهم الناس في حوائجهم ، أولئك الأمنون من عذاب الله » .

حاسب الناس بما ظهر له : وقد وكل الضمير الى صاحبه ، والى الله ، وحاسب الناس بما ظهر له :

خرج الى الناس وهم يختصمون ، فقال : « انما أنا بشر ، وانه
لعل بمضكم أن يكون أبلغ من بعض
ليأتيني الخصم ، فلفل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب
أنه صدق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي
قطعة من النار فإياخذها ، أو فليتركها » .

كان سباقا الى
تقديم « الرحمة »
على « العدل » :
ولقد سبق المدعين من المصالحين المحدثين ، فدعا الى تقديم
الرحمة على العدل — ولم يدع قط الى غيرها — فقال : « ان الله
تعالى لما خلق الخاق كتب بيده على نفسه : « ان رحمتى تغلب
غضبتى » .

ان الله رفيق يحب
الرفق :
وقال : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى عليه ما لا يعطى
على العنف » .

وقال : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنتا ، ولا متعنتا ، ولكن
بعثنى معلما ، ميسرا » .

اختباره ايسر
الحكيم :
وروى عنه بعض اصحابه انه ما خير بين حكيمين الا اخذ
ايسرهما ، ما لم يكن فيه خرق للدين .

الاسلام دين العزة للفرد والمجموع

المسلم لا يخش
أحدا الا الله :
لقد برئت نفس المسلم من خشية غير الله ، وتلك البراءة
تستأصل منه الذلة من أصلها .

وكم من عزيز في رأى الناس ذليل في رأى نفسه ، بما يشعر من
رهبة ، أو رغبة عندما يلقي من يرهبه ، أو يرجوه ، من عدو ،
أو رئيس .

كفى الاسلام المسلم
شر الخضوع لغير
الله :
وقد كفى الاسلام المسلم شر الخضوع لغير الله ، وصان عزته ،
بما قرره من مبادئ المساواة وميزان الحق والعدل .

وقاه ذلة الفقر والدين ، بما فرض من حق الزكاة عند العجز ،
وبما حرم من الربا عند التداين وفي التعامل ، وبما تكفل به ولى
الأمر من سداد الدين عن المدين الذى يموت وليس فيما ترك سداد
لدينه .

وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا اولى
بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ، ولم يترك وفاء فعلينا
قضاؤه » .

العزة النفسية :
ان الدين فوق كل
شيء :
وقد كفل الاسلام للمسلم العزة النفسية ، اذ أمره بالهجرة من
بلد قد استذل فيه الى آخر يعز فيه ، ولو اضطر أن ينزل عن
بعض ماله ، لأن الدين فوق كل شيء .

فان لم يستطع الهجرة فعليه الا يسمع ما يشعره بالذلة في نفسه : من طعن في دينه ، وأن يترك مجلسا يهان دينه فيه .

وقد كان هذا في العهد المكي ، وأوائل العهد المدني من الرسالة قبل أن تقوى شوكة الاسلام .

كان الأمر بالهجرة لهذا قبل أن تقوى شوكة الاسلام :

يقول الله تعالى في سورة الأنعام — المكية — « وإذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وأما يئسنيك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

أعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره :

ويقول في سورة النساء — المدنية — وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ، ويستنهأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، أنكم إذا مثلهم . أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا » .

ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا :

وفيه تشبيه المسلم المتهاون المتساهل في ذلك بالمنافق والكافر أسوأ تهديد ، ووعيد .

تشبيه المسلم المتهاون في ذلك بالمنافق والكافر :

وان مبدأ الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله لهو أساس عزة الجماعة .

الجهاد في سبيل الله :

وقد قرر الاسلام أن المسلمين كافة آثمون اذا تركوا جهاد العدو ، ما لم تقم به طائفة منهم قوية تصده ، وتنقلب عليه .

ترك جهاد العدو :

وكان كل مسلم في عهد الرسول ، والخلافة الرشيدة ، وبعدها يحمل عبء الجهاد ، ويقوم بنفقة نفسه ، وتجهيزها ، وقد يقوم بتجهيز غيره ، فالاستعداد الفردي كان الزاما في صورة تطوع فحقق الله بذلك للجماعة العزة ، ولل فرد فضيلة الجهاد — عن رغبة — وقد أمر الاسلام الجماعة كلها بالاستعداد التام .

جهاد الفرد :
الاستعداد الفردي كان الزاما في صورة تطوع :
جهاد الجماعة والاستعداد التام له :

يقول الله تعالى في سورة « الأنفال » :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

كما قرر حماية الذمى ، لقاء مبلغ يسير يدفعه كل سنة ، وذلك من أجل مظاهر العزة ، في الاسلام .

حماية « الذمى » :

فالعزة في الأرض لله وللمؤمنين القائمين بحكم الله ، وان اهمال المسلمين دينهم دين العزة صيرهم فيما صاروا اليه اليوم .

العزة في الأرض لله وللمؤمنين القائمين بحكم الله :

العرب ومثل الاسلام العليا

١ - أضرمت الاسلام في قلوب العرب الجذوة المتأججة من نار الحماسة القومية ، والروحية ، فتمكنوا من القضاء على الامبراطوريتين العظيمتين : الفارسية والرومانية اللتين كانتا مهيمنتين على دنيا ذلك الزمان .

الحماسة القومية والروحية :

ثم قطعوا في سبيل الحضارة والعلوم أشواطاً لم يبلغها الأولون .

الحضارة والعلوم :

٢ - ولما اشتغل زعمائهم بالدنيا تاركين كل شيء وراءها بعدوا عن المثل الدينية العليا .

اشتغال زعمائهم بالدنيا :

هاتان صورتان تبعث أولاهما في نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا العظماء ، وترسل أخراهما ألواناً من الأسى والأسف من أجل السير في سبيل الضلال والأثرة .

هاتان صورتان :

اننا لنعرف هذا الداء ، ونصف الدواء ، ونرجو أن نعود الى مثل الاسلام العليا في عهد الثورة المجيد .

قال أبو بكر الصديق لابنته عائشة أم المؤمنين — وهو على فراش الموت — « أعامى يا بنتى أنى لم آخذ من أموال المسلمين وأفيائهم شيئاً ، وأنا أكلت من جريش طعامهم ، وأرتديت من خشن ثيابهم ، وليس لى من أموالهم سوى هذه القطيفة ، وهذه البغلة ، وهذا العبد ، فإذا مت فخذى هذا كله ، وسلميه الى عمر ، فقامت عائشة بما أوصى به أبوها بعد وفاته .

«أبو بكر» الصديق يوصى أم المؤمنين «عائشة» : جريش طعامهم وخشن ثيابهم :

فأعتق عمر — العبد — وأرسل القطيفة الى بيت المال .

ما قام به «عمر» :

ثم قال : أن ركبتيك يا عمر ينبغي أن تحملك من بيتك الى دار الحكم ، ورد البغلة الى بيت المال .

هكذا فعل حكامنا الأولون ، وبهذا صلحوا قديماً ، وهو سبيل هذه الأمة الدائم في الصلاح ، كما قيل : لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

حكامنا الأولون :

مكانة المرأة في الاسلام

كانت المرأة في الجاهلية متاعاً يورث ، ويوزع بين الوارثين توزيع السائبة .

المرأة في «الجاهلية» :

رفع من شأنها الاسلام ، وجعلها صاحبة حق مشروع ، ترث ، وتورث ، وتتصرف بمالها كما تشاء في حدود الدستور الاسلامى .

رفع الاسلام من شأنها :

دفنها في مهدها : وكان وجودها عارا ، وعبئا تفر منه العرب بدفنها في مهدها ، فرارا من هذا العار ، أو من نفقة طعامها ، ولباسها .

رعاية الاسلام لها : فرعاها الاسلام ، وعاقب من أساء اليها ، وما كانت في البلاد الأخرى بأحسن حالا منها في البلاد العربية .

من شمائل الرسول

« محمد » العطوف تعلق — وهو صبي بعمه أبى طالب : يود الرسول من عرفه ، ويخلص له الود دائما عليه ، حياته ، فلقد تعلق — وهو صبي — بعمه أبى طالب يوم سافر فلم يتركه ، وبكى على قبر أمه بكاء الذاكر لها — وهو شيخ قارب الستين — وعظم حنانه على حليمة مرضعته ، وحفاوته بها ، وأكرامه إياها — وقد جاوز الأربعين .

بكاءه على قبر أمه حنانه وحفاوته بمرضعته « حليمة »

مودة « أم أيمن » حاضنته : ولم ينس مودة أم أيمن — حاضنته — وسره أن تنعم بالحياة الزوجية .

عطفه على الكبير والصغير : وكان يبسط عطفه على الكبير والصغير ، وعم كل ضعيف حتى الحيوان .

رحمته بالخادم : قال أنس : « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لي : أف قط ، ولا قال شيء صنعت : لم صنعت » ولا لشيء تركته : لم تركته ؟

رحمته بالصغير ومعرفته حق الكبير صفاء قلبه : وهو القائل : من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وكان صافي القلب ، يرى في وجهه ما في قلبه إذا كره ، وإذا رضى .

يقول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله :

رحمته بالحيوان : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

صفات جعلته جديرا بأوفى حب ، وأكرمه :

انه لجدير بأوفى حب وأكرمه : فهذا زيد بن حارثة الذي خطف من أهله في صغره ، ثم لقيه أبوه ، وعرف كل صاحبه — شيقا اليه — بعد يأس طال أمده ، قد أثر البقاء مع سيده محمد على العودة مع أبيه .

يؤثر البقاء مع « محمد » على العودة مع أبيه : ويقول بلال — وقد أدركه الموت — واطرباه ! غدا ألقى الأحبة ، محمدا وصحبه .

« بلال بن رباح » :

وكثيرا ما عطف على أعدائه :

رحيم بالاعداء :

فقد أحسن الى من أساء اليه وعفا عن رجل هم بقتله وهو نائم .

وعامل الرسول عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس النفاق معاملة كانت مثلا للصفح الجميل .

عبد الله بن أبي
ابن سلول :

ولما مات أعطى ابنه قميصه يكفن به أباه ، وصلى عليه ، ووقف على قبره حتى دفن .

صلى عليه
ووقف على قبره
حتى دفن :

وحاول عمر بن الخطاب أن يثنى الرسول عن الصلاة عليه ، وذكره بالآية الكريمة : « استغفر لهم ، أولا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » فقال الرسول : « لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له زدت » .

عمر بن الخطاب
يثنى الرسول عن
الصلاة عليه :
يرد الرسول عليه :

محمد الشجاع

عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا — وقد سبقهم الى الصوت — وهو على فرس لأبي طلحة ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا ، فقال : « وجدناه بحرا ، أو أنه البحر ، وكان فرسا يبطىء » .

أنس بن مالك :
فرغ أهل « المدينة »
لم تراعوا ، لم
تراعوا :

محمد الجواد

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان ، ان جبريل عليه السلام كان يلقيه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ ، ويعرض عليه صلى الله عليه وسلم القرآن ، فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

ابن عباس :
رسول الله وجبريل
كان أجود بالخير
من الريح المرسلة :

حسن خلقه

عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله أحسن الناس خلقا .

أنس بن مالك :

وعنه — رضى الله عنه — قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي الى رسول

« أبو طلحة » يأخذ
بيد « أنس » :

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ان أنسا
غلام كيس ، فليخدمك . قال : فخدمته في السفر والحضر . والله
ما قال لى لشيء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ، ولا لشيء لم
أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟

فخدمته في السفر
والحضر :

سخاؤه

عن موسى بن أنس عن أبيه ، قال « ما سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا أعطاه » ، قال « فبجاء رجل
فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه » فقال : يا قوم ،
أسلموا ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من
لا يخشى الفاقة » .

ما سئل رسول الله
صلى الله عليه
وسلم على الاسلام
شيئا الا اعطاه :
ان محمدا يعطى
عطاء من لا يخشى
الفاقة .

كثرة حياته

عن أبي سعيد الخدري قال : « كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه
في وجهه » .

كان أشد حياء
من العذراء :

اختياره من المباح أسهله

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت :
« ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ
أيسرهما ، ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه ،
وما أنتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك
حرمة الله عز وجل » .

« عائشة » أم
المؤمنين :
فان كان اثما كان
أبعد الناس منه :

تواضعه

عن أنس رضي الله عنه : أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت :
« يا رسول الله ، ان لى اليك حاجة » فقال : « يا أم فلان ، انظري
أى السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك » (١) ، فخلا معها في بعض
الطرق حتى فرغت من حاجتها .

امرأة كان في عقلها
شيء :
خلا معها في بعض
الطرق حتى فرغت
من حاجتها :

(١) خلا معها : وقف معها في طريق مسلوكة حتى أفتاها فيما سألت عنه .

علمه بالله وخشيته منه

عن عائشة قالت : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ، فترخص فيه . فبلغ ذلك ناسا من أصحابه ، فكأنهم كرهوه ، وتنزهوا عنه ، فبلغه ذلك ، فقام خطيبا ، فقال : « ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه ، فكرهوه ، وتنزهوا عنه ، فوالله لأنا أعلمهم بالله ، وأشهدهم له خشية » .

منع رسول الله
أمرا فترخص فيه :

والله لأنا أعلمهم
بالله :

حجة الوداع (١)

عن يحيى بن سعيد قال : حدثنا جعفر قال : حدثنى أبى : قال : أتينا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، وهو فى بنى سلمة ، فسألناه عن حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بالمدينة تسع (٢) سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج هذا العام ، قال : فنزل المدينة بشر كثير كلهم يلتبس أن يأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفعل مثل ما يفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر (٣) بقين من ذى القعدة وخرجنا معه . رواه أحمد بلفظه — الفتح ج ٢١ ص ٢١٨ .

حجة النبى صلى
الله عليه وسلم :

مكث بالمدينة تسع
سنين لم يحج :
نزل « المدينة »
بشر كثير :

خطبة « الوداع » يوم « عرفة »

قال ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب — وكانت عند أبى سعيد الخدرى — عن أبى سعيد الخدرى قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم .

ابن اسحق :

وخطب خطبته التى بين فيها ما بين :

خطب خطبته :

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فانى لا أدري لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

اسمعوا قولى :

- (١) تعتبر « حجة الوداع » دستورا للحجاج الى يوم الدين ، وقد بلغ جملة من كان معه من أصحابه تسعين ألفا ، وقيل : مائة وعشرين ألفا .
- (٢) مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج : لم يحج فى هذه المدة ، ولكنه اعتبر ، وقد غرض الحج سنة تسع من الهجرة على رأى الكثيرين من العلماء .
- (٣) عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى « الحج » لخمس بقين من « ذى القعدة » .

أيها الناس ، ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم
حكمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم ،
فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها
الى من أثمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رعوس
أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون .

ان دماءكم وأموالكم
عليكم حرام !
وقد بلغت :

قضى الله أنه لا ربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ،
وان كل دم - كان في الجاهلية موضوع ، وان أول دماءكم أضع دم
ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث
فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية .

قضى الله أنه
« لا ربا » :
« ربا » عباس بن
عبد المطلب :
دم « ابن ربيعة
ابن الحارث ابن
عبد المطلب :

أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم
هذه أبدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون
من أعمالكم ، فاحذروا على دينكم .

ان الشيطان قد
يئس (من) ان
يعبد بأرضكم :

أيها الناس : ان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ،
يلحونه عاما ، ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا
ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية « ورجب مضر (١)
الذي بين جمادى وشعبان .

ان النسيء زيادة
في الكفر :

ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر
شهرا :

أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ،
لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة
مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ،
وتضربوهن ضربا غير مبرح (٢) ، فان انتهين فلهن رزقهن ، وكسوتهن
بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان (٣) ،
لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ،
واستحلتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فاني
قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا
بيننا كتاب الله ، وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولي ، واعقلوه ،
تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين اخوة ، فلا يحل
لامرء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه « فلا تظلمن أنفسكم ،
اللهم هل بلغت .

ان لكم على نسائكم
حقا ولهن عليكم حقا
عليهن ألا يأتين
بفاحشة مبينة :
لكم أن تهجروهن
في المضاجع :
فانهن عندكم عوان :
اعقلوا أيها الناس
قولي :
كتاب الله وسنة
رسوله :
ان المسلمين اخوة
اللهم نعم :

(١) أضيف « رجب » الى « مضر » لأنها كانت تعظمه دون سائر العرب .
(٢) غير مبرح : غير شديد ، نقول به الأمر ، اذ اشتد عليه ، وشق
(٣) عوان : جمع عاتية ، وهي الأسيرة ، وفي بعض الروايات : « عوار »
« بالراء » المهمل جمع « عارية » .

اللهم اشهد :
فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أشهد .

خطبة الرسول في حجة الوداع يوم النحر

يوم النحر :
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر ، فقال :

يوم حرام :
« أيها الناس ، أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام (١) .

ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام :
قال : فان دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، فأعادها مرارا ، ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت (٢) » .

لا ترجعوا بعدي كفارا :
قال ابن عباس رضى الله عنه : فالذى نفسى بيده انها لو وصيته الى أمته — فليبلغ الشاهد الغائب . لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

محمد يمجّد أصحابه

تكريم الصحابة :
جماعات :
« ان محمدا العظيم ليمجد أصحابه جماعات ، وفردا ، فيقول : الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا من بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » .

أصحابى كالنجوم :
ويقول : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

تكريم الصحابة :
مرادى :
وانه ليكرم كل واحد منهم ، فيقول :

سعد بن أبى وقاص :
أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلى باب مدينة العلم ، وابن الزبير حمالة المسجد ، وسعد ابن أبى وقاص مجاب الدعوات ، وطلحة بن عبيد الله الشهيد الدعوات :

(١) شهر حرام : يحرم فيه القتال ، وكذا فى اليوم ، والبلد .
(٢) هل بلغت ، هل بلغت : كرر ذلك ، لأن التبليغ فرض عليه « فاشهد الله انه بلغ ، وادى ما عليه .

الذى يمشى على الأرض . وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة . وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وحنظلة غسيل الملائكة ، وجعفر بن أبى طالب الطيار فى الجنة ذو الجناحين . . الى غير ذلك من روائع التكريم .

« خالد بن الوليد »
سيف الله المسلول

فرح الرسول بأصحابه

وبهذا نستطيع أن نقول : أن محمداً قد بعث عظمته فى صحابته وشاركهم فى صفاته ، وبركاته ، وشاورهم فى كبر الأمور ، وصغيرها ، وأفاض عليهم تحياته وأكرامه .

شاركهم فى صفاته

وقدر كل عامل ، وشكر لكل فاضل ، وفرح لما يجرى من المكارم على أيدي صحبه .

شكر لكل فاضل :

فعلى الراعى أن يقدر العاملين ، ويعمل — جاهداً — على تهيئة الفرص للنابهين .

واجب الراعى :

وعلى الأمة أن تقتدى براعيها ، فتكثر بذلك الكفايات والعبقريات .

واجب الرعية :

كيف نشر دين محمد

لقد أخطأ من تحدث عن نشر دين محمد بحد السيف ، واتخذوا هذا برهانا على كذبه ، وأنه طاغية ، متجبر من أولئك الطفافة المتجبرين الذين يريدون المجد بالقوة .

خطأ من زعم أن « دين محمد » نشر بحد السيف :

فقالوا : انه لولا السيف والحرب ما انتشر دين محمد ، وما وجد أنصارا ، وفاتهم أن الاسلام فى عهده الأول كان هو المعتدى عليه ، ولم يعتد على أحد .

لولا السيف والحرب ما انتشر «دين محمد» الاسلام فى عهده الأول كان هو المعتدى عليه :

فلما اجتمع العرب على النبى صلى الله عليه وسلم قاتلوا من قاتلهم : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعمدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » .

المسلمون لم يعتدوا

ولقد صبر المسلمون على المشركين طويلا حتى نزل قوله تعالى : وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

صبر المسلمين على المشركين :

وكانت حروب المسلمين حروب دفاع لا هجوم ، الا ما كان على سبيل المبادرة بالدفاع بعد ايقان من نكث العهد ، والاصرار على القتال .

حروب المسلمين حروب دفاع : المبادرة بالدفاع :

لم انتصر الاسلام ؟

لقد انتصر هذا الدين ، لأنه الحق الذي ينشر نفسه ، فلا ضير على الحق أن ينشر ، سواء باللسان كان أم بالسيف ، أم بغيرهما ، لأن الحقائق يجب أن يظل سلطانها في كل مكان .

انتصر هذا الدين
لأنه الحق :

أنه حكم الطبيعة ، وما أعدله ! والحق لا ينهزم ، لأنه أعمق جذورا ، وأكثر أعرافا في الطبيعة : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

ما أعدل حكم
الطبيعة :
وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض :

عظمة محمد

أن عظمة محمد قد اجتمعت له من شتى نواحيه ، وليس في الوجود انسان رزق العقل والرشاد ، وأوتى الحكمة ، والسداد يفيض هذا الرجل العظيم .

شتى نواحي
« محمد »

فلقد برىء طبعه من الرياء ، واستقل برأيه ، لا يعول الا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه ، ليس بالتكبر ، ولكنه لم يكن الخانع الذليل ، يخاطب بقوله الحر المبين أباطرة الروم وأكاسرة الفرس ، وهو مرتد جلبابه المرقع ، كما أنشأه ربه ، وكما أراد له .

برىء من « الرياء »
والكبر :
ليس بالخانع :
أباطرة الروم
وأكاسرة الفرس :

يضع نفسه في موضعها اللائق بها فلا يقسو حيث تستحب الرحمة ولا يرحم حيث تقيد الشدة .

القسوة والرحمة :

لم تخل حروبه المتعددة مع الأعراب من مظاهر القسوة ، ولكنها لم تخل من مشاهد الرحمة وسعة الصدر غير معتذر من الأولى ، ولا فخور بالثانية . عرف بمضاء العزم ، لا يؤخر عمل يومه الى غده ، فلقد نظر الى المسلمين نظرتة النافذة الى قلوبهم ، وبين لهم ضعف موقفهم حين امتنعوا عن السير الى ساحات القتال في غزوة تبوك . فلم يسعهم الا اذعان لرأيه .

حروبه مع الأعراب
مضاء العزم :
غزوة تبوك :

يعرف الطريق الى الله ، فالصدق أساسه ، وأساس ما جاء به من فضل ، ومحمدة .

يعرف الطريق الى
الله :

والاخلاص الحر العميق أول خواصه ، لأن الوجود يروده ، ويهوله ، ويرى الكون مدهشا ، ومخيفا ، فلم تفارقه هذه الحقيقة منقوشة بحروف من الذهب ماعاش .

الاخلاص الحر
العميق :

وان نظرتة هذه الى الكون لأكبر برهان على عظمتة ، وصدق رسالته .

نظرتة الى الكون :

الآية الكبرى : فالآية الكبرى في رايه ذلك العالم يستدل به على الخالق المبدع ، فهو عنده آية الآيات ، ينظر اليه على أنه سر من أسرار الحياة .

سر الرسالة

سر الرسالة وسمو النبوة : ان عظمته المتجمعة في شخصه قد وزعت على أصحابه ، فظهر بذلك سر الرسالة ، وسمو النبوة :

أبو بكر : فهذا أبو بكر الصديق يسطع نور يقينه ، فيصفه الرسول بقوله : « لو وزن ايمان أبي بكر بايمان هذه الأمة لرجح ايمان أبي بكر على ايمان هذه الأمة .

عمر بن الخطاب . وهذا عمر بن الخطاب يعمق تفكيره ، ويحسن تدبيره ، ويؤصل رايه ، فيقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : ان الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

عثمان بن عفان : وذلك عثمان بن عفان تدمث أخلاقه ، وترق طباعه ، ويشند حياؤه حتى يستحي من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله ، فيصفه صاحب الرسالة بقوله : أصدق أمتي حياء عثمان .

ان الرسول ليستحي منه : وان الرسول ليستحي منه ، فاذا سألته عائشة عن ذلك قال : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟

على بن أبي طالب الى تعرفت أم الى تشوقت ؟ وأما على بن أبي طالب فقد بلغ من زهده وتقشفه أن هنت أمامه أعراض الحياة ، ولذائذ العيش ، فيوجه الى الدنيا قوله : يا دنيا غري غري ، الى تعرضت أم الى تشوقت ؟ هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن ، آه من طول الطريق ، وقلة الزاد ، ووحشة السفر .

أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

« خديجة بنت خويلد » قرشية :

خديجة بنت خويلد

هي أول من تزوج ، ولها أربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، خطبته لنفسها بنفسها ، وكانت أول من أسلم ، فأقامت معه خمسا وعشرين سنة ، قضى زهرة حياته ، وعنفوان شبابه ولم يتزوج غيرها . وولدت للرسول ولده كلهم عدا ابراهيم . وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد .

سودة بنت زمعه : « سودة بنت زمعة » قرشية :

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة ، كفلها صلى الله عليه وسلم — وهو المثل الأعلى للمرأة — بعد موت زوجها ، وكانت مسنة ، ولم يكن معه غيرها ، ومكث معها خمس سنين الى أن تزوج السيدة عائشة في السنة الاولى من الهجرة .

عائشة بنت ابي بكر : « عائشة بنت ابي بكر » قرشية :

تزوجها بمكة وهي بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ولم يتزوج بكرا غيرها : مكافأة لأبيها ، واحكاما للرابطة بينهما .

زينب بنت جحش : « زينب بنت جحش » : عربية :

وهي بنت عمته ، وكان قد زوجها لمولاه زيد بن حارثة وتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد ، للتشريع ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا .

هند بنت ابي أمية : « أم سلمة : هند بنت ابي أمية » : قرشية :

وكانت تحت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد — أبو سلمة — الذي مات من جرح أصابه في غزوة أحد .

حفصة بنت عمر : « حفصة بنت عمر بن الخطاب » قرشية :

وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمي ، ومات عنها من جراح أصابته بيدر ، وتزوجها رسول الله حيا في أبيها الذي سره كل السرور هذا النسب الشريف .

أم حبيبة : « أم حبيبة : رمة بنت ابي سفيان » قرشية :

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك الحبشة حين سمع بانقطاعها ، وفقد نصرائها ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي الذي هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم تنصر ومات بالحبشة .

تنصر ومات بالحبشة :

جويرية : « جويرية بنت الحارث » عربية :

كانت سيدة بنى المصطلق وبنيت سيدهم ، وقد قتل زوجها مساقع ابن صفوان المصطلقى كافرا يوم المريسيع فكانت من بين أسرى بنى المصطلق ، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، يوم « المريسيع » :

سيدة « بنى المصطلق » : يوم « المريسيع » :

فلما سمع المسلمون بذلك اعتقوا من في أيديهم من بنى المصطلق ، وقالوا : هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم بسببها بنو المصطلق ، وحسن إسلامهم .

أصهار رسول الله

((صفية بنت حيى بن أخطب)) غير عربية :

صفية بنت حيى بن أخطب :

هى بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، قتل عنها زوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق - يوم خيبر ، فسبأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتقها ، ثم تزوجها ، رغبة فى اسلام قومها اليهود ، وقد أسلم كثير منهم .

حيى بن أخطب :

كنانة بن الربيع :

يوم خيبر !

تزوجها رسول

الله :

((ميمونة بنت الحارث الهلالية)) عربية :

ميمونة بنت

الحارث :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها وسنها زهاء خمسين سنة ، ايواء لها ، وتألفا لقومها .

((زينب بنت خزيمة)) عربية :

زينب بنت خزيمة :

وكانت قبله عند عبد الله بن جحش ، فقتل عنها يوم أحد .

عبد الله بن

جحش :

يوم « أحد » :

عبدة بن الحارث :

جهم بن عمرو :

أم المساكين :

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ايواء لها ، وجبرا لمصابها فى زوجها عبد الله ، وحفظا لدينها .

تزوجها ايواء لها :

وحفظا لدينها :

هؤلاء احدى عشرة بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن تسع ، ومات قبله منهن ثنتان .

لم يدخل رسول الله باثنتين من زوجاته

هما : ((أسماء بنت النعمان الكندية)) عربية :

تزوجها فوجد بها بياضا ، فمتعها ، وردھا الى أهلها .

((عمرة بنت يزيد الكلابية)) عربية :

استعازت من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت حديثة عهد بكفر - فردھا الى أهلها .

مرض النبي صلى الله عليه وسلم

ميمونة «زوجته» : ابتدا مرضه عليه الصلاة والسلام في بيت ميمونة زوجته ، ومكث مريضا ثلاثة عشر يوما .

عائشة : عن عائشة رضى الله عنها قالت :

فاطمة : دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه ، فسارها بشيء ، فبكيت ثم دعاها ، فسارها بشيء ، فضحكت ، فسألناها عن ذلك ، فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيت ، ثم سارني ، فأخبرني أول أهله يتبعه ، فضحكت .

البخارى ج ٦ ص ١٠

رغبته عليه السلام في أن يمرض في بيت عائشة

يمرض الرسول في بيت عائشة : عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض ، بين العباس ابن عبد المطلب وبين رجل آخر ، قال عبيد الله : فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة ، قال لي عبد الله بن عباس : أتدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ قلت : لا قال ابن عباس : هو علي ، وكانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل بيتي اشتد به وجعه ، قال : هريقوا (١) علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن (٢) لعلي أعهد إلى الناس ، فأجلسناه في مخضب (٣) لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عايه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن ، قالت : ثم خرج إلى الناس فصلى بهم ، وخطبهم (٤) .

عباس بن عبد المطلب وآخر : هو علي : سبع قرب : طفقنا نصب عليه من تلك القرب : البخارى ج ٦ ص ١١

(١) يقال : أراق الماء - يريقه - وهراقه . ويقال فيه : أهرقت الماء ، أهرقته أهرقا .
(٢) أوكيتهن : الوكاء : الخيط الذي تشد به الصرة ، والكيس ، وغيرها .
(٣) المخضب : اناء كبير يفتسل فيه ، والحكة في كونه « سبعا » أن لها خاصية في رفع بعض الأمراض .
(٤) في حديث عن « ابن عباس » أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في مرضه ، وفي خطبته : « لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت « أبا بكر » خليلًا » الحديث .

تعوذه عليه السلام في مرضه

عروة :
نفث على نفسه بالمعوذات :
طفنت أنفث على نفسه بالمعوذات :
عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى نصبا نفث (١) على نفسه بالمعوذات (٢) ، ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث ، ومسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم عنه .

البخارى ج ٦ ص ١١

دعاؤه عليه السلام

في مرض موته

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم :
وهو مسند الى ظهره :
عن عباد بن عبد الله بن الزبير أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصفت اليه قبل أن يموت ، وهو مسند الى ظهره يقول : « اللهم اغفر لي ، وارحمني » الحقنى بالرفيق الأعلى » .

البخارى ج ٦ ص ١١

استنانه عليه السلام بالسواك

في مرض موته

عبد الرحمن بن أبي بكر :
مع عبد الرحمن سواك رطب يستن به :
استن به :
عن عائشة دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدرى ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن (٣) به ، فأمد (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره ، فأخذت السواك ، فقضته (٥) : ونفضته ، وطيبته ، ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستن به ، فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استنانا قط أحسن منه ،

- (١) نفث : ثقل بغير ريق أو مع ريق خفيف .
(٢) أى يقرؤها ماسحا لجسده عند تراعتها ، وكان يفعل ذلك عندما يأوى الى مضجعه ، والمعوذات « قل هو الله أحمى ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، على التظليل » .
(٣) يستن به : يستاك به .
(٤) أى مد نظره اليه .
(٥) القضم : الأخذ بأطراف الأسنان ، أى : مضغته ولينته — أى بالماء .
الحاقنة : ما سفل من الذقن .
الذافنة : ما علا منه ، وهذا لا يغير الحديث ، أن رأسه كان على فخذهما ، لأنه محبوب على أنها رفعت من فخذهما الى صدرها .

فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده « أو أصبعه ، ثم قال : في الرفيق الأعلى ثلاثا ، ثم قضى « وكانت تقول : مات بين حاقنتي وذاقنتي .

البخارى ج ٦ ص ١٠

سروره عليه السلام في مرض موته باجتماع أصحابه على أبي بكر في الصلاة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه :

أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبه ، ليصل الصف . وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة ، فقال أنس : وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار اليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة ، وأرخى الستر .

المسلمون في صلاة
الفجر :

نظر اليهم رسول
الله وهم في صفوف
الصلاة :

هم المسلمون أن
يفتتنوا :

البخارى ج ٦ ص ١٣

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي عمرو ذكوان مولى عائشة رضى الله عنها ، أنها كانت تقول : أن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي ، وبين سحري (١) ونحري ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ، دخل على عبد الرحمن ويده السواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت ينظر إلى ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت : ألبنه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فلينته وبين يديه ركوة (٢) أو علبه فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « لا إله إلا الله أن للموت سكرات » ثم نصب يده ، فجعل يقول : « في الرفيق الأعلى ، حتى قبض ، ومالت يده » .

مولى « عائشة » :

توفي في بيتي وفي
يومي وبين سحري
ونحري :

عبد الرحمن :
يحب السواك :
ألبنه لك :

ثم نصب يده :

البخارى ج ٦ ص ١٣

(١) السحر : هو الصدر ، والنحر منه هو موضع النحر .
(٢) الركوة : اناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، والجمع ركاء .

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة .
البخارى ج ٦ ص ١٥

موقف أبى بكر وعمر من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضى الله عنها أن أبى بكر رضى الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنع (١) ، حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتييم (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مغشى بثوب حبرة (٣) ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، والله لا يجتمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ، قال الزهرى : وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبى بكر خرج ، وعمر يكلم الناس (٤) ، فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه ، وتركوا عمر ، فقال أبو بكر :

أبو بكر :

تييم رسول الله :

قبله وبكى :

الزهرى :

فأقبل الناس إليه :

أما بعد من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، فإن محمدا قد مات :

قال الله : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أمان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

قد خلت من قبله

الرسل :

وسيجزي الله

الشاكرين :

تلاها « أبو بكر » :

وقال : « والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها » .

فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال : « والله ما هو إلا أن سمعت أبى بكر تلاها فعمقرت (٥) حتى ما تغلنى (٦) رجلاى ، وحتى أهويت الى الأرض حين سمعته تلاها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات » .

سعيد بن المسيب :

وحتى أهويت الى

الأرض :

البخارى ج ٦ ص ١٤

- (١) السنع : موضع خارج « المدينة » فيه منازل « بنى الحارث بن الخزرج » وكان مسكنا لزوجته .
- (٢) تيمم : قصد .
- (٣) نوع من برود « اليمن » مخططة « غالبية الثمن » .
- (٤) يكلم الناس ، ويخبرهم بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يمت « وهذا من شدة وقع المصيبة عليه » .
- (٥) عمقرت : هلكت .
- (٦) تغلنى : تحيلنى .

أدب النبوة

سيرة « محمد » :
 رعته العناية
 الربانية :
 الله أعلم حيث
 يجعل رسالته :

من أنعم النظر في سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى
 آله ألقى مثلاً رائعة للأدب الفطري الذي قد رعته العناية الربانية
 قبل البعثة ، وبعدها ، هبة من الله يفيض بها على خير خلقه : الله
 أعلم حيث يجعل رسالته .

يمتاز بنفس كبيرة ، وآيات في الذروة من أكرم الخصال ، وأشرف
 المحامد اللانثىة بمحمد ، الناطقة بسلطاته عليها ، فهو رائدها ،
 وقائدها ، ومثلها الأعلى ، تنطق بذلك حياته المجيدة .

فهو رائدها
 وقائدها :

كان ملهما :
 نبسط رداءه :
 أمر كل قبيلة :
 تأخذ بطرف :

كان ملهما ، راجح العقل : حقن دماء أهل مكة حين اختلفوا
 على وضع الحجر الأسود في موضعه ، فقد تحاكموا إلى الرجل
 العظيم « فبسط رداءه ، ووضع الحجر الأسود فيه وأمر كل قبيلة
 أن تأخذ بطرف من الرداء ، ووضع الحجر الأسود في موضعه .

وحدث له « مكة »
 هذا العقل الحكيم :

وقد حدث له مكة هذا العقل الحكيم ، وعرفت أن لصاحبه
 شأناً أي شأن .

سيكون لابنى هذا
 شأن :

وكان عمه أبو طالب يقول : سيكون لابنى هذا شأن .

الثقة المطلقة به :

ولقد أجمعوا على الثقة المطلقة به عندما جمعهم وأخبرهم بأمر
 الرسالة قائلاً لهم :

« أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم
 مصدقي » ؟

ما جربنا عليك
 كذبا :

قالوا نعم ، « ما جربنا عليك كذبا » .

هذه اجابة خير شاهد على حسن سيرته ، وأمانته ، وبرهانه
 رسالة صادقة ، وأدب الهى كريم .

أدبنى ربى فأحسن
 تأديبى :

أليس هو القائل : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ؟

وانك لعلى خلق
 عظيم :

ويخاطبه ربه بقوله جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

نظرة خاطفة حول جنبات رسول الله

« محمد » صلى الله عليه وسلم

١ — أعد أبرهة جنده وفيله لدخول مكة ، ليهدم البيت ولم يلق
 في سبيله قوة تصده .

وقد قال عبد المطلب قوله : « انى انا رب الابل ، وان للبيت
ربا سيمنعه » .

وقد تولت قدرة الله رده خاسرا ، اذ ارسل عليهم طيرا ابايل
ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

فأرخ العرب بعام هذا الحادث العجيب ، وكان ذلك سنة ٥٧٠ م
اليس ذلك ارهاصا لنبوّة محمد سليل عبد المطلب ؟ .

٢ — وان هجرة محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة على
شباب أعد نفسه للفتك به لموقف في المحل الاول من الشجاعة ،
ورباطة الجأش ، وصدق اليقين .

والاسراء به يدفعه الى الكفار المعاندين ، لينبئهم نبأه ، رافعا
صوته ورأسه غير هيب ، ولا آبه لما يلقاه منهم ، أظهارا للحقيقة
التي لا مرأ فيها .

٣ — وقد كان استمساكه بالقيام بقسط من العمل مع أصحابه
وهم يعدون الشاة في السفر ، وفي حفر الخندق وفي بناء أول مسجد
أسس على التقوى أكبر دليل على تواضعه .

٤ — وان بكاءه على قبر امه بكاء الذاكر لها وهو شيخ ،
وحنانه على حليمة مرضعه ، ومودته لام أيمن حاضنته ،
ورحمته بالخدام ، وبالصغير ، وبالحيوان ، وبالأعداء لقرينا مبلغ
عطفه وشفقته .

٥ — وانك لترى سخاءه وكثرة حيائه ، وعدله وعلمه بالله ،
وخشيته منه في قوله وفعله مع الناس كافة — في الفروة .

ولقد شهد الله له بها ، والله خير الشاهدين .

المراجع

- ١ — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .
لأبي محمد عبد الملك بن هشام .
- ٢ — الأنباء عن الأنبياء .
للقضاعي .
- ٣ — الجواهر .
للاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى .
- ٤ — المفردات فى غريب القرآن .
للإمام الراغب الأصفهاني .
- ٥ — تفسير القرطبي .
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي .
- ٦ — الشهاب فى المواعظ والآداب .
للقضاعي .
- ٧ — شرح سنن الإمام أبى داود .
لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد خطاب السبكي .
- ٨ — أحياء علوم الدين .
للإمام أبى حامد الغزالي .

فہرست الکتاب

الموضوع	صفحة
أهداء	٥
مقدمة	٧
تقديم .. بقلم فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق	٩
تقديم .. بقلم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية	١٣
تقديم .. بقلم فضيلة الشيخ محمود أمين النواوى الأستاذ بالدراسات العليا بجامعة الأزهر	١٥
١ - « نوح » رسول الله ، وصانع الفلك بأعين الله ووحيه :	١٩
عبادة الأصنام - رأى قومه فيه - البراهين والحجج	٢١
« نوح » يصنع السفينة	٢٤
جيل « الجودى »	٢٥
طوفان « نوح »	٢٦
ابن « نوح » عليه السلام يهمل بدعوة أبيه .	٢٧
عمر « نوح »	٢٨
مواطن العبرة فى رسالة « نوح » عليه السلام	٢٨
٢ - « إبراهيم » رسول الله وخليه	٣١
مولده ونشأته	٣٣
« إبراهيم » يسهه أحلام قومه	٣٤
يقينه بقدرة خالقه	٣٤

الموضوع	صفحة
حب الاستطلاع	٣٤
حجة « ابراهيم » ومحاكمته	٣٥
أدب « ابراهيم » مع أبيه	٣٥
طريقته الحوارية	٣٦
« ابراهيم » يحاج الملك	٣٨
موافقه	٣٨
رحلات « ابراهيم » عليه السلام	٣٩
« ابراهيم » والملائكة	٤١
« اسماعيل » و « هاجر » يرحلان الى وادى « مكة »	٤٣
اقدام « ابراهيم » على ذبح « اسماعيل »	٤٣
أهل بيت من « جرهم »	٤٦
زواج « اسماعيل »	٤٦
بناء البيت	٤٧
وفاة « ابراهيم »	٥٠
وفاة « اسماعيل »	٥٠
هدى وارشاد	٥٠
٣ - « موسى » رسول الله وكليمه	٥٣
رعاية الله له	٥٥
تزهيده في المراضع	٥٥
وعد الله حق	٥٦
« موسى » يبلغ أشده - قضاؤه على الفرعونى	٥٧
« موسى » بأرض « مدين »	٥٨

الموضوع	صفحة
مورد الماء وحماية الضعيف	٥٨
مصاهرة موسى للشيخ	٥٩
رسالته	٦١
« فرعون » يحاور « موسى » ويحاجه في ربوبية الله	٦٦
معجزتا « العصا » و « اليد »	٦٩
« فرعون » وقومه يأتهمون بموسى ليقتلوه	٧٢
جزاء وفاق لفرعون وقومه	٧٥
انطلاق « بنى اسرائيل »	٧٨
انفلاق البحر	٧٩
ما أعدده الله لفرعون وقومه من سوء العذاب يوم القيامة	٨٣
فريق من « بنى اسرائيل يالفون وثنية المصريين »	٨٤
مواعدة «موسى» عليه السلام	٨٧
يظنون به الظنون	٨٩
رجوعه الى قومه	٩٠
الأمر بدخول الأرض المقدسة	٩٤
نتق الجبل فوق « بنى اسرائيل »	٩٦
البقرة	٩٧
« موسى » و « الخضر »	٩٨
« موسى » و « قارون »	١٠٢
أصحاب السبت	١٠٤
موت « هرون » ثم « موسى »	١٠٥
« يوشع » بن « نون »	١٠٥
حمادى الجهاد فى سبيل الرسالة	١٠٦

الموضوع	صفحة
٤ - عيسى رسول الله وكلمته	١٠٨
« مريم » بنت « عمران »	١٠٩
رعاية ثنئون « مريم »	١٠٩
تبشير « مريم » بعيسى	١١١
حمل « مريم » بالمسيح	١١٢
اقتراب ساعة الوضع	١١٣
« عيسى » الوليد	١١٣
نبوة « المسيح عيسى بن مريم »	١١٨
معجزاته	١٢٠
معنى كلمة « الانجيل »	١٢٢
الاناجيل الموجودة الآن	١٢٣
ماذا كتب في هذه الاناجيل ؟	١٢٣
الحواريون	١٢٣
المائدة	١٢٤
نهاية « المسيح »	١٢٦
« اليهود » ينتظرون « مسيحا » آخر	١٢٨
« اليهود » وصلب « المسيح »	١٢٩
« الاناجيل » وصلب « المسيح »	١٣٠
« المسيح عيسى بن مريم » عبد الله ورسوله	١٣٢
موقف « المسيح » في اليوم الآخر	١٣٣
الحبّة والسلام	١٣٤
٥ - « محمد » رسول الله خيرة الله من خلقه	١٣٧
مولده	١٣٩
اعباد « محمد » للرسالة	١٤٠

الموضوع	صفحة
نشأته منذ صغره	١٤٠
شق صدره	١٤١
وفاة أمه	١٤١
كفالة جده « عبد المطلب » ثم عمه « أبى طالب » — عمله فى صغره .	١٤٢
تجارته بهمال السيدة « خديجة » — زواجه بها — تحكيم الأمين المأمون .	١٤٢
الرؤيا الصادقة — غار حراء	١٤٣
بدء الدعوة سرا	١٤٥
الجهر بالدعوة	١٤٦
وفاة السيدة « خديجة » — « سودة بنت زمعة »	١٤٦
« عائشة » بنت « أبى بكر » — الأسراء والمعراج	١٤٦
هجرة الرسول تفيض روعة وجلالا	١٤٩
غار « ثور »	١٥٠
أهل « المدينة » يستقبلون الرسول	١٥٣
دار « أبى أيوب » النجارى	١٥٤
« على بن أبى طالب » يتزوج « فاطمة الزهراء »	١٥٥
قوة شوكة الاسلام	١٥٦
ماء « بدر »	١٥٦
رسول الله يعدل صفوف أصحابه	١٦٤
انجلاء المعركة	١٦٥
« أحد »	١٦٧
خضدت شوكة المسلمين	١٧٠
انتهت الحرب	١٧١
اجلاء « بنى النضير »	١٧٢

الموضوع	صفحة
الأحزاب « الخندق »	١٧٤
مشاهد شتى حول الرسول	١٧٨
الفتح	١٩٠
دخول رسول الله « مكة »	٢٠٧
يوم « حنين »	٢٠٨
أسس الرياسة عند الرسول	٢١١
الاسلام دين العزة	٢١٢
العرب ومثل الاسلام العليا	٢١٤
مكانة المرأة في الاسلام — من شمائل الرسول	٢١٤
حجة الوداع	٢١٨
محمد يمجّد أصحابه	٢٢٠
كيف نشر دين « محمد »	٢٢١
لم انتصر الاسلام ؟	٢٢٢
عظمة « محمد »	٢٢٢
سر الرسالة	٢٢٣
ازواجه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين	٢٢٣
مرض النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٦
سروره عليه السلام في مرض موته باجتماع أصحابه على « أبى بكر » في الصلاة — وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٢٨
موقف « أبى بكر » و « عمر » من وفاته	٢٢٩
ادب النبوة	٢٣٠
نظرة خاطفة حول جنبات رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٣٠